

# كتاب التسهيل

لملوم التنزيل

للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن عزمي الكلبّي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنّته آمين

الجزء الأول

الناشر

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، أبو عبدالله محمد المدعو بالقاسم ابن أحمد بن محمد بن جزي الكلبى ، رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ، بحرمة النبي الأواه : الحمد لله العزيز الوهاب ، مالك الملوك ورب الأرباب ، هو الذى أنزل على عبده الكتاب ، هدى وذكرى لأولى الألباب ، وأودعه من العلوم النافعة ، والبراهين القاطعة : غاية الحكمة وفصل الخطاب ؛ وخصه من الخصائص العلية ، واللطائف الخفية ، والدلائل الجليلة ، والأسرار الربانية ، العجب بكل عجب عجاب ؛ وجعله فى الطبقة العليا من البيان ، حتى أعجز الإنسان والجان ، واعترف علماء أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب ؛ ويسر حفظه فى الصدور ، وضمن حفظه من التبديل والتغيير ، فلم يتغير ولا يتغير على طول الدهور وتوالى الأحقاب ؛ وجعله قولا فصلا ، وحكما عدلا ، وآية بادية ، ومعجزة باقية : يشاهدها من شهد الوحي ومن غاب ؛ وتقوم بها الحججة للدؤن الأواب ، والحجة على الكافر المرتاب ؛ وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام ، وبين الحلال والحرام ، وعلم من شعائر الإسلام ، وصرف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر ، والبشارة بالثواب ، والنذارة بالعقاب ، وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته ، واصطفاهم من عباده ، وأورثهم الجنة وحسن المآب . فسبحان مولانا الكريم الذى خصنا بكتابه ، وشرفنا بخطابه ، فياله من نعمة سابعة ، وحجة بالغة ، أوزعنا الله الكريم القيام بواجب شكرها ، وتوفية حقها ، ومعرفة قدرها ، وما توفى لإلّا بالله ، هوربى لا إله إلا هو ، عليه توكلت وإليه متاب . وصلاة الله وسلامه ، ونحياته وبركاته وإكرامه ، على من دلنا على الله ، وبلغنا رسالة الله ، وجاءنا بالقرآن العظيم ، وبالآيات والذكر الحكيم ، وجاهد فى الله حق الجهاد ، وبذل جهده فى الحرص على نجاة العباد ، وعلم ونصح وبين وأوضح حتى قامت الحججة ، ولاحت المحجة ، وتبين الرشد من الغي ، وظهر طريق الحق والصواب ، وانقشعت ظلمات الشك والارتياب ، ذلك : سيدنا ومولانا محمد النبي الأسمى ، القرشى الهاشمى ، المختار من لباب اللباب ، والمصطفى من أظهر الأنساب ، وأشرف الأحساب ، الذى أيدته الله بالمعجزات الظاهرة ، والجنود القاهرة ، والسيوف الباترة الغضاب ، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة ، وجعله قائداً لآئز المحجلين والوجوه الناضرة ، فهو أول من يشفع يوم الحساب ، وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب ، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، وأصحابه الأكرهين ، خير أهل وأصحاب ، صلاة زاكية نامية ، لا يحصر مقدارها العذ والحساب ، ولا يبلغ إلى أدنى وصفها السنة البلغاء ولا أقلام الكتاب .

أما بعد ؛ فإن علم القرآن العظيم : هو أرفع العلوم قدرا . وأجلها خطرا ، وأعظمها أجرا ، وأشرفها ذكرا وأن الله أنعم علىّ بأن شغلنى بخدمة القرآن ، وتعلمه وتعليمه ، وشغفنى بتفهم معانيه وتحصيل علومه ، فاطلعت

على ما صنّف العلماء رضى الله عنهم فى تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف ، المتباينة الأصناف ، فهم من آثر الاختصار ، ومنهم من طول حتى كثرا الأسفار ، ومنهم من تكلم فى بعض فنون العلم دون بعض ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس ، ومنهم من عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق ، وكل أحد سلك طريقا نحاها ، وذهب مذهبا ارتضاه ، وكلا وعد الله الحسنى ، فرغبت فى سلوك طريقهم ، والانخراط فى مساق فريقهم ، وصنفت هذا الكتاب فى تفسير القرآن العظيم ، وسائر ما يتعلق به من العلوم ، وسلكت مسلكا نافعا ، إذ جعلته وجيزا جامعا ، قصدت به أربع مقاصد : تتضمن أربع فوائد : (الفائدة الأولى) جمع كثير من العلم ، فى كتاب صغير الحجم ؛ تسهلا على الطالبين ، وتقريبا على الراغبين ؛ فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم ، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها ، وتنقيح فصولها ، وحذف حشوها وفضولها ؛ ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن : اللباب المرغوب فيه ، دون القشر المرغوب عنه ، من غير إفراط ولا تفريط . ثم إنى عزمت على إيجاز العبارة ، وإفراط الاختصار ، وترك التطويل والتكرار (الفائدة الثانية) ذكر نكت عجيبة ، وفوائد غريبة ، قلما توجد فى كتاب ؛ لأنها من نبات صدرى ، وينابيع ذكرى . وما أخذته عن شيوخى رضى الله عنهم ، أو ما التقطته من مستطرفات النوادر ، الواقعة فى غرائب الدفاتر (الفائدة الثالثة) إيضاح المشكلات ، إما بحل العقيد المقلات ، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات . وبيان المجملات (الفائدة الرابعة) تحقيق أقوال المفسرين ، السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح . وذلك أن أقوال الناس على مراتب : فمنها الصحيح الذى يعول عليه ، ومنها الباطل الذى لا يلتفت إليه ، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد . ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا ، والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا ، وإنى جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة ، تعرف بها كل مرتبة وكل قول ؛ فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل ، ثم ما أقول فيه إنه ضعيف أو بعيد ، ثم ما أقول إن غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم أو بالقول فيه : قبال كذا ، قصدا للخروج من عهدته ، وأما إذا صرحت باسم قائل القول ؛ فإنى أفعل ذلك لأحد أمرين : إما للخروج عن عهدته ، وإما لنصرته إذا كان قائله ممن يقتدى به ، على أنى لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا ، وذلك لقلّة صحة إسنادها إليهم ، أو لاختلاف الناقلين فى نسبتها إليهم ، وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد ؛ فذلك إشارة إلى أنى أتقلده وأرتضيه سواء كان من تلقاء نفسى ، أو مما أختاره من كلام غيرى ، وإذا كان القول فى غاية السقوط والبطلان ؛ لم أذكره تنزيها للكتاب ، وربما ذكرته تحذيرا منه ، وهذا الذى من الترجيح والتصحيح مبنى على القواعد العلمية ، أو ما تقتضيه اللغة العربية ، وسندكر بعد هذا بابا فى موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله . وسميته (كتاب التسهيل : لعلوم التنزيل) وقدمت فى أوله مقدمتين : إحداهما فى أبواب نافعة ، وقواعد كلية جامعة ؛ والأخرى فيما كثر دوره من اللغات الواقعة . وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم : أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، ووسيلة توصلنى إلى جنات النعيم ، وتنقذنى من عذاب الجحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

## المقدمة الاولى : فيها اثنا عشر بابا

الباب الأول : فى نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول ما بعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله ، فكانت مدة نزوله عليه عشرون سنة ، وقيل كانت ثلاث وعشرين سنة على حسب الاختلاف فى سنة صلى الله عليه وسلم يوم توفى ، هل كان ابن ستين سنة ، أو ثلاث وستين سنة ؟ وكان ربما تنزل عليه سورة كاملة ، وربما تنزل عليه آيات مفترقات ، فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة ، وأول ما نزل عليه من القرآن : صدر سورة العلق ، ثم المثنى والمزمل ، وقيل أول ما نزل المثنى وقيل فاتحة الكتاب ، والأول هو الصحيح ؛ لما ورد فى الحديث الصحيح ، عن عائشة فى حديثها الطويل فى ابتداء الوحي قالت فيه : جاءه الملك وهو بنار حراء ، قال اقرأ ، قال ما أنا بقارئ ، قال فأخذنى فغطى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال اقرأ ، قلت ما أنا بقارئ ، قال فأخذنى فغطى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال اقرأ ، قلت ما أنا بقارئ ، قال فأخذنى وغطى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، ثم قال . اقرأ بسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فقال زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع ، وفى رواية من طريق جابر ابن عبد الله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زملوني فأنزل الله تعالى « يا أيها المزمل ، وآخر ما نزل » إذا جاء نصر الله والفتح ، وقيل آية الزنى التى فى البقرة ، وقيل الآية قبلها . وكان القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرق فى الصحف وفى صدور الرجال ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد على بن أبى طالب رضى الله عنه فى بيته ، فجمعه على ترتيب نزوله ، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ، ولكنه لم يوجد . فلما قتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة فى قتال مسيلة الكذاب ؛ أشار عمر بن الخطاب على أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بجمع القرآن : مخافة أن يذهب بموت القراء . فجمعه فى صحف غير مرتب السور وبقيت تلك الصحف عند أبى بكر ، ثم عند عمر بعده ، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين ، وانتشرت فى خلال ذلك صحف كتبت فى الآفاق عن الصحابة ، وكان بينها اختلاف ، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، فجمع الناس على مصحف واحد خيفة من اختلافهم ، فانتدب لذلك عثمان ، وأمر زيد بن ثابت فجمعه ، وجعل معه ثلاثة من قريش : عبد الله بن الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن العاصى بن أمية ، وقال لهم إذا اختلفتم فى شىء فاجعلوه بلغة قريش ، وجعلوا المصحف الذى كان عند حفصة إماما فى هذا الجمع الأخير ، وكان عثمان رضى الله عنه يتعهدهم ويشاركهم فى ذلك ، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضى الله عنه منه نسخا ووجهها إلى الأمصار وأمر بما سواها أن تحرق أو تحرق « يروى بالحاء والحاء المنقوطة » فترتيب السور على ما هو الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف ، وقد قيل إنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة فى ذلك ، وأما نقط القرآن وشكله فأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان وزاد الحجاج تحزيبه وقيل أول من نقطه يحيى بن يعمر وقيل أبو الأسود الدؤلى ، وأما وضع الأعشار فيه فقيل إن الحجاج فعل ذلك وقيل بل أمره به المأمون العباسى ، وأما أسماؤه فهى

أربعة : القرآن ، والفرقان ، والكتاب ، والذکر . وسائر ما يسمى صفات لا أسماء : كوصفه بالعظيم ، والكریم ، والمتین ، والعزیز ، والمجید ، وغير ذلك . فأما القرآن : فأصله مصدر قرأ ، ثم أطلق على المقروء ، وأما الفرقان : فمصدر أيضا معناه التفرقة بين الحق والباطل ، وأما الكتاب : فمصدر ثم أطلق على المكتوب ، وأما الذکر : فسمى القرآن به لما فيه من ذكر الله أو من التذكير والمواعظ ، ويجوز في السورة من القرآن الهمز ، وترك الهمز لغة قريش ، وأما الآية فأصلها العلامة ثم سميت الجملة من القرآن به لأنها علامة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم

الباب الثاني : في السورة المكية والمدنية . اعلم أن السور المكية هي التي نزلت بمكة ويعد منها كل منزل قبل الهجرة ، وإن نزل بغير مكة ، كما أن المدنية هي السورة التي نزلت بالمدينة ويعد منها كل منزل بعد الهجرة . وإن نزل بغير المدينة ، وتنقسم السور ثلاثة أقسام : قسم مدنية باتفاق ، وهي اثنا عشر سورة ، وهي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، وبراءة ، والنور ، والأحزاب ، والقتال ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والتحريم ، وإذاجاء نصر الله . وقسم فيها خلاف ، هل هي مكية أو مدنية ؟ وهي ثلاثة عشر سورة : أم القرآن والرعد ، والنحل ، والحج ، والإنسان ، والمطففون ، والقدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، وأرأيت ، والإخلاص والمعوذتين . وقسم مكية باتفاق ، وهي سائر السور ، وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية ، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية ، وذلك قليل ، يختلف في أكثره

واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين ، وفي قصص الأنبياء . وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية ، وفي الرد على اليهود والنصارى ، وذكر المناققين ، والفتوى في مسائل ، وذكر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم . وحيث ماورد : يأيا الذين آمنوا ؛ فهو مدني ، وأما : يأيا الناس ، فقد وقع في المكي والمدني

الباب الثالث : في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن . ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل . أما الجملة ، فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلي الدخول في دينه ، ثم إن هذا المقصد يقتضى أمرين ، لا بد مهما ، وإليهما ترجع معاني القرآن كله : أحدهما بيان العبادة التي دعى الخلق إليها ، والآخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وترددهم إليها ، فأما العبادة فنقسم إلى نوعين ، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال ، وأما البواعث عليها فأمرين ، وهما الترغيب والترهيب ، وأما على التفصيل فاعلم أن معاني القرآن سبعة : وهي علم الربوبية ، والنبوة ، والمعاد ، والأحكام ، والوعد ، والوعيد والقصص . فأما علم الربوبية : فمته إثبات وجود الباري جل جلاله ، والاستدلال عليه بمخلوقاته ، فشكل ماجاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات ، والاعتبار في خلقه الأرض والسموات ، والحيوان والنبات . والريح والأمطار ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، وغير ذلك من الموجودات ، فهو دليل على خالقه ، ومنه إثبات الوجدانية ، والرد على المشركين ، والتعريف بصفات الله : من الحياة والعلم والقدر والإرادة والسمع والبصر ، وغير ذلك من أسمائه وصفاته ، والتنزيه عما لا يليق به . وأما النبوة : فأثبت نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم ، ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الخصوص ، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم ، ووجود الملائكة الذين

كان منهم وسائط بين الله وبينهم ، والرّد على من كفر بشيء من ذلك ، وينخرط في سلك هذا ماورد في القرآن من تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم وكرامته والثناء عليه ، وسائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين . وأما المعاد فأخبار الحشر ، وإقامة البراهين ، والرّد على من خالف فيه ، وذكروا ما في الدار الآخرة من الجنة والنار ، والحساب والميزان ، وصحائف الأعمال وكثرة الأهوال ، ونحو ذلك . وأما الأحكام : فهي الأوامر والنواهي وتنقسم خمسة أنواع : واجب ، ومندوب ، وحرام ، ومكروه ، ومباح . ومنها ما يتعلق بالأبدان : كالصلاة والصيام ، وما يتعلق بالأموال كالزكاة ، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك . وأما الوعد : فمنه وعد بنعيم الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك ، ومنه وعد بنعيم الآخرة وهو الأجر كأوصاف الجنة ونعيمها . وأما الوعيد : فمنه تخويف بالعقاب في الدنيا ، ومنه تخويف بالعقاب في الآخرة وهو الأجر : كأوصاف جهنم وعذابها ، وأوصاف القيامة وأهوالها ، وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد ، قد ذكر أحدهما على أثر ذكر الآخر ، ليجمع بين الترغيب والترهيب ، وليبين أحدهما بالآخر ، كما قيل : فبضدّها تبين الأشياء . وأما القصص : فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف ، وذى القرنين . فإن قيل : ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن . فالجواب من ثلاثة أوجه الأول أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في سورة أخرى ، ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى : الثاني أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب ، وفي مواضع على طريقة الإيجاز ، لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين . الثالث أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدّد ذكرها بتعدّد تلك المقاصد ، فمن المقاصد إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات ، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من المهالك . ومنها إثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ( ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ) ومنها إثبات الوحدة الإلهية . ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال ( فما أغنت عنهم آلهم اللاتي يدعون من دون الله من شيء ) ومنها الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر . ومنها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء : كقوله ( ولقد كذبت رسل من قبلك ) ومنها تسليته عليه السلام ووعدته بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله . ومنها تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم ، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء . وردم على الكفار وغير ذلك . فلما كانت أخبار الأنبياء تفيده فوائد كثيرة : ذكرت في مواضع كثيرة . ولكل مقام مقال

الباب الرابع : في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن . اعلم أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فناً من العلوم ، وهي : التفسير ، والقراءات ، والأحكام ، والنسخ ، والحديث ، والقصص ، والتصوف ، وأصول الدين ، وأصول الفقه : واللغة ، والنحو ، والبيان . فأما التفسير فهو المقصود بنفسه وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تتفرع منه ، ومعنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه . واعلم أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه ، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع : الأول : اختلاف في العبارة ، مع اتفاق في المعنى : فهذا عدّه كثير من المؤلفين خلافاً ، وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه ، وجعلناه نحن قولاً واحداً ، وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين ، أو بما يقرب منها ،

أو بما يجمع معانيها . الثاني اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد ، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد ، وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومها فهذا عده أيضا كثير من المؤلفين خلافا ، وليس في الحقيقة بخلاف ؛ لأن كل قول منها مثال ، وليس بكل المراد ، ولم نعهده نحن خلافا : بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها ، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود . الثالث : اختلاف المعنى ؛ فهذا هو الذي عددناه خلافا ، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب ؛ فإن قيل : ما الفرق بين التفسير والتأويل ؛ فالجواب أن في ذلك ثلاثة أقوال : الأول أنهما بمعنى واحد . الثاني : أن التفسير للفظ ، والتأويل للمعنى . الثالث وهو الصواب : أن التفسير : هو الشرح ، والتأويل : هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره وأما القراءات : فإنها بمنزلة الرواية في الحديث ، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايته ، ثم إن القراءات على قسمين : مشهورة . وشاذة . فالمشهورة : هي القراءات السبع وما جرى مجراها : كقراءة يعقوب . وابن محيصين . والشاذة ماسوى ذلك . وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين : أحدهما أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب . والأخرى اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة . وقال مالك بن أنس : قراءة نافع سنة . وذكرنا من سائر القراءات ما فيها فائدة في المعنى والإعراب وغير ذلك . دون ما لا فائدة فيه زائدة . واستغنيا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها . وقد ألفنا فيها كتبنا نفع الله بها . وأيضا فإنما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار حذفنا منه ما لا تدعو إليه الضرورة وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا في قواعد أصول القراءات . وأما أحكام القرآن فهي ماورد فيه من الأوامر والنواهي . والمسائل الفقهية . وقال بعض العلماء إن آيات الأحكام خمسمائة آية . وقد تنهى إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها . وقد صنف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة . ومن أحسن تصانيف المشاركة فيها : تأليف إسماعيل القاضي وابن الحسن كباه ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي والقاضي الحافظ بن محمد بن عبد المنعم ابن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس . وأما النسخ فهو يتعلق بالأحكام لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من النسخ والمنسوخ ، والمحكم وهو ما لم ينسخ ، وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة وأحسنها تأليف القاضي أبي بكر بن العربي . وقد ذكرنا في هذه المقدمات بابا في قواعد النسخ ، وذكر ما تقرّر في القرآن من المنسوخ ، وذكرنا سائرته في مواضعه ، وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين : الأول أن كثيرا من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من الغزوات والنوازل والسؤالات ، ولا بد من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى نزلت فإنّ الناسخ يبني على معرفة تاريخ النزول لأن المتأخر ناسخ للمتقدم . الثاني أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته لأن قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس . وأما القصص فهي من جملة العلوم التي تضمنها القرآن فلا بد من تفسيره إلا أن الضروري منه ما يتوقف التفسير عليه . وما سوى ذلك زائد مستغنى عنه وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح . حتى أنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره بما فيه تقصير بمنصب

الأنبياء عليهم السلام أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه . وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح . وأما التصوف فله تعلق بالقرآن . لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس . وتنوير القلوب . وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة . واجتناب الأخلاق الذميمة . وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن . فمنهم من أحسن وأجاد . ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني . ووقف على حقيقة المراد . ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية . وقد جمع أبو عبد الرحمن السلسلي كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق» وقال بعض العلماء . بل هي البواطل . وإذا اتصفنا قلنا فيه حقائق وبواطل . وقد ذكرنا هذا في كتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية . دون ما يعترض أو يقدر فيه . وتكلمنا أيضا على اثني عشر مقاما من مقام التصوف في «واضعها من القرآن» فتكلمنا على الشكر في أم القرآن . لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى . وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في البقرة «هدى للثقلين» وعلى الذكر في قوله فيها «فاذكروني أذكركم» وعلى الصبر في قوله تعالى «وبشر الصابرين» وعلى التوحيد في قوله فيها «والهكم إله واحد» وعلى محبة الله في قوله فيها «والذين آمنوا أشد حبا لله» وعلى التوكل في قوله في آل عمران «فاذا عزمتم فتوكل على الله» وعلى المراقبة في قوله في النساء «إن الله كان عليكم رقيبا» وعلى الخوف والرجاء في قوله في الأعراف «وادعوه خوفا وطمعا» وعلى التوبة في قوله في النور «وتوبوا إلى الله جميعا» وعلى الإخلاص في قوله في لم يكن «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» وأما أصول الدين فيتعلق بالقرآن من طرفين : أحدهما : ما ورد في القرآن من إثبات العقائد وإقامة البراهين عليها . والرد على أصناف الكفار . والآخر : أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن وترد على من خالفها . وتزعم أنه خالف القرآن . ولاشك أن منهم المحق والمبطل . فمعرفة تفسير القرآن أن توصل في ذلك إلى التحقيق مع التشديد والتأييد من الله والتوفيق . وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن . على أن كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها . وإها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال . وما أحوج المفسر إلى معرفة النص . والظاهر . والمجمل . والمبين . والعام . والخاص . والمطلق . والمقيد . وحقوى الخطاب . وحقن الخطاب . ودليل الخطاب . وشروط النسخ . ووجوه التعارض . وأسباب الخلاف . وغير ذلك من علم الأصول . وأما اللغة فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها . وهي غريب القرآن وهي من فنون التفسير . وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة . وقد ذكرنا بعد هذه المقدمة : مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن . لئلا يحتاج أن نذكرها حيث وقعت فيطول الكتاب بكثرة تكرارها . وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته . فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان . والنحو ينقسم إلى قسمين : أحدهما عوامل الإعراب . وهي أحكام الكلام المركب . والآخر التصريف وهي أحكام الكلمات من قبل تركيبها . وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل والمختلف . أو ما يفيد فهم المعنى . أو ما يختلف المعنى باختلافه ولم تتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ فإن ذلك يطول بغير فائدة كبيرة . وأما علم البيان : فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن . وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة . ونكت مستحسنة راقية . وجعلنا في المقدمات بابا في أدوات البيان

ليفهم به ما يرد منها مفترقا في مواضعه من القرآن

الباب الخامس : في أسباب الخلاف بين المفسرين . والوجوه التي يرجحها بين أقوالهم . فأما أسباب الخلاف فهي اثني عشر : الأول اختلاف القرآن . الثاني اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات . الثالث اختلاف اللغويين في معنى الكلمة . الرابع اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر . الخامس احتمال العموم والخصوص . السادس احتمال الإطلاق أو التقييد . السابع احتمال الحقيقة أو المجاز . الثامن احتمال الإضمار أو الاستقلال . التاسع احتمال الكلمة زائدة . العاشر احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير . الحادي عشر احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما . الثاني عشر اختلاف الرواية في التفسير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن السلف رضی الله عنهم . وأما وجوه الترجيح فهي اثني عشر . الأول تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال . الثاني حديث النبي صلى الله عليه وسلم : فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه . لاسيما إن ورد في الحديث الصحيح . الثالث أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين : فإن كثرة القائلين بالقول يقتضى ترجيحه . الرابع أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة . وعبد الله بن عباس . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » الخامس أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق . السادس أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده . السابع أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه الثامن تقديم الحقيقة على المجاز . فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين . وقد يرجح المجاز إذا أكثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة . وقد اختلف العلماء أيهما يقدم : فذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة ؛ لأنها الأصل ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح ؛ لرجحانه . وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح . التاسع تقديم العمومى على الخصوصى ؛ فإن العمومى أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص . العاشر تقديم الإطلاق على التقييد ، إلا أن يدل دليل على التقييد . الحادي عشر تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار . الثاني عشر حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير

الباب السادس : في ذكر المفسرين . اعلم أن السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين : فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه . وهم الأكثرون . ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطا لما ورد من التشديد في ذلك . فقد قالت عائشة رضی الله عنها : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن الآيات إلا بعد علمه إياهن من جبريل . وقال صلى الله عليه وسلم : من قال في القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ . وتأول المفسرون حديث عائشة رضی الله عنها بأنه في معاني القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى . وتأول الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات ؛ لافمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر في أقوال العلماء المتقدمين ؛ فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه . واعلم أن المفسرين على طبقات ؛ فالطبقة الأولى : الصحابة رضی الله عنهم . وأكثرهم كلاما في التفسير ابن عباس . وكان علي بن أبي طالب رضی الله عنه يثنى على تفسير ابن عباس . ويقول : كأنما ينظر إلي الغيب من ستر رقيق . وقال ابن عباس

ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب . ويتلوهما عبد الله بن مسعود . وأبي بن كعب . وزيد ابن ثابت . وعبد الله بن عمر بن الخطاب . وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وكلما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن . والطبقة الثانية : التابعون . وأحسنهم كلاما في التفسير الحسن بن الحسن البصرى . وسعيد بن جبير ومجاهد مولى ابن عباس . وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود . ويتلوهم : عكرمة . وقتادة . والسدى . والضحاك ابن مزاحم . وأبو صالح . وأبو العالية . ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف ، وألف الناس فيه : كالمفضل . وعبد الرزاق . وعبد بن حميد . والبخارى . وعلي بن أبي طلحة . وغيرهم . ثم إن محمد بن جرير الطبرى جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها . ومن صنف في التفسير أشياء : أبو بكر النقاش . والثعالبي . والماوردي . إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح . وقد استدرك الناس على بعضهم . وصنف أبو محمد بن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين : كأبي إسحق الزجاج ، وأبي علي الفارسي ، وأبي جعفر النحاس . وأما أهل المغرب والأندلس فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطى كتابا في غريب القرآن وتفسيره . ثم صنف المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب كتاب الهداية في تفسير القرآن . وكتابا في غريب القرآن . وكتابا في ناسخ القرآن ومنسوخه . وكتابا في إعراب القرآن . إلى غير ذلك من تأليفه . فإنها نحو ثمانين تأليفا : أكثرها في علوم القرآن والقراءات والتفسير وغير ذلك . وأما أبو عمرو الداني فتأليفه تنيف على مائة وعشرين . إلا أن أكثرها في القرآن . ولم يؤلف في التفسير إلا قليلا . وأما أبو العباس المهدي فمتقن التأليف . حسن الترتيب . جامع لفنون علوم القرآن : ثم جاء القاضيان أبو بكر بن العربي وأبو محمد عبد الحق بن عطية . فأبدع كل واحد وأجمل . واحتفل وأكمل . فأما ابن العربي فصنف كتاب «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن : فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» لإلأه اخترمته المنية قبل تلخيصه وتلخيصه . وألف في سائر علوم القرآن تأليفا مفيدة وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعدلها . فإنه اطلع على تأليف من كان قبله فهذبها ولخصها . وهو مع ذلك حسن العبارة . مستد النظر : محافظ على السنة . ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير . فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه . وقوة في فهمه . وله فيه تحقيق . ونظر دقيق . ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير ابن القاسم الزنجشري فمستد النظر بارع في الإعراب متقن في علم البيان . إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشروهم . وحمل آيات القرآن على طريقتهم . فتكدر صفوه . وتمزج حلوه . فخذ منه ما صفا ودع ما كدر . وأما القرنوي فكتابه مختصر . وفيه من التصوف نكت بديدة . وأما ابن الخطيب فتضمن كتابه ما في كتاب الزنجشري وزاد عليه إشباع في قواعد علم الكلام . ونمقه بترتيب المسائل . وتدقيق النظر في بعض المواضع . وهو على الجملة كتاب كبير الجرم . ربما يحتاج إلى تلخيص ، والله ينفع الجميع بخدمة كتابه . ويجزيهم أفضل ثوابه

الباب السابع في الناسخ والمنسوخ : النسخ في اللغة : هو الإزالة والنقل . ومعناه في الشريعة : رفع الحكم الشرعي بعد ما نزل ، ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه : الأول نسخ اللفظ والمعنى كقوله ( لا ترشوا عن آبائكم فإنه كفر بكم ) الثاني نسخ اللفظ دون المعنى كقوله ( الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ) الثالث نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير وقع منه في القرآن على ما عتد بعض العلماء

مائتا موضع وثلثا عشرة مواضع منسوخة ، إلا أنهم عدوا التخصيص والتقيد نسخا ، والاستثناء نسخا ، وبين هذه الأشياء وبين النسخ : فروق معروفة ، وستكلم على ذلك في مواضعه . ونقدم هنا ما جاء من نسخ مسألة الكفار والعمى عنهم والإعراض والصبر على أذاهم ، بالأمر بقتالهم ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه ، فإنه وقع منه في القرآن مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين آية ، ففي البقرة (وقولوا للناس حسنا) (ولنا أعمالنا) (ولا تعتدوا) أى لا تبدوا بالقتال (ولا تقاتلوهم) (قل قتال) (لا إكراه) وفي آل عمران (فإنما عليك البلاغ) (منهم تقاة) وفي النساء (فأعرض عنهم) في موضعين (فما أرسلناك عليهم حفيظا) (لا تكلف إلا نفسك) (إلا الذين يصلون) وفي المائدة (ولا آمن) (عليك البلاغ) (عليكم أنفسكم) وفي الأنعام (لست عليكم بوكيل) (ثم ذرهم) (عليكم بحفيظ) (وأعرض) (عليهم حفيظا) (ولا تسبوا) قدرهم في موضعين (ياقوم أعمالوا) (قل انظروا) (لست منهم في شيء) وفي الأعراف (فأعرض) (وأمل لهم) وفي الأنفال (وإن استنصروكم يعني المجاهدين . وفي التوبة (فاستقيموا لهم) وفي يونس (فانتظروا) (فقل لي عملي) (وإيمانينك) (ولا يحزنك قولهم) لما يقتضى من الإمهال (أفأنت تكره) (فمن اهتدى) لأن معناه الإمهال (واصبر) وفي هود (إنما أنت نذير) أى تنذر ولا تجبر (اعملوا على مكاتكم) (انتظروا) وفي الرعد (عليك البلاغ) وفي النحل (إلا البلاغ) (عليك البلاغ) (وجادلهم) (واصبر) وفي الإسراء (ربكم أعلم بكم) وفي مريم (فأنذرهم) (فليمدد) (ولا تعجل) وفي طه (قل كل متربص) وفي الحج (وإن جادلوك) وفي المؤمنین (قدرهم) (ادفع) وفي النور (فإن تولوا) (وما على الرسول إلا البلاغ) وفي النمل (فمن اهتدى) وفي القصص (لنا أعمالنا) وفي العنكبوت (أنا نذير) لما يقتضى من عدم الإجمار ، وفي الروم (فاصبر) وفي لقمان (ومن كفر) وفي السجدة (فانظروا) وفي الأحزاب (ودع أذاهم) وفي سبأ (قل لا تسألون) وفي فاطر (إن أنت إلا نذير) وفي يس (فلا يحزنك) وفي الصافات (فقول) و(قول) وما يليهما ، وفي ص (اصبر) (أنا نذير) وفي الزمر (إن الله يحكم بينهم) لما فيه من الإمهال (فاعبدوا ما شئتم) (ياقوم أعمالوا) (فمن اهتدى) (أنت تحكم) لأن فيه تفويضا ، وفي المؤمن (فاصبر) في موضعين ، وفي السجدة (ادفع) وفي الشورى (وما أنت عليهم بوكيل) (لنا أعمالنا) (فإن أعرضوا) وفي الزخرف (فذرهم) (واصفح) وفي الدخان (فارتقب) وفي الجاثية (يغفروا) وفي الأحقاف (فاصبر) وفي القتال (فإمامنا) وفي ق (فاصبر) (وما أنت) وفي الذاريات (فقول) وفي الطور (قل تربصوا) (واصبر) (فذرهم) وفي النجم (فأعرض) وفي القمر (فقول) وفي ن (فاصبر) (سنستدرجهم) وفي المعارج (فاصبر) (فذرهم) وفي المزمل (واهجروهم) (وذرنى) وفي المدثر (ذرنى) وفي الإنسان (فاصبر) وفي الطارق (فمهمل الكافرين) وفي الغاشية (است عليهم بصيطر) وفي الكافرين (لكم دينكم) نسخ ذلك كله : (اقتلوا المشركين) ، و(كتب عليكم القتال)

الباب الثامن فى جوامع القراءة ، وهو على نوعين : مشهورة ، وشاذة ، فالمشهوره القراءات السبع ، وهو حرف نافع المدنى ، وابن كثير المسكى ، وأبو عمر بن العلاء البصرى ، وابن عامر الشامى ، وعاصم ، وابن حمزة والبكسائى الكوفيين . ويجرى مجراه فى الصحة والشهرة : يعقوب الحضرى بن يحيى ، وي زيد بن القعقاع . والشاذة ماسوى ذلك ، وإنما سميت شاذة لعدم استقامتها فى النقل ، وقد تكون فصيحة اللفظ ، أو قوية المعنى . ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاث شروط : موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو فى بعض اللغات ، ونقله نقلا متواترا أو مستفيضا

واعلم أن اختلاف القراء على نوعين : أصول ، وفرش الحروف . فأما الفرش : فهو ما لا يرجع إلى أصل مضطرد ، ولا قانون كلي ، وهو على وجهين : اختلاف في القراءة باختلاف المعنى ، وباتفاق المعنى . وأما الأصول : فالاختلاف فيها لا يغير المعنى . وهي ترجع إلى ثمان قواعد : الأولى : الهمزة ، وهي في حروف المد الثلاث ، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمزة والتقاء الساكنين . الثانية وأصله التحقيق ثم قد يحقق على سبعة أوجه : إبدال واو أو ياء أو ألف وتسهيل بين الهمزة والواو ، وبين الهمزة والياء ، وبين الهمزة والألف ، وإسقاط . الثالثة : الإدغام ، والإظهار ، والأصل الإظهار ، ثم يحدث الإدغام في المثلين ، أو المتقاربين وفي كلمة ، وفي كلمتين ، وهو نوعان : إدغام كبير انفرد به أبو عمرو : وهو إدغام المنتحزك . وإدغام صغير لجميع القراء : وهو إدغام الساكن . الرابعة : الإمالة ، وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة . وبالألف نحو الياء ، والأصل الفتح ، ويوجب الإمالة الكسرة والياء . الخامسة : التريق والتفخيم ، والحروف على ثلاثة أقسام يفخم في كل حال ، وهي حروف الاستعلاء السبعة ؛ ومفخم تارة ومرقق أخرى وهي الراء واللام والألف فأما الراء فأصلها التفخيم وترقق للكسر والياء ، وأما اللام فأصلها التريق وتفخم لحروف الإطباق ، وأما الألف فهي تابعة للتفخيم والتريق لما قبلها ، والمرقق على كل حال سائر الحروف . السادسة : الوقف ، وهو على ثلاثة أنواع : ساكن جازئ في الحركات الثلاثة ، وروم في المضموم والمكسور ، وإشمام في المضموم خاصة . السابعة : مراعاة الحظ في الوقف . الثامنة : إثبات الياءات وحذفها

الباب التاسع في الوقف ، وهي أربعة أنواع : وقف تام ، وحسن ، وكاف ، وقبيح ، وذلك بالنظر إلى الإعراب ، والمعنى فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه ، وما بعده مفتقراً إليه كذلك : لم يجوز إليه الفصل بين كل معمول وعامله ، وبين كل ذي خبر وخبره ، وبين كل ذي جواب وجوابه . وبين كل ذي موصول وصلته ، وإن كان الكلام الأول مستقلاً يفهم دون الثاني ؛ إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله ، فالوقف على الأول كاف ، وذلك في التوابع والفضلات : كالحال ، والتمييز ، والاستثناء وشبه ذلك إلا أن وصل المستثنى المتصل أكد من المنقطع ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة ، وإن كان الكلام مستقلاً والثاني كذلك ، فإن كانا في قصة واحدة فالوقف على الأول حسن ، وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام . وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى ، وكذلك اختلف الناس في كثير من الوقف من أقوالهم فيها : راجح ، ومرجوح ، وباطل ، وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام ( تنبيه ) هذا الذي ذكرنا من رعي الإعراب والمعنى في المواقف : استقر عليه العمل ، وأخذ به شيوخ المقرئين ، وكان الأوائل يراعون رؤس الآيات فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفقر في النثر والقوافي في الشعر ، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول : الحمد لله رب العالمين ثم يقف ، الرحمن الرحيم ثم يقف

الباب العاشر : في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان ، أما الفصاحة فلها خمسة شروط : الأول أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا مما غلظت فيه العامية ، الثاني أن تكون من الألفاظ المستعملة لامن الوحشية المستثناة ، الثالث أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له ؛ لا قاصرة عنه ، الرابع أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد . الخامس : أن يكون الكلام سالماً من الحشو الذي لا يحتاج إليه ، وأما البلاغة

فهى سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب ، ومن التهويل والتعظيم والتحقيق ، ومن التصريح والكناية والإشارة وشبه ذلك ، بحيث يهز النفوس ويؤثر فى القلوب ، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد ، وأما أدوات البيان : فهى صناعة البديع ، وهو تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب ، وقد وجدنا فى القرآن منها اثنين وعشرين نوعا ، ونهنا على كل نوع فى المواضع التى وقع فيها من القرآن وقد ذكرنا هنا أسماءها ونين معناه ، الأول المجاز : وهو اللفظ المستعمل فى غير مواضع له لعلاقة بينهما ، وهو اثنا عشر نوعا : التشبيه والاستعارة ، والزيادة ، والنقصان ، وتشبيه المجاور باسم مجاوره ، والملابس باسم ملابسه ، والكل ، وإطلاق اسم الكل على البعض ، وعكسه ، والتسمية باعتبار ما يستقبل ، والتسمية باعتبار مامضى ، وفى هذا خلاف هل هو حقيقة أو مجاز ، وانفق أهل علم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز فى القرآن لأن القرآن نزل بلسان العرب وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز ، ولا وجه لمن منعه ؛ لأن الواقع منه فى القرآن أكثر من أن يحصى . الثانى الكناية : وهى العبارة عن الشئ فيما يلازمه من غير تصريح . الثالث الالتفات : وهو على ستة أنواع : خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة ، وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة ، وخروج من الغيبة إلى التكلم أو الخطاب . الرابع التثنية : وهو ذكر شئ بعد اندراجه فى لفظ عام متقدّم ، والقصد بالتجديد تعظيم المجدد ذكره أو تحقيره ، أو رفع الاحتمال . الخامس الاعتراض : وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين : كالخبير والخير عنه ، والصفة والموصوف ، والمعطوف والمعطوف عليه ، وإدخاله فى أثناء كلام متصل . والقصد به تأكيد الكلام الذى أدرج فيه . السادس التجنيس : وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ، ثم الاتفاق قد يكون فى الحروف والصيغة ، أو فى الحروف خاصة ، أو فى أكثر الحروف لافى جميعها ، أو فى الخط لافى اللفظ ، وهو تجنيس التصحيف . السابع الطباق : وهو ذكر الأشياء المتضادة كالسواد والبياض والحياة والموت ، والليل والنهار ، وشبه ذلك . الثامن المقابلة ، وهو أن يجمع بين شيئين فصاعدا ثم يقابلهما بأشياء أخرى . التاسع المشاكلة : وهى أن تذكر الشئ بلفظ آخر لوقوعه فى صحبته . العاشر التريديد : وهو ردّ الكلام على آخره ويسمى فى الشعر ردّ العجز على الصدر . الحادى عشر لزوم مالا يلزم : وهو أن تلتزم قبل حروف الروى حرفا آخر ، وكذلك عند رؤوس الآيات . الثانى عشر القلب : وهو أن يكون الكلام يصلح ابتداء قراءته من أوله وآخره نحو عدد أو تعكس كلماته فتقدم المؤخر منها وتؤخر المقدم . الثالث عشر التقسيم : وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه أو أجزائه . الرابع عشر التتميم : وهو أن تزيد فى الكلام ما يوضحه ويؤكدّه وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة . الخامس عشر التكرار : وهو أن تضع الظاهر موضع المضمّر ، فتكرر الكلمة على وجه التعظيم أو التهويل ، أو مدح المذكور أو ذمّه أو للبيان . السادس عشر التهكم : وهو إخراج الكلام عن مقتضاه استهزاء بالمخاطب أو بالخبير ، كذلك البشارة فى موضع النذارة . السابع عشر اللف والنشر وهو أن تلف فى الذكر شيئين فأكثر ، ثم تذكر متعلقات بها ، وفيه طريقتان : أن تبدأ فى ذكر المتعلقات بالأول ، وأن تبدأ بالآخر . الثامن عشر الجمع : وهو أن تجمع بين شيئين فأكثر فى خبر واحد ، وفى وصف واحد وشبه ذلك . التاسع عشر الترصيع : وهو أن تكون الألفاظ فى آخر الكلام مستوفية الوزن ، أو متقاربة مع الألفاظ التى فى أوله . العشرون التسجيع : وهو أن يكون كلمات الآنى على روى واحد . الحادى والعشرون الاستطراد : وهو أن يتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ما بينهما ، ويكون الكلام الثانى

هو المقصود : كخروج الشاعر من السب إلى المدح بمعنى يتعاق بالطرفين ، مع أنه قصد المدح . الثاني والعشرون المبالغة : وقد تكون بصيغة الكلمة نحو صيغة فعال ومفعال وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف ، فإن اشتدت المبالغة فهو غلو وإغراب ، وذلك مستكره عند أهل هذا الشأن

الباب الحادى عشر : فى إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله عز وجل ، ويدل على ذلك عشرة أوجه : الأول فصاحته التى امتاز بها عن كلام المخلوقين . الثانى نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته . الثالث عجز المخلوقين فى زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمشله . الرابع ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم تعلم ذلك ولا قرأه فى كتاب . الخامس ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلية فوقعت على حسب ما قال . السادس ما فيه من التعريف بالبارى جل جلاله ، وذكر صفاته وأسمائه ، وما يجوز عليه . وما يستحيل عليه ، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده ، وإقامة البراهين القاطعة ، والحجج الواضحة ، والرّد على أصناف الكفار ، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه ، بل بوحى من العليم الخبير ، ولا يشك عاقل فى صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم . السابع ما شرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام ، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة ، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق ، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم . الثامن كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان ، عروسا عن التغيير والتبديل على طول الزمان ، بخلاف سائر الكتب . التاسع تيسيره للحفظ وذلك معلوم بالمعاينة . العاشر كونه لا يملئه قارئه ولا سامعه على كثرة التردد ، بخلاف سائر الكلام

الباب الثانى عشر : فى فضل القرآن . وإنما نذكر منه ما ورد فى الحديث الصحيح ، فمن ذلك ما ورد عن أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة والذى يقرؤه وينتفع به وهو عليه شاق فله اجران ، وعن أبى موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة : لا ريح لها وطعمها طيب ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الخنظلة : ليس لها ريح وطعمها مثل الريحانة : ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة : ليس لها ريح وطعمها مر ، وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها ، وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، فإن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع آخرين » وعن ابن عباس قال : بينما جبريل قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أو تيتهما لم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة » وعن أبى أمامة الباهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر

من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة ، وعن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم . قلت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم . فضرب فى صدرى ، وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر ، وعن النّوّاس بن سمعان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران - وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهما بعد - قال وإنيهما غمّامتان أو طلتان سوداوان بينهما شرف أو كأنهما فرقان من طير صواف تخافان عن صاحبهما ، وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال ، وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم تر آيات أنزلت علىّ لم ير مثلهن قط : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس

### المقدمة الثانية : فى تفسير معانى اللغات

نذكر فى هذه المقدمة الكلمات التى يكثر دورها فى القرآن ، أو تقع فى موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف ، وإنما جمعناها فى هذا الباب لثلاثة فوائد : أحدها تفسيرها للحفظ : فإنها وقعت فى القرآن متفرقة فجمعها أسهل لحفظها ، والثانية ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعانى التفسير ؛ لما أن تأليف القرآن جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور ، والثالثة : الاقتصار فنستغنى بذكرها هنا عن ذكرها فى مواضعها من القرآن خوف التّطويل بتكرارها ، وربما نهينا على بعضها للحاجة إلى ذلك ، ورتبناها فى هذا الكتاب على حروف المعجم ، فمن لم يجد تفسير كلمة فى موضعها من القرآن : فليُنظر فى هذا الباب ، واعتبرنا فى هذا الحروف : الحرف الذى يكون فاء الكلمة وهو الأصلى دون الحروف الزائدة فى أول الكلمات ﴿ حرف الهمزة ﴾ ( آية ) لها معنيان أحدهما علامة وبرهان والثانى آية من القرآن ، وهى كلام متصل إلى الفاصلة ، والفواصل هى رؤس الآيات ( أنى ) بقصر الهمزة معناه جاء ، ومضارعه يأتى ، ومصدره إتيان ، واسم الفاعل منه آت ، واسم المفعول منه مأتى ، ومنه قوله تعالى آتى بمد الهمزة معناه أعطى ، ومضارعه يؤتى ، واسم الفاعل مؤت ، ومنه والمؤتون الزكاة ( أبى ) يأتى أى امتنع ( أثر ) الشئ بقيته وأمارته ، وجمعه آثار والأثر أيضا الحديث ، وأثارة من علم بقية ، وأثاروا الأرض حنثوها وأثر الرجل الشئ يؤثره فضله ( أثم ) ذنب ، ومنه أثم وأثم أى مذنب ( أجر ) ثواب وبمعنى الأجرة ، ومنه استأجره وعلى أن تأجرنى ، وأما استجارك فأجره ويجركم من عذاب أليم ، ومن يجيرنى من الله ، وهو يجير ولا يجار عليه : فذلك كله من الجوار بمعنى التأمين ( آمن ) إيماننا أى صدق ، والإيمان فى اللغة التصديق مطلقا ، وفى الشرع التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والمؤمن فى الشرع المصدق بهذه الأمور ، والمؤمن اسم الله تعالى : أى المصدق لنفسه وقيل إنه من الأمن : أى يؤمن أوليائه من عذابه ، وأمن بقصر الهمزة وكسر الميم أمنا وأمانة : ضد الخوف وأمن من الأمانة ، وأمن غيره من التأمين ( أليم ) مؤلم أى مرجع ومنه تألمون ( إمام ) له أربعة معان : القدوة والكتاب ، والطريق ، وجمع أم أى تابع ، وهى للتهقين إماما ( أمّة ) لها أربعة معان : الجماعة من الناس ، والدين

والحين ، والإمام أى القدوة (أحى) لا يقرأ ولا يكتب ، ولذلك وصف العرب بالأميين (أم) لها معنيان  
 الوالدة ، والأصل ، وأم القرى مكة (أخرى) مؤنثة آخر وأخر (آل) له معنيان الأهل ، ومنه آل لوط ،  
 والأتباع والجنود ، ومنه آل فرعون (أمس) اليوم الذى قبل يومك والزمان الماضى (إناه) وقته وجمعه إنا  
 ومنه آباء الليل (أمر) له معنيان : أحدهما طلب الفعل على الوجوب أو الندب أو الإباحة ، وقد أتى صفة  
 الأمر لغير الطلب ، والتهديد ، والتعجيز ، والتعجب ، والخبر ، والثانى بمعنى الشأن والصفة ، وقد يراد به  
 العذاب ، ومنه جاء أمرنا (إسرائيل) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وهو والد الأسباط واليهود  
 ذريتهم (إياب) رجوع ومنه مآب أى مرجع ، ورجل أبواب كثير الرجوع إلى الله ، والتأويب التسييح ،  
 ياجبال أوبى (إفك) أشد الكذب ، والأفك : الكذاب ، وأفك الرجل عن الشيء : أى صرف عنه ،  
 ومنه توفكون (أوى) الرجل إلى الموضع بالقصر ، وآواه غيره بالمد ، ومنه المأوى (أف) كلمة شر  
 (آء الله) نعمه ، ومنه آء ربك (أسف) له معنيان : الحزن ، والغضب ، ومنه فلما آسفونا (أسوة)  
 بكسر الهمزة وضمها قدوة (أسى) الرجل يأسى أساً : أى حزن ، ومنه فلا تأس ، وكيف آسى (أذان)  
 بالقصر إعلام بالشيء ومنه الأذان بالصلاة ، والأذان بالمد : جمع أذن (إذن الله) بمعنى العلم والإرادة  
 والإباحة ، وأذنت بالشيء أعلمت به بكسر الذال ، وأذنت به غيرى بالمد (إصر) له معنيان ، الذنب ، والعهد  
 (أيد) أى قوة ، ومنه أيدناه ، وبنيناها بأيد ، والأيدى جمع يد ، فهزتها زائدة (أكل) بضم الهمزة اسم  
 المأكول ، ويجوز فيه ضم الهمزة وإسكانها ، والأكل بضم الهمزة المصدر (أيلة) غيضة (أثاث) متاع البيت  
 (أجاج) مز (أرائك) أسرة واحدها أريكة (آنية) له معنيان أحدهما جمع إناء ، ومنه آنية من فضة ، وشديدة  
 الحر ، ومنه عين آنية ، ووزن الأولى أفعلة ، والثانية فاعلة ومذكرها أن (أحد) له معنيان واحد ، ومنه  
 (الله أحد) واسم جنس بمعنى إنسان (أيان) معناه متى (أنى) بمعنى كيف ومتى (أين) للحصر (إن) المكسورة  
 المخففة أربعة أنواع شرطية ونافية وزائدة ومخففة من الثقيلة (أن) المفتوحة المخففة أربعة أنواع صدرية وزائدة  
 ومخففة من الثقيلة وعبرة عن القول (إنما) نوعان ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط وقد تخلو عن الشرط  
 ومجانبة (إذا) لها معنيان : ظرف زمان ماضى وسببية للتقليل (أو) العاطفة لها خمسة معان : الشك ، والإبهام ،  
 والإباحة ، والتخيير ، والناصفة للفعل بمعنى إلى أو إلا (أم) استفهامية وتديكون في معنى الإنكار والإضراب  
 وتكون متصلة للمعادلة بين ما قبلها وما بعدها ومنفصلة مما قبلها (إما) المكسورة المشددة للتوبيخ ، والشك  
 والتخيير ، وقد تكون مركبة من إن الشرطية وما الزائدة (إلا) المفتوحة المشددة أداة استثناء وتكون للإيجاب  
 بعد غير الواجب ، وتكون مركبة من إن الشرطية ولا النافية (أى) المشددة سبعة أنواع : شرطية ، واستفهامية  
 وموصولة ، ومنادى ، وصفة ، وظرفية إذا أضيفت إلى ظرف ، ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر (إي)  
 المكسورة المخففة ومعناها التصديق (إلى) معناه انتهاء الناية ، وقيل تكون بمعنى مع (الهمزة) للاستفهام ،  
 والتقدير ، والتوبيخ ، والتسوية ، وللمتكلم وأملية ، وزائدة للبناء

(حرف الباء) : (بارى) خالق ، ومنه البرية أى الخلق (بعث) له معنيان بعث الرسل وبعث الموتى من  
 القبور (بسط) الله الرزق وسعته ومعنى قبض وقدر الرزق : أى ضيقه ، ومن أسماء الله تعالى : القابض  
 والباسط ، وبسطة : زيادة (بشر) من البشارة وهى الإعلام بالخير قبل وروده ، وقد يكون للشر إذا ذكر

معها ، ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف ، ومنه المبشر والبشير ، واستبشر بالشيء فرح به (بعد) له معنيان : ضد القرب والفعل منه بعد بضم العين ، والهلاك والفعل منه بكسرها ومنه كما بعدت ثمود (بلاء) له معنيان : العذاب ، والاختبار ومنه أيضا ونبلوكم (بز) له معنيان : الكرامة ومنه بز الوالدين و : أن تبروهم ، والتقري ، والجمع لحصال الخير ومنه : البر من اتقى ، ورجل باز وبز والجمع أبرار والبر من أسماء الله تعالى (بات) معروف ومصدره يبات وبين الأمر دبره بالليل (بغتة) فجأة (بروج) جمع برج وهو الحصن ، وبروج السماء منازل الشمس والقمر (بين) ظرف وبين يدي الشيء ما تقدم قبله ، والبين الفراق والاجتماع لأنه من الأضداد (بينات) براهين من المعجزة وغيرها ومبينة من البيان (بين) من البيان وله معنيان : بين غير متعد ، ومبين لغيره (بدا) يبدو بغير همز : ظهر ، وأبديته : أظهرته ، والبادى أيضا من البداية ، ومنه بادون في الأعراب (بدأ) بالهمزة من الابتداء ويقال بدأ الخلق وأبدأه ، وقد جاء القرآن بالوجهين (بغى) له معنيان : العدوان على الناس ، والحسد ، والبغى بكسر الباء : الزنا ، ومنه امرأة بغى أى زانية ، وابتغى الشيء وبغاه : أى طلبه (بث) الحديث وغيره نشره ، والمبثوث : المنشر ، ومبثوته متفرقة ، والبث الحزن الشديد ، ومنه أشكوبثي (بوا) أنزل الرجل ومنه بواكم في الأرض ، ولبواهم ، ومبوا (بوار) هلك ، ومنه قوما بورا أى هلكت (بام) بالشيء رجع به ، وقد يقال بمعنى اعترف (بأساء) الفقر والبؤس والسدة والمحنة ، والبأس : الفقير من البؤس ، والبأس : القتال والشجاعة ، والمكروه ، وبأس الله عذابه وبأس كلمة ذم (برزخ) شيء بين شيئين ، والبرزخ ما بين الموت والقيامة (بديع) له معنيان جميل ، ومبدع أى خالق الشيء ابتداء (بسر) عبس ومنه : باسرة (بصير) من أبصر ، يقال : أبصرته وبصرته ، والبصائر البراهين جمع بصيرة (برز) ظهر ومنه : بارزة وبارزون (بطش) أخذ بشدة (بخس) نقص (بعل) له معنيان زوج المرأة وجمعه بعولة ، والبعل أيضا الرب ، وقيل اسم صنم ، ومنه : أندعون بعلا (بهجة) حسن ، وبهيج حسن (مبلسون) جمع مبلس وهو البأس ، وقيل الساكت الذى انقطعت حجته ، وقيل الحزين النادم منه يبلس ومنه اشتق إبليس (بهت) انقطعت حجته (تبارك) من البركة ، وهى الكثرة والنماء ، وقيل تقديس (بلى) جواب يقتضى إثبات الشيء (بل) معناها الإضراب عما قبلها (البام) للإصاق ، ولنقل الفعل فى التعدى ، وللقسم ، وللتعليل ، وللمصاحبة ، وللاستعانة ، وظرفية وزائدة

(حرف التاء) : (تلا) يتلو : له معنيان : قرأ ، واتبع (تقوى) مصدر مشتق من الوقاية فالتاء بدل من الوار : معناه الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه ، فهو جامع لكل خير (تاب) يتوب رجع توبة وتوبا فهو فهو تائب ، وتواب : كثير التوبة ، وتواب : اسم الله تعالى : أى كثير التوبة على عباده ، وتاب الله على العبد : ألهمه التوبة وقبل توبته (تاب) خسران ، وتب : خسرت (تبارك) هلاك ، ومنه متبر (أترفوا) انعموا ، والمترفون : المنعمون فى الدنيا

(حرف الشام) : (ثمود) قبيلة من العرب الأقدمين (ثوى) فى الموضع أقام فيه ومنه مثوى (ثبور) هلاك ، ومنه دعوا هنالك ثبورا أى صاحوا هلاكا (ثمر) ما يؤكل مما تنبت الأرض ويقال بالفتح والضم (ثقفوا) أخذوا وظفر بهم ، ومنه فإما تثقفنهم فى الحرب (ثاقب) مضى (ثم) بالفتح ظرف ، وبالضم حرف عطف يقتضى الترتيب والمهلة ، وقد يرد لغير الترتيب ، كالتأكيد ، وترتيب الأخبار (حرف الجيم) : (جعل) له أربعة معان : صير ، وأتى ، وخلق ، وأنشأ يفعل كذا (جناح) الطائر : معروف وجناح

الإنسان إبطه ، ومنه : اضمم إليك جناحك ، ولا جناح : لا إثم فعناه الإباحة ، وجنح للشئ مال إليه (لا جرم) لا بد (اجتبي) اختار (جدال) مخالفة ومخاصمة واحتجاج (تجارون) تصيحون بالدعاء (جوارى) جمع جارية وهى السفينة (أجرم) فهو مجرم ، له معنيان : الكفر ، والعصيان (جنة) الجنون ، وقد جاء بمعنى الملائكة (جان) له معنيان : الجن والحية الصغيرة (جنة) بالفتح البستان ، وبالكسر الجنون ، وبالضم الترس وما أشبهه مما يستتر به ، ومنه استعير : أيماهم جنة (جائية) أى على ركبهم لا يستطيعون مما هم فيه وقوله جيشا جمع جاث (الجرز) الأرض التى لا نبات فيها (جائمين) باركين على ركبهم (جبار) اسم الله تعالى له معنيان : قهار ، ومتكبر . وقد يكون من الجبر للكسير وشبهه ، والجبار أيضا الظالم (أحداث) قبور (جزى) له معنيان من الجزاء بالخير والشر وبمعنى أغنى ، ومنه : لا تجزى نفس . وأما أجزأ بالهمز فعناه كفى (جرح) له معنيان من الجروح وبمعنى الكسب والعمل ، ومنه جر حتم بالنهار . واجتر حوا السيئات ، ولذلك سميت كلاب الصيد جوارح لأنها كوانسب لأهلها (جنب) له معنيان من الجنابة وبمعنى البعد ومنه : عن جنب

(حرف الحاء) : (حمد) هو الثناء سواء كان جزاء على نعمه أو ابتداء ، والشكر إنما يكون جزاء ، فالحمد من هذا الوجه أعم ، والشكر باللسان والقلب والجوارح ، ولا يكون الحمد إلا باللسان ، فالشكر من هذا الوجه أعم (حميد) اسم الله تعالى أى بمعنى محمود (حكمة) عقل أو علم وقيل فى الكتاب والحكمة هى السنة (حكيم) اسم الله من الحكمة ومن الحكم بين العباد ، أو من إحكام الأمور وإتقانها (حليم) الحلم العقل وقد يقال بمعنى العفو ، والأحلام العقول ، والحليم من أسماء الله تعالى ، قيل الذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه ، وقيل معناه العفو عن الذنوب ، والأحلام ما يرى فى النوم (حبط) بطل وأحبطه الله أبطله (حنيف) مسلم وموحد الله ، وقيل حاج ، وقيل محتين ، والجمع حنفاء (محصنين ومحصنات) الإحصان له أربع معان : الإسلام والحزبية ، والعفاف ، والتزوج . وليحصنكم من بأسكم : بغيكم (حجة) بالضم : دليل وبرهان وحاج فلان فلانا : جدله ، وحجة عليه : بالحجة ، والحج بالفتح والكسر : القصد ، ومنه أخذ حج البيت ، وحجة بالكسر سنة ، وجمعها حجج (حطة) أى حط عنا ذنوبنا وقيل كلمة بالعبراية تفسيرها لا إله إلا الله (حضر) بالضاد من الحضور ، ومنه محضرون ، وشرب محضراً ، وبالظاء : من المنع ، ومنه : وما كان عطاء ربك محظورا . وكهشيم المحتظر ، وبالذال من الحذر وهو الخوف ، ومنه : إن عذاب ربك كان محذورا (حفظ) العلم : وعيه وحفظ الشئ حراسته ، والحفيظ : اسم الله تعالى ، قيل معناه العليم ، وقيل حافظ الخلق كالثم من المهالك (حاق) بهم أى حل بهم (جبل) من الله ومن الناس ، أى عهد ، وجبل الله القرآن وأصله بالحبل المعروف (حسب) بكسر السين ظن ، مضارعه بالفتح والكسر وحسب بالفتح من العدد ومضارعه بالضم ومنه الحساب والحسبان ، وحسباناً من السماء : أى مرام ، واحداها حسبانة (حساب) من الظن والعدد وبغير حساب يحتمل الوجهين وأن يكون من المحاسبة أن لا يحاسب عليه ومن التقدير أى بغير تضيق ، وعطاء حساباً : أى كافياً (حسيب) اسم الله تعالى ، فيه أربعة أقوال : كافي ، وعالم ، وقادر ، ومحاسب (حسبك الله) أى كافيك (حزن) تأسف على ماض أحوال الخوف ترفع فى المستقبل ، ويقال حزن بكسر الزاى ، وحزنه غيره ، وأحزنه أيضا (حصير) مجلس من الحصر ، وأحصر عن الشئ : حبس عنه ، وحسير بالسين : كليل (حصيد) هو ما يحصد من الزرع وغيره ، واستعير قائم وحصيد ، أى باق وزاهد (حميم) له معنيان الصديق ، والماء الحار (محيص)

مهرب (حجر) له أربعة معان: الحرام، والعقل، ومنازل ثمود، وحجر الكعبة (حمل) بكسر الحاء: ما على ظهر الدابة وغيرها، ويستعار للذنوب، وبالفتح ما في بطن المرأة وجمعه أحمال (إحسان) له ثلاث معان: فعل الحسنات، والإيناع على الناس، ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله صلى الله عليه وسلم «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» (حق) له أربعة معان: الصدق، والعدل في الحكم، والشئ الثابت، والأمر الواجب والحق: اسم الله تعالى: أى الواجب الوجود (حاصب) أى ريح شديدة سميت بذلك لأنها ترمى بالحصباء أى الحصا، والحاصب أيضا: الحجارة (حلية) حلى (حرج) ضيق أو مشقة (حول) له معنيان: العام، والحيلة، وحولا بكسر الحاء: انتقالا (حرث) الأرض مصدر ثم استعمل بمعنى الأرض والزرع والجنات (حس) بغير ألف قتل ومنه: إذ تحسونهم، وأحس من الحس (حرم) بضمين محرمون بالحج (حقب) بضمين، وأحقاب جمع حقب، وهو مدة من الدهر يقال إنه ثمانون سنة (حف) الشئ بالشئ أطاف به من جوانبه ومنه حففتها بنخل، والملائكة حافين (حل) بالمكان يحل بالضم والكسر، وحل من إحرامه يحل بالكسر لا غير (حطام) فتات، والحطام ما تحطم من عيون الزرع اليابس

حرف الحاء: (خلق) له معنيان: من الخلقة ومنه الخالق اسم الله وكذا الخلاق. وخلق الرجل ككذب ومنه تخلقون إفكا. واختلاق: أى كذب (خلاق) نصيب (خير) ضد الشر، وله أربعة معان: العمل الصالح والمال، والخيرة، والتفضيل بين شيئين (خلا) له معنيان: من الخلوة، وبمعنى ذهب ومنه: أمة قد خلت (خطيئة) ذنب، وجمعه خطايا وخطيات، والفعل منه خطى فهو خاطى، وأما الخطأ بغير عمد فالفعل منه أخطأ (خاسئين) مطرودين من قولاك خسئت الكلب ومنه: اخسوا فيها (خاف) بفتح الحاء وإسكان اللام، وله معنيان وراء، ومن خلف خلفه: بشر، فإذا خلفه بخير قيل بفتح اللام (خلاف) له معنيان من المخالفة، وبمعنى بعد، أودون، ومنه: بمقعدهم خلاف رسول الله (خول) أعطى (خلة) بضم الحاء مودة ومنه الخليل، وجمعه أخلاء (خلال) له معنيان: وداد، ومنه: لا يبيع فيه ولا خلال، وبمعنى بين، ومنه خلال الديار، وخلالكم (خز) يخز سقط على وجهه (خامدون) هالكون، وأصله من خمود النار (خطب) الخطب سبب الأمر والخطب أيضا الأمر العظيم، وخطبة النساء بالكسر، وخطبة الخطيب بالضم (يخرصون) يكذبون، ومنه: يخرصون والخرص أيضا التقدير وقيل: يخرصون منه: أى يقولون بالظن من غير تحقيق (خوان) كثير الحيانة (مختال) من الخيلاء (مخصة) من الخوص وهو الجوع (أخدان) جمع خدن وهو الخليل (خراج، وخرج) أى أجرة وخطية

حرف الدال (دين) له خمسة معان: الملة، والعادة، والجزاء، والحساب، والقهر (دأب) له معنيان: عادة، وجد، وملازمة، ومنه: سبع سنين دأبا: متابعة للزراعة من قولك: دأبت على الشئ: دمت عليه (أدنى) له معنيان: أقرب من الدنو، وأقل فهو من الدانى الحقير (دار السلام) الجنة (دوائر) صروف الدهر، واحداها دائرة، ومنه دائرة السوء (دعاء) له خمسة معان: الطلب من الله، والعبادة، ومنه: تدعون من دون الله، والتمنى: ولهم فيها ما يدعون، والنداء: ادعوا شهداءكم، والدعوة إلى الشئ: ادع إلى سبيل ربك (دابة) كل ما يدب فيجمع جميع الحيوان (دحور) إبعاد، ومنه المدحور المطرود (دع) بتشديد العين، يدع: أى دفع بعنف، ومنه يدع اليتيم، ويدعون إلى نار جهنم دعا (درا) دفع، ومنه يدروون (مدرارا) من در المطر إذا

صب (داخرين) صاغرين (دكت) الأرض : أى دقت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض ومنه : جعله دكا : أى مستويا مع الأرض

حرف الذال : (ذكر) له أربعة معان : ضد النسيان ، والذكر باللسان ، والقرآن ، ومنه : نزلنا الذكر ، والشرف ومذكر مفعول من الذكر (ذنوب) بضم الذال : جمع ذنب ، وبالفتح النصيب ، ومنه ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم : أى نصيبا من العذاب ، والذنوب أيضا : الدلو (ذبح) بكسر الذال : المذبح ، وبالفتح المصدر (ذرا) خلق ونشر (ذلول) مذلة للعمل من الفك ومنه : ذللناها لهم ، ورجل ذلول : من الذل بالضم ، وذلت قطوفها أدنيت (أذقان) جمع ذقن

حرف الراء : (رب) له أربعة معان : الإله ، والسيد ، والمالك الشيء ، والمصلح للأمر (ريب) شك ، ومنه : ارتابوا ، ومريب ، وريب المنون : حوادث الدهر (رجع) يستعمل متعديا بمعنى رد وغير متعد ، والمرجع اسم مصدر أو زمان أو مكان من الرجوع (رعى) له معنيان : من النظر ، ومن رعى الغنم (روح) له أربعة معان للنفس التي بها الحياة : يسئلونك عن الروح ، والوحي : ينزل الملائكة بالروح ، وجبريل : نزل به الروح الأمين ، وملك عظيم : تنزل الملائكة والروح ، وروح بفتح الراء رائحة طيبة ، والريحان : الرزق ، وقيل الشجر المعروف (ركام) بعضه فوق بعض ، ومنه مراكوم ، ويركمه (رجا) طمع وقد يستعمل في الخوف ، ومنه لا يرجون لقاءنا (رجال) جمع رجل ، وجمع راجل : أى غير راكب ، ومنه : يأتوك رجالا ، ومثله : نخيلك ورجلك (رفث) له معنيان : الجماع ، والكلام بهذا المعنى (رجز) عذاب . والرجز فاهجر : فهي الأوثان والرجس بالسین : النجس حقيقة ، أو مجازا ، وقد يستعمل بمعنى العذاب (رهب) خوف ، ومنه : يرهبون (رؤف) من الرأفة وهي الرحمة إلا أن الرأفة في دفع المكروه ، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجليل ، فهي أعم من الرأفة (مرضاة) مفعلة من الرضا (راسيات) ثابتات ، ومنه : قيل للجبال : رواسى ، ومنه : مرساها (رغدا) أى كثيرا (ربوة) مكان مرتفع (ربا) هو في اللغة الزيادة ، ومنه : ويربى الصدقات ، وربت الأرض : انفتحت (أزحام) جمع رحم ، وهو فرج المرأة ويستعمل أيضا في القرابة (أرجئه) أخره ، ومنه : ترجى ويرجون ، ويجوز فيه الهمز وتركه (رأى) من رؤية العين يتعدى إلي واحد ، ومن رؤية القلب بمعنى العلم : يتعدى إلى مفعولين (تربص) انتظر (رفات) فوات (أرذل) العمر : الهرم ، والأرذلون : من الرذالة (رقي) من الرقية بفتح القاف ، ومنه : وقيل من راق ، ورفى في السلم بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل (أرداكم) أهلككم ، والردي الهلاك ، ومنه : تردى ، وتردى (رجفة) زلزلة وشدة

حرف الزاي (زبر) بصمتين كتب ، والزبور كتاب داود عليه السلام (زخرف) زينة والزخرف أيضا : الذهب (زكاة) له في اللغة معنيان : الزكاة ، والطهارة ، ثم استعمله الشرع في إعطاء المال ، وهو من الزيادة ، لأنه يبارك له فيه فيزيد ، أو من الطهارة لأنه يطهره من الذنوب ، وزكص الرجل : أثبت عليه ، وزكا هو مخففة أى صار زكيا (زوج) له ثلاث معان : الرجل ، والمرأة ، وقد يقال زوجة ، والمعنى الصنف والنوع ، ومنه : أزواج من نبات ، ومن كل زوج كريم (زلّ) له معنيان : زلّ القدم عن الموضع ، وفعل الزلل (زاغ) عن الشيء زيغا مال عنه وأزاغه غيره : أماله (زاني) قرنى ، وأزلقت : قربت ، وزلفا من الليل : ساعات (زعم) أى ادعى ، ولم يوافق غيره ، قال ابن عباس : زعم كناية عن كذب (زعيم) ضامن (ترجى)

تسوق (زلزلة) الأرض : اهتزازها ، وتستعمل بمعنى الشدة والخوف ، ومنه : زلزلوا (زجرة) واحدة : صيحة بمعنى نفخة الصور ، والزجرة : الصيحة بشدة وانتهار ، وازدجر : من الزجر

حرف السين : (أسباط) جمع سبط وهم ذرية يعقوب عليه السلام كان له اثني عشر ولداً ذكرأ فأعقب كل واحد منهم عقبا ، والأسباط في نبي إسرائيل كلقبائل في العرب (سبيل) هو الطريق ، وجمعه سبل ، ثم استعمل في طريق الخير والشر ، وسبيل الله : الجهاد : وابن السبيل ، الضيف وقيل القريب (سوى) بالتشديد له معنيان : من التسوية بين الأشياء وجعلها سواء ، وبمعنى أتقن وأحسن ، ومنه فسواك فعدلك (سواء) بالفتح والهمز من التسوية بين الأشياء ، وسواء الجحيم : وسطها ، وسواء الصراط : قصد الطريق (سوى) بالكسر والضم مع ترك الهمزة استثناء ، وقد يكون من التسوية (سفهاء) جمع سفيه وهو الناقص العقل ، وأصل السفه : الحق ولذلك قيل لمبذر المال سفيه ، وللكفار والمنافقين : سفهاء (سلوى) طائر يشبه السمانى ، وكان ينزل على نبي إسرائيل مع امان (سأل) له معنيان طلب الشيء ، والاستفهام عنه ، وسأل بغير همز من المعنيين المذكورين ، ومن السيل (سبحان) تنزيهه ، وسبحان الله : أى زهته عما لا يليق به من الصاحبة والولد والشركاء والأنداد وصفات الحدوث وجميع العيوب والنقائص (سار) يسير مشى ليلا أو نهارا (سرى) يسرى مشى ليلا ، ويقال أيضا : أسرى بألف (سخر) يسخر بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع : أى استهزأ ، وسخر بالتشديد من التسخير (سخرىا) يضم السين من السخرة وهى تكليف الأعمال ، وبالكسر من الاستهزاء (سلطان) له معنيان البرهان ، والقوة ، ومنه لا ينفذون إلا بسلطان (سام) يسوم أى كلف الأمر والأزمة ، ومنه يسومونكم سوء العذاب ، وأصله من سوم السلعة فى البيع (سّم) يسأم : أى ملّ ، ومنه : وهم لا يسامون (سته) أى عادة (سلف) الأمر : أى تقدم ، وأسلفه الرجل : أى قدمه ، ومنه هنيئا بما أسلفتم (سراء) فعلاء من السرور (سارع) إلى الشيء : بادر إليه (سومة) عورة ، والسوء ما يسوء بالفتح والضم ، والسوآى فعلاء من السوء ، وسىء بهم : فعل بهم السوء (سته) بفتح السين : عام ، ولأمها محذوفة وجمعها سنون وقد تقال بمعنى الحفظ والجذب (سته) بكسر السين ابتداء النوم وفاؤها واو محذوفة لأنها من الوسن (سلك) يسلك له معنيان أدخل ومنه اسلك يدك وسلكه يتابع ، ومنه سلوك الطريق (أسفار) جمع سفر بفتحتين ، وجمع سفر وهو الكتاب (ساح) يسيح أى سار ، ومنه فسيحوا فى الأرض . والسائحون الصائمون (سؤل) بتشديد الواو : زين ، ومنه : سولت لكم أنفسكم أمرا (سرايل) جمع سربال وهو القميص (سبا) قبيلة من العرب (سموم) شدة الحر (سلام) له ثلاثة معان : التحية ، والسلامة ، والقول الحسن ، ومنه : إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (سلام) اسم الله تعالى معناه السلامة من كل نقص ، فهو من أسماء التنزيه ، وقيل سلم العباد من المهالك ، وقيل ذوالسلام على المؤمنين فى الجنة (سلم) بفتحتين : انقياد وإلقاء باليد ، وهو أيضا بيع (سلم) بفتح السين وإسكان اللام صلح ومهادنة (سلم) بكسر السين وإسكان اللام ومعناه الإسلام ، وبضم السين وفتح اللام مشددة : هو الذى يصعد فيه (أسلم) يسلم له ثلاث معان : الدخول فى الإسلام ، والإخلاص لله ، والانقياد ، ومنه : فلما أسلمنا (سعى) يسعى ، له ثلاث معان : عمل عملا ، ومنه وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، ومشى ، ومنه : فاسعوا إلى ذكر الله ، وأسرع فى مشيه ، ومنه : رجل يسعى (سكن) يسكن له معنيان : من السكون ضد الحركة ، ومن السكنى فى الموضع (سكينة) وقار وطمأنينة (سائغ) سهل الشرب

لا يفتحص به من شربه (سابغات) دروع واسعات (أساطير) الأولين : ما كتبه المتقدمون (هسيطر) أى مسلط ، وأم هم السيطرون : الأرباب (سندس) وإستبرق : ثياب حرير ، قيل السندس : رقيق الديقاج ، والإستبرق : صفيقه (سحقا) بعدا ، ومنه مكان سحق : أى بعيد (سعير) جهنم ، وسعرت : أوقدت (سبب) وجمعه أسباب له خمسة معان : الحبل ، ومنه : فليمدد بسبب إلى السماء ، والاستعارة من الحبل في الموثة والقرابة ، ومنه ، وتقطعت بهم الأسباب ، والطريق ومنه : فأتبع سببا ، والباب ومنه : أسباب السموات ، وسبب الأمر : موجب له حرف الشين : (شعر) بالأمر يشعر : أى علمه ، والشعور : العلم من طريق الحس ، ومنه : لا يشعرون (شهد) يشهد له معنيان : من الشهادة على الشيء ، ومن الحضور ، ومن الشهادة في سبيل الله (شكرا) قد تقدم في الحمد والشكر ، والشكور : اسم الله المجازى لعباده على أعمالهم بجزيل الثواب ، وقيل المثني على العباد (شرى) أى باع ، وقد يكون بمعنى اشترى (شقاق) عداوة ومعاندة ، ومنه : ومن يشاقق الله (شهاب) كوكب ، وقد يطلق على شعلة النار (شجر) هو كل ما ينبت في الأرض ، وشجر بينهم : أى اختلفوا فيه (شنان) عداوة وشر ، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها (شرع) الله الأمر : أى أمر به ، والشريعة والشرعة : الملة وشرعة الماء : في الدواب ، شعائر الله : معالم دينه ، واحدها شعيرة أو شعارة (شرك) له معنيان : من الإشراف ، وهو أيضا النصيب ، ومنه أم لهم شرك في السموات (شركاء) جمع شريك (مشحون) أى مملوء

(حرف الصاد) (صراط) هو في اللغة الطريق ثم استعمل في القرآن بمعنى الطريقة الدينية ، وأصله بالسين ثم قلبت صادًا لحرف الإطباق بعدها ، وفيه ثلاث لغات : بالصاد ، وبالسين ، وبين الصاد والزاي (صلاة) إذا كانت من الله فمعناها رحمة ، وإذا كانت من المخلوق فالها معنيين : الدعاء ، والأفعال المعلومة (صوم) أصله في اللغة الإمساك مطلقا ، ثم استعمل شرعا في الإمساك عن الطعام والشراب ، وقد جاء بمعنى الصمت في قوله : إني نذرت للرحمن صوما ، لأنه إمساك عن الكلام (صدقة) يطلق على الزكاة الواجبة ، وعلى التطوع ، ومنه إن المصدقين والمصدقات ، وأما : أثبتك لمن المصدقين ، بالتخفيف فهو من التصديق (صدقة) بضم الدال صدق المرأة ، ومنه : وآتوا النساء صدقاتهن نحلة . والصدق في القول : ضد الكذب ، والصدق في الفعل صدق النية فيه ، والصدق في القصد : العزم الصادق (صعد) يصعد : أى ارتفع ، وأصعد بالألف يصعد بالضم : أى أبعث في الهروب ، ومنه إذ تصعدون ، صعيدا طيبا : أى ترابا ، والصعيد : وجه الأرض (صد) له معنيان فالمتعدى بمعنى منع غيره من شيء ، ومصدره صد ، ومضارعه بالضم ، وغيره بمعنى أعرض ومصدره صدود (صار) له معنيان : من الانتقال ومنه : تصير الأهور ، والمصير ، وبمعنى ضم ، ومضارعه يصور ومنه : فصرهن إليك (صاعقة) له ثلاثة معان : الموت ، وكل بلاء يصيب ، وقطعة نار تنزل من شدة الرعد والمطر ، وجمعها صواعق (أصر) على الذنب يصر إصراراً : دام عليه ولم يتب منه (صواع) مكيال وهو السقاية والصاع ، وسواع بالسين اسم صنم (صابئين) قوم يعبدون الملائكة ويقولون إنها بنات الله . وقيل إنهم يرون تأثير الكواكب . وفيه لغتان . الهمز وتركه . من صبا إلى الشيء : إذا مال إليه (تصطلون) تفتعلون من صبا بالنار إذا تسخن بها والطاء بدل من التاء (اصطفي) أى اختار . وأصله من الصفي . أى اتخذ صفيا (صغار) بفتح الصاد ذلة . ومنه صاغرون . والصغير ضد الكبير (صدف) عن الشيء يصدف . أعرض عنه (صريح) مغيث ومنه : ما أنا بمصرخكم (صلصال) طين يابس . فإذا مسته النار فهو نفاخ (صرح) قصر وهو أيضا البناء العالي

حرف الضاد: (ضرب) له أربعة معان: من الضرب باليد وشبهه. ومن ضرب الأمثال. ومن السفر. ومنه ضربتم في الأرض. ومن الالتزام. ومنه ضربت عليهم الذلة. أى ألزموها، وضربنا على آذانهم: أى ألقينا عليهم النوم. و«أفضرِبْ عنكم الذكر» أى تمسك عنكم التذكير (ضاعف) الشيء: كثره. ويجوز فيه التشديد وضعف الشيء بكسر الضاد. مثلاه، وقيل مثله. والضعف أيضا العذاب. والضعف بالضم ويجوز فيه الفتح (ضرت) بفتح الضاد وضمها بمعنى واحد. وكذلك الضير بالياء. ومنه لا يضركم كيدهم. والضرّ ما يصيب من المرض وشبهه (ضحى) أول النهار. والفعل منه أضحى. وأما ضحى بكسر الحاء. يضحى في المضارع. فغناه برز للشمس وأصابه حرّها. ومنه لا تظمأ فيها ولا تضحى (ضيف) يقال للواحد والاثنين والجماعة (ضيق) بكسر الضاد مصدر. وبفتحها مع إسكان الياء: تخفيف من ضيق المشدّد: كميت وميت

حرف الطاء: (طبع) ختم، والخاتم الطابع (طول) بفتح الطاء: فضل أو غنى (طائر) له معنيان: من الطيران ومن الطيرة (طوى) قيل اسم الوادى وقيل معناه مرتين، أى قدس الوادى مرتين (طهارة) له معنيان: الطهارة بالماء، ومنه: جنباً فاطهروا، والماء الطهور وهو المطهر، والطهارة من القبائح والردائل، ومنه: أناس يتطهرون. (طيب) له معنيان: اللذيذ، والحلال (طوفان) السيل العظيم (طاغوت) أصنام وشياطين، ويكون مفرداً أو جمعا، والطاغوت أيضا: رؤوس النصارى على قول (طباقي) بعضها على بعض، وطبقا عن طبق: حالا بعد حال (طور) جبل وهو الطور (طفق) يفعل كذا: أى جعل يفعله (طائفين) من الطواف، وطائف من الشيطان لم وقرئ طيف

حرف الظاء: (ظهر) الأمر: بدا، وأظهره غيره: أبداه، وظهير: معين (ظاهر) الرجل من امرأته، وتظاهر، وتظهر: أى قال لها: أنت علىّ كظهر أمى، وهو الظاهر (ظهر) البيت أعلاه وظهرته أى ارتفعت عليه، ومنه: فما استطاعوا أن يظهره (ظلم) وقع في القرآن على ثلاثة معان: الكفر، والمعاصى، وظلم الناس: أى التعدى عليهم (ظن) له ثلاثة معان: التحقيق، وغلبة أحد الاعتقادين، والتهمة (ظمئ) عطش (ظلال) جمع ظل، وظلل بالضم جمع ظلة وهى ما كان من فوقه وظل بالنهار بمنزلة بات بالليل

حرف العين: (عاذ) بالله يعود أى استجار به ليدفع عنه ما يخاف، ويقال أيضا استعاذ يستعيز، ومنه عدت بربى، ومعاذ الله (العالمين) جمع عالم، وهو عند المتكلمين: كل موجود سوى الله تعالى، وقيل العالمين: الإنس والجن والملائكة، فجمعه جمع العقلاء، وقيل الإنس خاصة، لقوله: «أتأتون الذكّران من العالمين، (يعمهون) يتحIRON في ضلالهم، والعمه: الحيرة (عدل) يعدل: ضدّ جار، وعدل عن الحق، عدولا، وعدلت فلانا بفلان: سويت بينهما، ومنه: أو عدل ذلك صياما (عزّين) اسم الله تعالى، معناه: الغالب، وعزّ: غلب، ومنه: وعزنى فى الخطاب، والغلبة ترجع إلى القوّة والقدرة، ومنه: فعزّنا بثالث: أى قوينا، وقيل العزيز القديم المثل (عفا) له أربعة معان: عفا عن الذنب: أى صفح عنه، وعفا: أسقط حقه، ومنه إلا أن يعفون أو يعفو الذى، وعفا القوم: كثروا، ومنه: حتى عفوا، وعفا المنزل: إذا درس (عفو) له ثلاث معان، العفو عن الذنب، والإسقاط، والسهل من غير كلفة: ومنه: ماذا ينفقون قبل العفو (عين) بكسر العين وإسكان الياء: وهو جمع عيناء (عنت) معناه الهلاك أو المشقة، ومنه: ولو شاء الله لأعنتكم: أى أهلكم، أو ضيق عليكم، والعنت أيضا: الزنا، ومنه: ذلك لمن خشى العنت منكم، . وأما عنت الوجوه: فليس من

هذا ، لأن لأمه واو فهو من عتا يعتو إذا خضع (عاقب) له معنيان : من العقوبة على الذنب ، ومن العقبي ، ومنه : وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم : أى أصبتم عقبا (أعجاز) نخل : أصولها ، أعجز الشيء : إذا فات ولم يقدر عليه ، ومنه : وما هم بمعجزين ، وما كان الله ليعجزه من شيء ، وأما معاجزين بالآلف : فعناه مسابقين (عال) يعيل عيلة : أى افتقر ومنه : ووجدك عائلا ، وعال يعول : عدل عن الحق ، وعال يعول أيضا : كثر عياله ، والأشهر أن يقال في هذا المعنى أعال بالآلف (عرج) يعرج بفتح الراء في الماضي ، وضمها في المضارع صعد وارتقى ومنه المعارج ، وعرج بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل : صار أعرج (عتبي) معناه الرضى ، ومنه : فهاهم من المعتبين ، ولا هم يستعتبون ، العتاب العدل (أعد) بالآلف يست الشيء : هياه ، وعدت بغير الآلف من العدد (عرش) سرير الملك ، ومنه : ورفع أبويه على العرش ، وأهكذا عرشك ، وعرش الله فوق السماء ، وتعرشون تبنون ، وعلى عروشها سقوفها (عورة) أصل معناه الانكشاف فيما يكره كشفه ، ولذلك قيل عورة الإنسان ، عورات : أى أوقات انكشاف ، ويوتنا عورة : أى خالية معرضة للسراق (عافر) له معنيان : المرأة العقيم ، واسم فاعل من عقر الحيوان (عبر) يعبر ، له معنيان من عبارة الرؤيا ومنه : إن كنتم للرؤيا تعبرون ، ومن الجواز على الموضع ، ومنه : عابر سبيل (عمون) جمع عم ، وهو صفة على وزن فعل بكسر العين من العمى فى البصر أو فى البصيرة (علا) يعلو : تكبر ، ومنه قوما عالين ، وعلا فى الأرض ، والعالى اسم الله ، والمتعالى ، والأعلى : من العلو بمعنى الجلال والعظمة ، وقيل بمعنى التنزيه عن عمال يلق به (عزب) الشيء : غاب ، ومنه : لا يعزب عن ربك : أى لا يخفى عنه (عصبة) جماعة من العشرة إلى الأربعين (علقة) واحدة العلق : وهو الدم (عاصف) ريح شديدة (عصف) ورق الزرع

حرف الغين : (غشاوة) غطاء إما حقيقة أو مجاز (غمام) هو السحاب (غلف) جمع أغلف ، وهو كل شيء جعلته فى غلاف : أى قوينا محجوبة (غرفة) بضم الغين لها معنيان : المسكن المرتفع ، والغرفة من الماء بالضم وبالفتح : المرة الواحدة (غادر) ترك ، ومنه لم تغادر (غل) ينزل : من الغلول ، وهو الخيانة والأخذ من المغنم بغير حق ، والغل الحقد (أغلال) جمع غل بالضم ، وهو ما يجعل فى العنق ، ومنه مغلولة (غلا) يغلو من الغلو وهو مجاوزة الحد والإفراط ، ومنه لا تغلوا فى دينكم أى لا تجاوزوا الحد (غائط) المكان المنخفض ، ثم استعمل فى حاجة الإنسان (غشى) الأمر يغشى بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع معناه غطى حسا ومعنى ، ومنه : والليل إذا يغشى ؛ لأنه يغطى بظلامه ، وينقل بالهمزة والتشديد ، يقال غشى وأغشى ، ومن فوقهم غواش يعى ما يغشاهم من العذاب أو يصيبهم ، ومنه : غاشية من عذاب الله ، والغاشية أيضا : القيامة ؛ لأنها تغشى الخلق (غبر) له معنيان : ذهب وبقى ، ومنه عجوزا فى الغابرين : أى فى الهالكين أو فى الباقيين فى العذاب (غور) بضم الغين . وبفتحها : اسم فاعل مبالغة ، ويراد به إبليس (غاض) الشيء : نقص ، ومنه : وغيض الماء . وتغيض الأرحام . وغاز بالطاء يغيظ من النيظ (غور) غاير من غار الماء إذا أذهب (غرام) عذاب ومنه : إنا لمغرمون ، والمغرم : غرم المال ومنه : من مغرم مثقلون

حرف الفاء : (فرقان) مفترق بين الحق والباطل . ومنه : يجعل لكم فرقا : أى تفرقة . ولذلك سمي القرآن بالفرقان (فئة) جماعة من الناس (فصال) فطام من الرضاع (فضل) له معنيان : الإحسان . والربح فى التجارة وغيرها . ومنه : يتغنون من فضل الله (فسق) أصله الخروج وتارة يرد بمعنى الكفر . وتارة بمعنى العصيان

(فتنة) لها ثلاثة معان: الكفر. والاختبار. والتعذيب (فاه) بفتح الفاء: بضم الفاء: سفينة. ويستوى فيه المفرد والجمع (فلك) بفتحين القطب الذى تدور به الكواكب (فزع) له معنيان: الخوف والإسراع. ومنه: إذا فزعوا فلا فوت (فرح) له معنيان: السرور والبطر (فاحشة) وفحشاء: هى كل ما يقبح ذكره من المعاصى (فرض) له معنيان: الوجوب. والتقدير (فتح) له معنيان فتح الأبواب. ومنه فتح البلاد وشبهها. والحكم ومنه: افتح بيننا وبين قومنا. ويقال للقاضى فاتح. واسم الله الفتح: قيل الحاكم. وقيل خالق الفتح والنصر (انفضوا) تفرقوا (فطره) خلقه ابتداء. ومنه: فاطر السموات والأرض. وفطرة الله: التى خلق الخلق عليها. وأفطر بالآلف من الطعام (فطور) شقوق. ومنه انفطرت أى انشقت. ويتفطرن (فج) طريق واسع وجمعه فجاج (فار التنور) يقال لكل شئ هاج وعلا حتى فاض. ومنه: وهى تفور. وقولهم فارت القدر (فوج) جماعة من الناس وجمعه أفواج (فاكهين) من التلذذ بالفاكهة أو من الفكهة وهى السرور واللهاو (فؤاد) هو القلب، وجمعه أفئدة (استفنز) يستفنز: أى استخف (فقه) فهم. ومنه: لا يفقهون. وما نفقه كثيرا (فى) حرف جر بمعنى الظرفية. وقد تكون للتعليل. وقد تكون بمعنى مع. وقيل بمعنى على (الفاء) لها ثلاثة أنواع: عاطفة. ورابطة. وناصبة للفعل يا ضمرا أن. ومعناها الترتيب والتعقيب والسبب

حرف القاف: (قرآن) القرآن العزيز. ومصدره قرأ: أى تلا. ومنه إن علينا جمعه وقرآنه (قنوت) له خمسة معان: العبادة. والطاعة. والقيام فى الصلاة. والدعاء. والسكوت (قضاء) له سبعة معان: الحكم. والأمر. والقدر السابق. وفعل الشئ، والفراغ منه، والموت، والإعلام بالشئ، ومنه: قضينا إليه ذلك الأمر (قدر) له خمسة معان: من القدرة، ومن التقدير، ومن المقدار، ومن القدر، والقضاء، وبمعنى التصديق نحو: فقدر عليه رزقه، وقد يشد الفعل ويخفف. والقدر بفتح الدال وإسكانها القضاء والمقصدار وبالفتح لاغير من القضاء (قام) له معنيان: من القيام على الرجلين، ومن القيام بالأمر بتقديره وإصلاحه، ومنه: الرجال قوامون على النساء، وقام الأمر: ظهر واستقام، ومنه: الدين القيم دين القيامة (أقام) له ثلاثة معان: أقام الرجل غيره من القيام، ومن التحويم ومنه: جدارا يريد أن ينقض فأقامه، وأقام فى الموضع: سكن، ومنه مقيم أى دائم (قيوم) اسم الله تعالى وزنه فيقول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور: معناه مدبر الخلاق فى الدنيا وفى الآخرة ومنه: قائم على كل نفس: له معنيان: مصدر قام على اختلاف معانيه، وبمعنى قوام الأمر وملاكه، وقيم بغير أل: جمع قيمة (قرض) سلف والفعل منه أقرض يقرض (أقسط) بألف: قسطا: عدلا فى الحكم، ومنه يحب المقسطين، وقسط بغير ألف: جار، ومنه: وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (مقاليد) فيه قولان: خزائن، ومفاتيح (قدس) يقدس من التنزيه والطهارة، وقيل من التعظيم، والقدوس: اسم الله تعالى فعول من النزاهة عما لا يليق به (قال) يقول من القول، وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول، وقال يقيل: من القايلة، ومنه: أوهم قائلون، وأحسن مقيلا (قنى) اتبع، وأصله من القفا، يقال أقفوت: إذا حبيت فى أثره ووقفته بالتشديد: إذا سقت شيئا فى أثره، ومنه: وقفينا من بعده بالرسول (قرن) جماعة من الناس، وجمعه قرون (قواعد) البيت: أساسه، واحدها قاعدة، والقواعد من النساء: واحدة قاعدة، وهى المعجوز (قربان) ما يتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها، وقربان أيضا من القرابة (قلى) يقلى: أبغض، ومنه: وما قلى، ولعلمكم من القالين (اقرف) اكتسب حسنة أو سيئة (قصص) له معنيان: من الحديث، ومن قص الأثر، ومنه:

على آثارهما قصصا، وقصيه (قررت) به عينا، قرر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع (ق-طاس) ميزان (قتر) وقرة: غبار، وعبرة عن تغير الوجه، وقور من التقير (قارعة) داهية وأمر عظيم (قبس) شمعة نار (قنط) يئس من الخير (قرطاس) صحيفة. وجمعه قرطيس

حرف الكاف: (كافر) له معنيان: من الكفر وهو الجحود، وبمعنى الزرع، ومنه: أعجب الكفار نباته أى الزراع، وتكفير الذنوب غفرانها (كرة) رجعة (كبر) بكسر الباء من السن يكبر بالفتح في المضارع، وكبر الأمر بالضم في المضارع والماضي، وكبر بضم الكاف وفتح الباء: جمع كبرى، وكبار بالضم والتشديد: كبير مبالغة، والكبر: التكبر، وكبر الشيء بكسر الكاف وضمها: معظمه، والكبرياء: الملك والعظمة، والمتكبر: اسم الله تعالى من الكبرياء، وبمعنى العظمة (كفل) يكفل: أى ضم الصبي وحضنه، وأكفلنيها اجعلني كافلها (كفيل) نصيب (كلالة) هى أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد (كاد) قارب الأمر ولم يفعله فإذا نفي اقتضى الإثبات (كريم) من الكرم وهو الحسب والجلالة والفضل، وكريم: اسم الله تعالى أى محسن (أكنه) أغطيه وأكنان جمع كن، وهو ما وقى من الحر والبرد (كهل) هو الذى انتهى شبابه (أكام) الثمار والنخيل جمع كم وهو ما تكون الثمرة فيه قبل خروجها (أكب) الرجل على وجهه فهو مكب، وكبه غيره بنير ألف (كهف) غار (كيد) هو من المخلوق احتيال، ومن الله مشيئة أمر ينزل بالعبد من حيث لا يشعر (كسفا) بفتح السين جمع كسفة، وهى القطعة من الشيء وبالسكون كذلك أو مفرد (كبتوا) أى أهلكوا: أى يكبتهم، ثم يهلكهم، أو يخذلهم (أكمه) هو الذى ولد أعمى (كان) على نوعين: تامة بمعنى حضر أو حدث أو وقع، وهى ترفع الفاعل. وناقصة: ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضى ثبوت الخبر للخبر عنه فى زمانها، وقد تأتى بمعنى الدوام فى مثل قوله: وكان الله غفورا رحيما، وكان ربك قديرا، وشبه ذلك، وهو كثير فى القرآن، ومعناه: لم يزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف (كأن) معناها التشبيه (كى) معناها التعليل (كم) معناها التكثير، وهى خبرية واستفهامية (كأين) بمعنى كم، وهى عند سيويو كاف التشبيه دخلت على أى (كلا) حرف ردع وزجر، وقيل إنها تكون للنفي: أى ليس الأمر كما ظننت، وقيل إنها استفتاح كلام بمعنى إلا (الكاف) بمعنى التشبيه وبمعنى التعليل، وقيل إنها تكون زائدة.

حرف اللام: (لبس) الأمر أى خلطه بفتح الباء فى الماضى وكسرها فى المستقبل (ألباب) عقول، وهو جمع لب (لبث) فى المكان أقام فيه (لمز) يلز: أى عاب الشيء. (لؤلؤ) جوهر (لغو) الكلام: الباطل منه، والفحش، ولغو اليمين: ما لا يلزم (لها) بفتح الهاء من اللهو، ومضارعه يلهو، وهى عن الشيء بالكسر والياء يلهى بالفتح. إذا أعرض عنه وألهاه الشيء. إذا أشغله، ومنه لا تلهمكم أموالكم (لطيف) اسم الله تعالى، قيل معناه رفيع، وقيل خير بخفيات الأمور (لدى ولدن) معناها عند (ليت) معناها التمنى (لعل) معناها الترجى فى المحبوبات، والتوقع للسكروهاة، وأشكل ذلك فى حق الله تعالى، فقيل جاءت فى القرآن على منهاج كلام العرب وبالظر إلى المخاطب: أى ذلك مما يرتجى عندكم أى يتوقع، وقد يكون معناها التعليل، أو مقارنة الأمر فلا إشكال (لولا) لها معنيان. التمنى، وامتناع شيء لا امتناع غيره (لما) لها معنيان: النفي وهى الجازمة ووجود شيء لوجود غيره وأما «لما» بالتخفيف، فهى لام التأكيد دخلت على ما، وقال الكوفيون هى

بمعنى إلا الموجبة بعد النفي (لا) ثلاثة أنواع : نافية ، وناهية ، وزائدة (اللام) خمسة أنواع : لام الجر ، ولام كي ، ولام الأمر ، ولام التأكيدي في القسم وغيره وهي المفتوحة ، ثم إن لام الجر لها ثلاثة معان . الملك ، والاستحقاق ، والتعليل . وقد تأتي التعدي إذا ضعف العامل ، وقد تأتي بمعنى عند ، نحو أقم الصلاة لدلوك الشمس ، ولام كي معناها التشبيه والتعليل ، وقد تأتي بمعنى الصيرورة والعاقبة ، نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا . وقد تأتي بمعنى أن المصدرية ، ومنه : يريد الله ليبين لكم

حرف الميم : (مرض) الجسد معروف ، ومرض القلب : الشك في الإيمان ، والبغض في الدين (المن) شبه العسل ، والسلوى طائر ، والمن أيضا : الإناعام ، والمن أيضا : العطية ، والمن أيضا : القطع ، ومنه أجر غير ممنون (أمانى) جمع أمنية ولها ثلاثة معان : ما تنفاه النفس ، والتلاوة ، والكذب . وكذلك تمنى ، له هذه المعاني الثلاثة (ملا) القوم : أشرفهم ، وذو الرأي منهم (مثل) بفتح الميم والمثلثة ، لها أربعة معان : الشبيه والنظير ومن المثل المضروب ، وأصله من التشبيه ، ومثل الشيء حاله وصفته ، والمثل الكلام الذي يتمثل به ، ومثل الشيء بكسر الميم شبهه (مرية) شك ، ومنه : الممرتين أى الشاكين ، لا تمار : من المرء وهو الجدال (أملى) لم : أمهلهم وزادهم (مهاد) فراش (مد) يمد : أى أملى ، وقد تكون بمعنى زاد مثل أمد بألف من المداد (مضغة) قطعة لحم (إملاق) فقر (مرد) فهو وارد : من العتق والضلال (مكانة) بمعنى مكان أى من التمكين والعز ، ومنه مكين (واخر) فواعل من المنخر يقال منخرت السفينة إذا جرت تشق الماء (مجيد) من المجد وهو الكرم والشرف (مقت) هو الدم أو البغض على ما فعل من القبيح (معين) ماء كثير جار وهو من قولك : معن الماء إذا كثرت ، وقيل : هو مشتق من العين ، ووزنه مفعول ، فإيم زائدة (مارج) مختلط والمارج لخب النار ، من قولك مرج الشيء إذا اضطرب ، وقيل من الاختلاط أى خاط نوعين من النار (مرج) البحرين ، أى خلى بينهما ، وقيل خلطهما ، وقيل فاض أحدهما في الآخر (مهل) فيه قولان : دردى الزيت ، وما أذيب من النحاس (منون) له معنيان : الموت ، والدهر (مس) له معنيان : اللبس باليد وغيره ، والجنون (من) لها أربعة أنواع : شرطية ، وموصولة ، واستفهامية ، ونكرة موصوفة (ما) إذا كانت اسما فالها ستة أنواع : شرطية ، وموصولة ، واستفهامية ، وموصوفة ، وصفة ، وتعجبية ، وإذا كانت حرفا فالها خمسة أنواع : نافية ومصدرية وزائدة وكافية ومبهمة (من) لها ستة أنواع : لابتداء الغاية ، ولجمل الغاية ، وللتبويض ، وليبان الجنس والتعليل ، وزائدة (مهما) اسم شرط

حرف النون : (نظر) له معنيان . من النظر ، ومن الانتظار ، فإذا كان من الانتظار تعدي بغير حرف ، ومن نظر العين يتعدى إلى ، ومن نظر القلب يتعدى نفي (أنظر) بالالف آخر ، ومنه أنظرنى ، ومن المنظرين ونظرة إلى ميسرة (نصرة) بالضاد من التنعم ، ومنه وجوه يومئذ ناضرة : أى ناعمة ، وأما إلى ربها ناظرة ، فمن النظر (نعمة) بفتح النون من النعيم وبكسرها من الإناعام (أنعام) هى : الإبل ، والبقر ، والغنم . دون سائر البهائم ويجوز تكبيرها وتأنيثها ، ويقال لها أيضا نعم ، ونعم كلمة مدح ، ويجوز فيها كسر النون وفتحها ، وإسكان العين وكسرها (نعم) بفتح العين والنون كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها بالنفي أو الإثبات ، بخلاف بلى : فإنها للإثبات خاصة ، ويجوز في نعم فتح العين وكسرها (ند) هو المضاهى والمائل والمعانت ، وجمعه أنداد (أنذر) أعلم بالمكروه قبل وقوعه ، ومنه : نذير ، ومنذر ، والمنذرين ، وكيف كان نذير : أى إنذارى فهو مصدر ، ومنه عذابي ونذر ، والنذر بغير ألف ومنه نذر ، ثم من نذر : فليوفوا نذورهم (نكال) له معنيان :

العقوبة ، والعبرة (نجي) بتشديد الجيم له معنيان : من النجاة ومن النجوة : وهو الموضع المرتفع ومنه تنجيك  
يبدئك على قول (نجوى) معناه كلام خفي ، ومنه : ناجى ، وقربناه نجيا ، وقيل إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس  
في قوله : وإذ هم نجوى ، وقد يجمع ذلك على حذف مضاف تقديره وإذ هم أصحاب نجوى (نسيان) له معنيان :  
الذهول ، ومنه إن نسينا أو أخطأنا ، والترك ومنه : نسوا الله فنسيهم (نسخ) له معنيان : الكتابة ، ومنه  
نستنسخ ما كنتم تعملون ، والإزالة ، ومنه : ما ننسخ من آية أو ننسها (نصر) بالصاد المهملة معروف ، وبالسين  
اسم صنم : ويعوق ونسرا ، أو اسم طائر أيضا (نشوز) بالزاي : له معنيان شريين الرجل والمرأة ، وارتفاع ،  
ومنه انشزوا أى قوموا من المكان (نزل) بضمين رزق ، وهو ما يطعم الضيف (نأى) بعد ومنه يناون عنه  
(نكص) رجوع إلى وراء (نفر) نفور عن الشيء ونفر ينفر بضم المضارع ، ومنه نفرت الدابة ، ونفر ينفر بكسر  
المضارع نفيرا : أتى ، أسرع ، وجد ، ومنه : انفروا فى سبيل الله (نبا) خبر ، ومنه اشتق النبي بالهمز ، وترك  
الهمز تخفيفا ، وقيل إنه عند من ترك مشتق من النبوة ، وهى الارتفاع (نطفة) أى نقطة من ماء ، ومنه خلة لكم  
من نطفة يعنى من المنى (أناب) إلى الشيء : رجع ومال إليه ، ومنه : منيب (نفذ) ينفذ أى تم وانقطع (نهر)  
يفتح الماء الوادى ، ويجوز الإسكان . وأما السائل فلا تنهر : فهو من الاتهار ، وهو الزجر (منير) من النور ،  
وهو الضوء حسا ومعنى (نصب) بضمين و بضم النون وإسكان الصاد ، ويفتح النون وإسكان الصاد بمعنى واحد ،  
وهو حجر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده وجمعه أنصاب (نصب) بفتحين تعب ، ومسنى الشيطان بنصب :  
أى بلاء وشر (نقم) الشيء ينقمه أى كرهه وعابه (نضيد) أى منصوب بعضه إلى بعض (نسكير) إنكار ، ويقال  
نكر الشيء وأنكره (نسل) بمعنى أسرع زمنه : ينسلون ، من النسلان وهو الإسراع فى المشى مع قرب الخطا  
حرف الهاء : (الهدى) له معنيان : الإرشاد والبيان ، ومن البيان : فاما ثمود فهدى بناهم ، والإرشاد قد يكون  
إلى الطبق ، إلى الدين ، ومعنى التوفيق والإلهام (هدى) بفتح الهاء وإسكان الدال ما يهدى إلى الكعبة من  
البهائم (هاد) يهود : أى تاب ، ومنه هدنا إليك ، والذين هادوا : أى تهودوا أى صاروا يهودا ، وأصله من  
قولهم : هدنا إليك (هود) له معنيان : اسم نبي عاد عليه السلام ومعنى اليهود ، ومنه كونوا هودا (هوى) النفس :  
مقصود وهو ما تحبه وتميل إليه ، والفعل منه : بكسر الواو فى الماضى وفتحها فى المضارع (الهواء) بالمد  
والهمز : ما بين السماء والأرض ، وأفتدتهم هواء : أى متحرقة لاتعى شيئا (وهوى) يهوى بالفتح فى الماضى  
والكسر فى المضارع : وقع من علو ، ويقال أيضا بمعنى الميل ، ومنه : أفتدة من الناس تهوى إليهم (هاجر)  
خرج من بلاده ، ومنه سعى المهاجرون (هجر) من الهجران ، ومنه الهجر أيضا ، وهو فحش الكلام ، وقديقال فى  
هذا هجر بالآلف (أهل) لغير الله به أى صبح ، والإلهال : الصياح ، وفى النية أى أريد به غير الله (مهيمن)  
عليه شاهد ، وقيل مؤتمن ، والمهيمن . اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم ، وقيل الشهيد ،  
وقيل الرقيب (هوان ، هون) أى ذل (مهين) بضم الميم أى فعل مشتق من الهوان : أى مدل ، وأما مهين ،  
بفتح الميم فمعناه : ضعيف أو ذليل

حرف الواو : (وقود) النار يفتح الواو : ما توقد به من الحطب وشبهه ، والوقود بالضم المصدر (وجه)  
له معنيان : الجارحة ، والجهة . وأما وجه الله : فمضى قوله ابتغاء وجه الله أى طلب رضاه ، وفى قوله : كل شئ  
هالك إلا وجهه ، ويبقى وجه ربك : قيل الوجه الذات ، وقيل صفة كاليدى ، وهو من المتشابه (وعد) يعد

وعدا بالخير ، وقد يقال في الشر وأوعد بالالف يوعد وعيدا بالشر لاغير ( وِء ) يوِء له معنيان من المودة والمحبة ، وبمعنى تمنى : ودوا لو تكفرون ، والوِء بالضم : المحبة ، ووِء : اسم صنم بضم الواو وفتحها (ودود) اسم الله تعالى أى محب لأوليائه وقيل محبوب (ويل) كلمة شر ، وقيل إن الويل وادفى جهنم (وجب) له معنيان من وجوب الحق بمعنى سقط كقوله لم وجب الحائط إذا سقط ومنه وجبت جنوبها (وسط) وأوسط له معنيان من التوسط بين الشئين ، وبمعنى الخيار والاحسن (وسع) يسع سعة : من الاتساع ضد الضيق ، والسعة الغنى ، والواسع اسم الله تعالى : أى واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة (واسع) جواد موسع غنى أى واسع الحال وهو ضد المقتر : وإنا موسعون قيل أغنياء ، وقيل قادرون ، وإلا وسعها : طاقتها (ولى) له معنيان : أدبر ، وجعل واليا ، وتولى له ثلاث معان : أدبر ، وأعرض بالبدن أو بالقلب ، وصار واليا ، واتخذ وليا ، ومنه : ومن يتولى الله ورسوله (ولى) ناصر ، والولى اسم الله ، قيل ناصر ، وقيل متولى أمر الخلائق (مولى) له سبعة معان : السيد والأعظم ، والناصر ، والوالى أى القريب ، والمالك والمعتق ، وبمعنى أولى ، ومنه النار مولاكم (ولج) يبلغ أى دخل ، ومنه : ما يلج فى الأرض ، وأولج : أدخل ، ومنه : يولج الليل فى النهار (وهن) يهن : ضعف ، ومنه : وهن العظم ، والوهن : الضعف (ورد) الماء يرده : إذا جاء إليه وأورده غيره ، وأرسلوا وأوردتم ، الذى يتقدمهم إلى الماء فيسقى لهم (أوزعنى) أى ألهمنى ووقفنى (يوزعون) يدفعون (وليد) صبى والجمع ولدان (وجل) يوجل ووجلا : خاف . ومنه : لا توجل (أوجس) وجد فى نفسه وأضمر (وارى) يوارى : أى يستر ومنه يوارى سوءة أخيه ، وما وورى عنهما ، وتواروا أى استتروا واستخفوا (وطأ) يطأ . له ثلاث معان : جماع المرأة . ومن الوطئ بالأقدام . ومنه أرضا لم تطؤها . والإهلاك . ومنه : لم تعلموهم أن تطؤوهم (وقر) بفتح الواو وهو الصمم والثقل فى الأذن . والوقر بكسر الواو : الحمل . ومنه : فالحاملات وقرا (ودق) هو المطر (واصب) أى دائم (وكيل) كفيل بالأمر . وقيل : كاف (وزر) بفتح الزى أى ملجأ (وزير) أى معين . وأصله من الوزر بمعنى الثقل . لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله (وسوس) الشيطان إلى الإنسان : ألقى فى نفسه . والوسواس : الشيطان (أوحى) يوحى ووحيا ، له ثلاث معان : كلام الملك من الله للأنبياء . ومنه قيل للقرآن وحى . وبمعنى الإلهام ، ومنه : أوحى ربك إلى النحل ، وبمعنى الإشارة . ومنه : فأوحى إليهم أن سبحوا : أى أشار (وعى) العلم يعى : حفظه . ومنه : أذن واعية ، وأوعى بالالف : يوعى جمع المال فى وعاء . ومنه : جمع فأوعى حرف الياء : (يمين) له أربعة معان : اليد اليمين . وبمعنى القوة . وبمعنى الحلف . وأيمن أى إلى الجهة اليمين (يسير) له معنيان قليل ، ومنه : كيل يسير ، وهين ، ومنه : ذلك على الله يسير ، واليسر : ضد العسر (يئس) أى انقطع رجاؤه ، ومنه : لا تيئسوا من روح الله ، وإنه ليؤس وأما : أفلم يئس الذين آمنوا : فعناه ألم يعلم (يم) هو البحر (ميسر) هو القهار فى الرد والشطرنج وغير ذلك . وهو مأخوذ من يسر لى كذا إذا وجب . واليسر بفتح الياء والسين : الرجل الذى يشتغل بالميسر . وجمعه أيسار . وميسر العرب أنهم كانوا لهم عشرة قدام وهم الأزام لكل واحد منها نصيب معلوم من ناقة ينحروها . وبعضها لانصيب له . ويجزؤها عشرة أجزاء ثم يدخلون الأزام فى خريطة ويضعونها على يد عدل . ثم يدخل يده فيها فيخرج باسم رجل قدام . فمن خرج له قدام له نصيب : أخذ ذلك النصيب . ومن خرج له قدام لانصيب له : غرم ثمن الناقة كلها (ينبوع) أى عين من ماء والجمع ينابيع

## الكلام على الاستعاذة

في عشرة فوائد : من فنون مختلفة : (الأولى) لفظ التعوذ على خمسة أوجه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمختار عند القراء . وأعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي . وأعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد . وهي محدثة : وأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . وهو مروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الثانية) يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة . سواء ابتداء أول سورة أو جزء سورة على الندب (الثالثة) يجهر بالاستعاذة عند الجمهور وهو المختار . وروى الإخفاء عن حمزة ونافع (الرابعة) لا يتعوذ في الصلاة عند مالك . ويتعوذ في أول ركعة عند الشافعي وأبي حنيفة . وفي كل ركعة عند قوم . فحجة مالك عمل أهل المدينة وحجة قول غيره : قول الله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وذلك يعم الصلاة وغيرها (الخامسة) إنما جاء أعوذ بالمضارع دون الماضي ؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل لأنها كالدعاء وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده مشاكلة للأمر به في قوله «فاستعذ» (السادسة) الشيطان : يحتمل أن يراد به الجنس فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين ، أو العهد فتكون الاستعاذة من إبليس . وهو من شطن إذا بعد ؛ فالنون أصلية والياء زائدة . وزنه فيعال . وقيل من شاط إذا هاج ؛ فالنون زائدة . والياء أصلية ووزنه فعلان . وإن سميت به لم ينصرف على الثاني لزيادة الألف والنون ، وانصرف على الأول (السابعة) الرجيم فعيل بمعنى مفعول ، ويحتمل معنيين : أن يكون بمعنى لعين وطريد . وهذا يناسب لقوله (وجعلناها رجوما للشياطين) والأول أظهر (الثامنة) من استعاذ بالله صادقا أعاده ؛ فعليك بالصدق ؛ ألا ترى امرأة عمران لما أعادت مريم وذرتها عصمها الله . ففي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه (التاسعة) الشيطان عدو . وحذر الله منه إذ لا مطمع في زوال علة عداوته . وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم . فيأمره أولا بالكفر ويشككه في الإيمان ؛ فإن قدر عليه ؛ وإلا أمره بالمعاصي . فإن أطاه وإلا ثبطه عن الطاعة . فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب (العاشرة) القواطع عن الله أربعة : الشيطان ، والنفس ، والدنيا ، والخلق . فعلاج الشيطان : الاستعاذة والمخافة له ، وعلاج النفس : بالقهر ، وعلاج الدنيا : بالزهد ، وعلاج الخلق : بالانقباض والعزلة

## الكلام على البسملة

فيه عشر فوائد . (الأولى) ليست البسملة عند مالك آية من الفاتحة ولا من غيرها ، إلا في النمل خاصة ، وهي عند الشافعي آية من الفاتحة ، وعند ابن عباس آية من أول كل سورة ، فحجة مالك ماورد في الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال «أنزلت على سورة ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين» فبدأ بها دون البسملة ، وماورد في الحديث الصحيح «إن الله يقول : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين : يقول العبد الحمد لله رب العالمين ، فبدأ بها دون البسملة : وحجة الشافعي ماورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين وحجة ابن عباس ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف (الثانية) إذا ابتدأت أول سورة بسملت؛ إلا براءة. وسند كرامة سقوطها من براءة في موضعه، وإذا ابتدأت جزء سورة فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو الداني، وتترك البسملة عند غيره، وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى، فاختلف القراء في البسملة وتركها (الثالثة) لا يبسمل في الصلاة عند مالك، ويبسمل عند الشافعي جهرا في الجهر، وسرا في السر، وعند أبي حنيفة سرا في الجهر والسر لخجة مالك من وجهين: أحدهما أنه ليست عنده آية في الفاتحة حسبنا ذكرنا، والآخر ماورد في الحديث الصحيح عن أنس أنه قال: صليت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة ولا في آخرها، وحجة الشافعي من وجهين: أحدهما أن البسملة عنده آية من الفاتحة، والآخر ماورد في الحديث من قراءتها حسبنا ذكرنا (الرابعة) كانوا يكتبون باسمك اللهم حتى نزلت بسم الله مجراها فكتبوا بسم الله، حتى نزلت أو ادعوا الرحمن فكتبوا بسم الله الرحمن، حتى نزل إليه من سليمان وإياه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبوها، وحذفت الألف في بسم الله لكثرة الاستعمال (الخامسة) الباء من بسم الله: متعلقة باسم محذوف عند البصريين والتقدير: ابتداء كائن بسم الله؛ فوضعها رفع، وعند الكوفيين تتعلق بفعل تقديره أبدأ أو أتلف فوضعها نصب وينبغي أن يقتدر متأخرا لوجهين: أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص، والآخرى: تقديم اسم الله اعتناء كما قدم في بسم الله مجراها (السادسة) الاسم مشتق من السمق عند البصريين فلامه واو محذوفه، وعند الكوفيين مشتق من السمعة وهي العلامة، فقاؤه محذوفه، ودليل البصريين التصخير والتكبير؛ لأنهما يردان الكلمات إلى أصولها، وقول الكوفيين أظهر في المعنى، لأن الاسم علامة على المسمى (السابعة) قولك الله اسم مرتجل جامد والألف واللام فيه لازمة للتعريف، وقيل إنه مشتق من التأله وهو التعبد، وقيل من الوهان: وهي الخيرة لتحرير العقول في شأنه، وقيل أصله إله من غير الف واللام، ثم حذفت الهمزة من قوله على غير قياس، ثم أدخلت الألف واللام عليه، وقيل أصله الإله بالألف واللام ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام كما نقلت إلى الأرض وشبهه، فاجتمع لآمان، فأدغمت إحداهما في الأخرى، ونغم للتعظيم؛ إلا إذا كان قبله كسرة (الثامنة) الرحمن الرحيم صفتان من الرحم ومعناهما الإحسان فهي صفة فعل وقيل إرادة الإحسان، فهي صفة ذات (التاسعة) الرحمن الرحيم على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الرحمن في الدنيا والرحيم في الآخرة، وقيل الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين لقوله (وكان بالمؤمنين رحيما) فالرحمن أعم وأبلغ، وقيل الرحمن. أبلغ لوقوعه بعده، على طريقة الارتقاء إلى الأعلى (العاشر) إنما قدم الرحمن لوجهين: اختصاصه بالله، وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات. انتهى والله أعلم

قال الله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ \* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* أهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

### سورة أم القرآن

وتسمى سورة الحمد لله ، وفاتحة الكتاب ، والواقية ، والشافية ، والسبع المثاني . وفيها عشرون فائدة ، سوى ما تقدم في اللغات من تفسير ألفاظها ، واختلف هل هي مكية أو مدنية ؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات إلا أن الشافعي يعدد البسملة آية منها ، والمالك يسقطها ويعد أنعمت عليهم آية (الفائدة الأولى) قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند مالك والشافعي ، خلافا لأبي حنيفة وحجتهم قول صلى الله عليه وآله وسلم للذي علمه الصلاة : اقرأ ما تيسر من القرآن ، (الفائدة الثانية) اختلف هل أول الفاتحة على إضمار القول تعليما للعباد : أى قولوا الحمد لله ، أو هو ابتداء كلام الله ، ولا بد من إضمار القول في «إياك نعبد» وما بعده (الفائدة الثالثة) الحمد أعم من الشكر ؛ لأن الشكر لا يكون إلا لجزاء على نعمة ، والحمد يكون جزاء كالشكر ، ويكون ثناء ابتداء كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد ، لأن الحمد باللسان ؛ والشكر باللسان والقلب ، والجوارح . فإذا فهمت عموم الحمد : علمت أن قولك (الحمد لله) يقتضى الثناء عليه لما هو من الجلال والعظمة والواحدانية والعزة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات ، ويتضمن معاني أسمائه الحسنى التسعة والتسعين ، ويقتضى شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه في الآخرة والأولى ، فيالها من كلبة جمعت ما تضيق عنه المجلدات ، واتفق دون عدة عقول الخلائق ، ويكفيك أن الله جعلها أول كتابه وآخر دعوى أهل الجنة (الفائدة الرابعة) الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «التحدث بالنعمة شكر» والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه ، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة . والعلم بأنها من الله وحده ، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد ، واعلم أن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى ، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام : نعم دنيوية : كالعافية والمال ونعم دينية : كالعلم ، والتقوى . ونعم أخروية : وهى جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير . والناس في الشكر على مقامين : منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة ، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم ، والشكر على ثلاث درجات : فدرجات العوام الشكر على النعم ، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنعم وعلى كل حال ، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم ، قال رجل لإبراهيم بن أدهم (١) : الفقراء إذا منعوا شكروا ، وإذا أعطوا آثروا . ومن فضيلة

(١) كذا بالأصل ، ولعل هنا سقطا تقديره : من أفضل الناس ؟ قال ، فتدبراه مصححه

الشكر أنه من صفات الحق ، ومن صفات الخلق فإن من أسماء الله : الشاكر ، والشكور ، وقد فسرتهما في اللغة (الفائدة الخامسة) قولنا الحمد لله رب العالمين ، أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين : أحدهما ماخرجه النسائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة ، ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة » ، والثاني : أن التوحيد الذي يقتضيه لا إله إلا الله حاصل في قولك « رب العالمين » وزادت بقولك الحمد لله ، وفيه من المعاني ما قدمنا ، وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » فإنما ذلك للتوحيد الذي يقتضيه ، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها ، وهذا المؤمن يقولها لطلب الثواب ، وأما لمن دخل في الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله (الفائدة السادسة) الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم ، ومعانيه أربعة : الإله ، والسيد ، والمالك ، والمصلح . وكلها في رب العالمين ، إلا أن الأرجح معنى الإله : لاختصاصه لله تعالى ، كما أن الأرجح في العالمين أن يراد به كل موجود سوى الله تعالى ، فيعم جميع المخلوقات (الفائدة السابعة) ملك قراءة الجماعة بغير ألف من الملك ، وقرأ عاصم والكسائي بالالف والتقدير على هذا : مالك مجيء يوم الدين ، أو مالك الأمر يوم الدين ، وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه . الأول : أن الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله ، وأما الملك فهو سيد الناس ، والثاني : قوله (وله الملك يوم ينفخ في الصور) والثالث : أنها لا تقتضى حذفاً ، والآخرى تقتضيه ؛ لأن تقديرها مالك الأمر ، أو مالك مجيء يوم الدين ، والحذف على خلاف الأصل . وأما قراءة الجماعة فإضافه ملك إلى يوم الدين فهى على طريقة الاتساع ، وأجرى الظرف مجرى المفعول به ، والمعنى على الظرفية : أى الملك في يوم الدين ، ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين ، فيكون فيه حذف . وقد رويت الفراءتان في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قرئ ملك بوجه كثيرة إلا أنها شاذة (الفائدة الثامنة) الرحمن ، الرحيم ، مالك : صفات ، فإن قيل : كيف جرّ مالك ومالك صفة للمعرفة ، وإضافة اسم الفاعل غير محضه . فالجواب أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال ، وأما هذا فهو مستمر دائماً فإضافته محضة (الفائدة التاسعة) هو يوم القيامة ويصلح هنا في معاني الدين والحساب والجزاء والقهر ، ومنه إنا لمدينون (الفائدة العاشرة) إياك في الموضوعين مفعول بالفعل الذي بعده ، وإنما قدم ليفيد الحصر فإن تقديم المفعولات يقتضى الحصر ، فاقضى قول العبد إياك نعبد أن يعبد الله وحده لا شريك له ، وافتضى قوله « وإياك نستعين » اعترافاً بالعجز والفقر وأنا لا نستعين إلا بالله وحده (الفائدة الحادية عشرة) إياك نستعين : أى نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا ، وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية ، وأن الحق بين ذلك (الفائدة الثانية عشرة) اهدنا : دعاء بالهدى . فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم ؟ فالجواب أن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت ، أو الزيادة منه فإن الارتقاء في المقامات لانهاية له (الفائدة الثالثة عشرة) قدم الحمد والثناء على الدعاء لأن تلك السنة في الدعاء وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح ، وذلك أقرب للإجابة . وكذلك قدم الرحمن على ملك يوم الدين لأن رحمة الله سبقت غضبه ، وكذلك قدم إياك نعبد على إياك نستعين لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة (الفائدة الرابعة عشرة) ذكر الله تعالى في أول هذه السورة على طريق الغيبة ، ثم على الخطاب في إياك نعبد وما بعده ، وذلك يسمى الالتفات ، وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه

فصار من أهل الحضور فناداه (الفائدة الخامسة عشرة) الصراط في اللغة الطريق المحسوس الذي يمشى ثم استعير للطريق الذي يكون الإنسان عليها من الخير والشر ، ومعنى المستقيم القويم الذي لا عوج فيه ، فالصراط المستقيم الإسلام ، وقيل القرآن ، والمعنيان متقاربان ، لأن القرآن يضمن شرائع الإسلام وكلاهما مروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ الصراط بالصاد والسين وبين الصاد والزاي ، وقد قيل إنه قرئ بزاي خالصة ، والأصل فيه السين ، وإنما أبدلوا منها صاداً لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق ، وأما الزاي فلموافقة الطاء في الجهر (الفائدة السادسة عشرة) الذين أنعمت عليهم: قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وقيل المؤمنون ، وقيل الصحابة ، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا ، والأول أرجح لعمومه ، ولقوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (الفائدة السابعة عشرة) إعراب غير المغضوب بدل ، ويعد النعمت لأن إضافته غير مخصوصة وهو قد جرى عن معرفة وقرئ بالنصب على الاستثناء أو الحال (الفائدة الثامنة عشرة) إسناد نعمة عليهم إلى الله ، والغضب لما لم يسم فاعله على وجه التأدب : كقوله : وإذا مرضت فهو يشفين ، وعليهم أول في موضع نصب ، والثاني في موضع رفع (الفائدة التاسعة عشرة) المغضوب عليهم اليهود ، والضالين : النصارى ، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ، وقد روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل ذلك عام في كل مغضوب عليه ، وكل ضال ، والأول أرجح لأربعة أوجه : روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجلالة قائله ، وذكر ولا في قوله ولا الضالين دليل على تغير الطائفتين وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن : كقوله فباؤا بغضب ، والضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولقول الله فيه «قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» (الفائدة العشرون) هذه السورة جمعت معاني القرآن العظيم كله فكانها نسخة مختصرة منه فتأملها بعد تحصيل الباب السادس من المقدمة الأولى تعلم ذلك في الألوهية حاصلاً في قوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، والدار الآخرة : في قوله مالك يوم الدين ، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي : في قوله إياك نعبد ، والشريعة كلها في قوله : الصراط المستقيم ، والأنبياء وغيرهم في قوله الذين أنعمت عليهم ، وذكر طوائف الكفار في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين (خاتمة) أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة للدعاء الذي فيها ، وقولك آمين اسم فعل معناه اللهم استجب ، وقيل هو من أسماء الله ويجوز فيه مد الهزمة وقصرها أولاً يجوز تشديد الميم ، وليؤمن في الصلاة . المأموم والقد والإمام إذا أسر ، واختلفوا إذا جهر

## سورة البقرة

مدنية إلا آية ٢٨١ فنزلت بمبنى في حجة الوداع

وآياتها مائتان وست وثمانون وهي أول سورة نزلت بالمدينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْكِتَابُ لَارِيبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

## سورة البقرة

(الم) اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل حروف السور ، وهي : المص ، والر ، والمر ، وكهيهص ، وطه ، وطسم ، وطس ، ويس ، وص ، وق ، وحم ، وحم عسق ، ون . فقال قوم لا تفسر لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، قال أبو بكر الصديق : لله في كل كتاب سر ، وسرّة في القرآن فرائح السور ، وقال قوم تفسر ، ثم اختلفوا فيها ، فقيل هي أسماء السور ، وقيل أسماء الله ، وقيل : أشياء أقسم الله بها ، وقيل هي حروف مقطعة من كلمات : فالأنف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل ذلك في سائرهما ، وورد في الحديث أن بنى إسرائيل فهموا أنها تدل بحروف أمجد على السنين التي تبقى هذه الأمة ، وسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم ذلك فلم ينكره ، وقد جمع أبو القاسم السهيلي عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة ، وإعراب هذه الحروف يختلف باختلاف في معناها فيتصور أن تكون في موضع رفع أو نصب أو خفض . فالرفع على أنها مبتدأ أو خبر ابتداء مضمرة ، والنصب على أنها مفعول بفعل مضمرة ، والخفض على قول من جعلها مقسماها كقولك : الله لأفعلن (ذلك الكتاب) هو هنا القرآن ، وقيل التوراة والإنجيل ، وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام ويشهد له . ووضح من القرآن والمقصود منها إثبات أن القرآن من عند الله كقوله «تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين» يعنى القرآن باتفاق ، وخبر ذلك : لاريب فيه ، وقيل خبره الكتاب فعلى هذا «ذلك الكتاب» جملة مستقلة فيوقف عليه (لاريب فيه) أى لاشك أنه من عند الله في نفس الأمر في اعتقاد أهل الحق ، ولم يعتبر أهل الباطل ، وخبر لاريب : فيه ، فيوقف عليه ، وقيل خبرها محذوف فيوقف على «لاريب» والأول أرجح لتعيينه في قوله «لاريب» في مواضع آخر ، فإن قيل : فهلا قدم قوله فيه على الريب كقوله «لا فيها غول» ؟ فالجواب : أنه إنما قصد نفي الريب عنه . ولو قدم فيه : لكان إشارة إلى أن ثم كتاب آخر فيه ريب ، كما أن «لا فيها غول» إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول ، وهذا المعنى يبعد قصده فلا يقدم الخبر (هدى) هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين ، ولو كان بمعنى البيان لعم كقوله «هدى للناس» وإعرابه خبر ابتداء أو مبتدأ وخبره فيه ، عند ما يقف على لاريب ، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإشارة (المتقين) مفتعين من التقوى ، وقد تقدم معناه في الكتاب ، فتكلم عن التقوى في ثلاثة فصول الأول : في فضائلها المستنبطة من القرآن ، وهي خمس عشرة : الهدى للمتقين ، والنصرة ، لقوله «إن الله مع الذين اتقوا» والولاية لقوله «الله ولي المتقين» والحجة لقوله «إن الله يحب المتقين» والمغفرة لقوله «إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا» والمخرج من الغم والرزق من حيث لا يحتسب لقوله «ومن يتق الله

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ  
هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ

يجعل له مخرجا الآية « وتيسير الأمور لقوله « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » وغفران الذنوب وإعظام  
الأجر لقوله « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » وتقبل الأعمال لقوله « إنما يتقبل الله من  
المتقين » والفلاح لقوله « واتقوا الله لعلكم تفلحون » والبشرى لقوله « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة،  
ودخول الجنة لقوله « إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم » والنجاة من النار لقوله « ثم ننجي الذين اتقوا »  
الفصل الثاني : البواعث على التقوى عشرة : خوف العقاب الآخروي ، وخوف الدنيوى ، ورجاء الثواب  
الدنيوى ، ورجاء الثواب الآخروي ، وخوف الحساب ، والحياء من نظر الله ، وهو مقام المراقبة ، والشكر  
على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وتعظيم جلال الله ، وهو مقام الهيبة ،  
وصدق المحبة لقول القائل : -

تعصى الإله وأنت تظهر حبه      هذا لعمري في القياس بديع  
لو كان حبك صادقا لأطعته      إن المحب إن يحب مطيع

ولله دز القائل : -

قالت وقد سألت عن حال عاشقها      لله صصفه ولا تنقص ولا تزد  
فقلت لو كان يظن الموت من ظميا      وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث : درجات التقوى خمس : أن يتقى العبد الكفر ، وذلك مقام الإسلام ، وأن يتقى المعاصي  
والحرمات وهو مقام التوبة ، وأن يتقى الشبهات ، وهو مقام الورع ، وأن يتقى المباحات وهو مقام الزهد ،  
وأن يتقى حضور غير الله على قلبه ، وهو مقام المشاهدة (الذين يؤمنون بالغيب) فيه قولان يؤمنون بالأمور  
المنغيبات كالآخرة وغيرها فالغيب على هذا بمعنى الغائب إما تسميه بالمصدر كعدل ، وإما تخفيفا في فعييل :  
كبت ، والآخر يؤمنون في حال غيبهم أى باطنا وظاهرا ، وبالغيب على القول الأول : يتعلق يؤمنون وعلى  
الثاني في موضع الحال ، ويجوز في الذين أن يكون خفضا على النعت أو نصبا على إضمار فعل أورفعا على أنه  
خبر مبتدأ (ويقيمون الصلاة) إقامتها : عليها من قولك : قامت السوق ، وشبه ذلك والكمال المحافظة عليها في  
أوقاتها بالإخلاص لله في فعلها ، وتوفية شروطها ، وأركانها ، وفضائلها ، وسنتها ، وحضور القلب الخشوع  
فيها ، وملازمة الجماعة في الفرائض والإكثار من النوافل (ومما رزقناهم ينفقون) فيه ثلاثة أقوال : الزكاة  
لاقتنائها مع الصلاة ، والثاني أنه التطوع ، والثالث العموم ، وهو الأرجح ؛ لأنه لا دليل على التخصيص ،  
(والذين يؤمنون) هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات أو غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب  
فيكون عطفًا للمغايرة أو مبتدأ وخبره الجملة بعد (بما أنزل إليك) القرآن (وما أنزل من قبلك) التوراة  
والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل (إن الذين كفروا) فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبي جهل ،  
فإن كان الذين للجنس : فلفظها عام يراد به الخصوص ، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم ، وقد  
اختلف فيهم ؛ فقيل المراد من قتل بيد من كفار قريش ، وقيل المراد حي بن أخطب وكتب بن الأشرف

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۖ  
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۖ يَخْتَدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ  
إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۖ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۖ  
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۖ

اليهوديان (سواء) خبر إن و(أنذرتهم) فاعل به لأنه في تقدير المصدر ، وسواء مبتدأ ، وأنذرتهم خبره أو العكس وهو أحسن ، و(لا يؤمنون) على هذه الوجوه : استثناء للبيان ، أو للتأكيد ، أو خبر بعد خبر أو تكون الجملة اعتراضا ، ولا يؤمنون الخبر ، والهمزة في أنذرتهم لمعنى التسوية قد انساخت من معنى الاستفهام (ختم) الآية لتلليل لعدم إيمانهم ، وهو عبارة عن إضلالهم ، فهو مجاز وقيل حقيقة وأن القلب كاللحم يتقبض مع زيادة الضلال أصعبا حتى يحتم عليه ، والأول أرفع ، و(على سمعهم) معطوف على قلوبهم ، فيوقف عليه ، وقيل الوقف على قلوبهم ، والسمع راجع إلى ما بعده ، والأول أرجح لقوله «وختم على سمعه وقلبه» (غشاوة) مجاز بانفاق ، وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن خلافا لمن منعه ، ووحد السمع لأنه مصدر في الأصل ، والمصادر لا تجمع (ومن الناس) أصل الناس أناس لأنه مشتق من الإنس وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفا (من يقول) إن كان اللام في الناس للجنس فمن موصوفة وإن جعلتها للعهد فن موصولة وأفرد الضمير في يقول رعيا للفظ ومن (وما هم بمؤمنين) هم المنافقين وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول يظهرون الاسلام ويسرون الكفر ، ويسمى الآن من كذلك : زنديقا ، وهم في الآخرة مخلدون في النار ، وأما في الدنيا إن لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين في دعاتهم وأموالهم وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان ، فذهب مالك : القتل ، دون الاستتابه ، ومذهب الشافعي الاستتابه وترك القتل ، فإن قيل : كيف جاء قولهم «آمنا» جملة فعلية وما هم بمؤمنين « جملة إسمية فهلا طابقتها ؟ فالجواب : أن قولهم «وما هم بمؤمنين» أبلغ وآكد في نفي الإيمان عنهم من لو قال ما آمنوا ، فإن قيل : لم جاء قولهم آمنا مقيدا بالله واليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين مطلقا ؟ فالجواب أنه يحتمل وجهين : التقييد ؛ فتر كالدلالة الأول عليه ، والاطلاق ، وهو أعم في سلمهم من الإيمان (يخادعون) أى يفعلون فعل المخادع ، ويرومون الخدع بإظهار خلاف ما يسرون ، وقيل معناه يخدعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأول أظهر (وما يخادعون إلا أنفسهم) أى وبال فعلهم راجع عليهم ، وقرئ وما يخدعون بفتح الباء من غير ألف من خدع وهو أبلغ في المعنى ، لأنه يقال خادع إذا رام الخداع ، وخدع إذا تم له (وما يشعرون) حذف معموله أى لا يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم (في قلوبهم مرض) يحتمل أن يكون حقيقة ، وهو الألم الذى يجدونه من الخوف وغيره ، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد (فزادهم) يحتمل الدعاء والخبر (يكذبون) بالتشديد أى يكذبون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بالتخفيف أى يكذبون فى قولهم آمنا (لا تفسدوا) أى بالكفر والنيمة وإيقاع الشر وغير ذلك (إنما نحن مصلحون) يحتمل أن يكون جحد الكفر لقولهم آمنا ، أو اعتقاد أمنهم على إصلاح

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامَنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۗ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۗ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۗ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۗ صُمُّ بَكْمٍ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۗ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ

(كما آمن الناس) أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والكاف يحتمل أن تكون للتشبيه أو للتعليل وما يحتمل أن تكون كاقفة كما هي وربما أن تكون مصدرية (أتؤمن) إنكار منهم وتقييح (هم السفهاء) رد عليهم وإناطة السفه بهم ، وكذلك هم المفسدون ، وجاء بالالف واللام ليفيد حصر السفه والفساد فيهم ، وأكده بإن وبألا التي تقتضى الاستئناف وتنبية المخاطب (قالوا آمنة) كذبوا خوفا من المؤمنين (خلوا إلى شياطينهم) هم رؤساء الكفر ، وقيل شياطين الجن ، وهو بعيد وتعدي خلا إلى ضمن معنى مشوا وذهبوا أو ركزوا ، وقيل إلى بمعنى مع ، أو بمعنى الباء وجه قولهم (إنا معكم إنما نحن مستهزؤن) بجملة إسمية مبالغتها وتأكيد بخلاف قولهم آمنة فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم (الله يستهزئ بهم) فيه ثلاثة أقوال : تسمية للعقوبة باسم الذنب : كقوله «ومكروا ومكر الله» وقيل يملئ لهم بدليل قوله «ويمددهم» وقبل يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزأ بهم كما جاء في سورة الحديد «ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا الآية» (ويمددهم) يزيدهم ، وقيل يملئ لهم ، وقد ذكروا يعمهون (اشتروا الضلالة) عبارة عن تركهم الهدى مع تمسكهم منه ووقوعهم في الضلالة فهو مجاز بديع (فما ربحت تجارتهم) ترشيح للبحان ، لما ذكر الشر ذكر ما يتبعه من الربح والخسران وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا لأن الرابح أو الخاسر هو التاجر (وما كانوا مهتدين) في هذا الشراء أو على الإطلاق وقال الزمخشري نفي الربح في قوله : فما ربحت ، ونفي سلامة رأس المال في قوله : وما كانوا مهتدين (مثلهم كمثل) إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه وإن كان المثل بمعنى التشبيه فالكاف زائدة (استوقد) أى أوقد وقيل طلب الوقود على الأصل في استفعال (فلما أضاءت) إن تعدى فما حوله مفعول به ، وإن لم يتعد فما زائدة أو ظرفية (ذهب الله بنورهم) أى أذهب ، وهذه الجملة جواب لما محذوف تقديره طفيت النار وذهب الله بنورهم : جملة مستأنفة والضمير عائد على المنافقين ، فعلى هذا يكون «الذى» على بابه من الأفراد ، والأرجح أنه أعيد ضمير الجماعة لأنه لم يقصد بالذى : واحد بعينه إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة ، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه ، لأنهم جماعة ، فإن قيل : ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : أحدها : أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيهة بالنور ، وعنايتهم في الآخرة شبيهة بالظلمة بعده ، والثاني : أن استخفاف كفرهم كالنور ، وفضيحتهم كالظلمة ، والثالث : أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر ، فإيمانه نور ، وكفره بعده ظلمة ، ويرجح هذا قوله ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا» فإن قيل : لم قال «ذهب الله بنورهم» ولم يقل : أذهب الله نورهم ، مشاكلة لقوله «فلما أضاءت» فالجواب : أن إذهاب النور أبلغ لأنه إذهاب للقليل والكثير ، بخلاف الضوء فإنه يطلق على الكثير (صم

ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم

بكم عمى) يحتمل أن يراد به المنافقون ، والمستوقد المشبه بهم ، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم ، وليس المراد فقد الحواس (فهم لا يرجعون) إن أريد به المنافقون : فعناه لا يرجعون إلى الهدى ، وإن أريد به أصحاب النار : فعناه أنهم متحIRON في الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق (أو كصيب) عطف على الذي استوقد ، والتقدير : أو كصاحب صيب أو للتبويح لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين ، والصيب : المطر ، وأصله صيوب ، ووزنه فعييل ، وهو مشتق من قولك صاب يصب ، وفي قوله (من السماء) إشارة إلى قوته وشدة انصبابه ، قال ابن مسعود : إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين ، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك ، فعزما على الإيمان ورجعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحسن إسلامهما فضرب الله ما أنزل فيهما مثالا للمنافقين ، وقيل المعنى تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق ، فضل عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه ، وهذا التشبيه على الجملة ، وقيل : إن التشبيه على التفصيل ، فالمطر مثل للقرآن أو الإسلام والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة ، فإن قيل : لم قال رعد وبرق بالافراد ولم يجمعه كما جمع ظلمات ؟ فالجواب أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع ، ويحتمل أن يكونا اسمين وجمعهما الاثني في الأصل مصدران (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) أى من أجل الصواعق قال ابن مسعود : كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فهو على هذا حقيقة في المنافقين ، والصواعق على هذا ما يكرهون من القرآن والموت هو ما يتخوفونه فهما مجازان وقيل لأنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم والصواعق على هذا حقيقة وهي التي تكون من المطر من شدة الرعد ونزول قطعة نار والموت أيضا حقيقة وقيل إنه راجع للمنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد ، فإن قيل : لم قال أصابعهم ولم يقل أناملهم والأنامل هي التي تجعل في الآذان ؟ فالجواب أن ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعهما مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة (والله محيط بالكافرين) أى لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم (يخطف أبصارهم) إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقين : فهو بين في المعنى ، وإن رجع إلى المنافقين : فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين : أحدهما : تكاد براهين القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق ، وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم ، والآخر : يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم (كلما أضاء لهم مشوا فيه) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم ، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيمان (وإذا أظلم عليهم قاموا) إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحIRON لا يعرفون الطريق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ملاح لهم من الإيمان : ثبتوا على كفرهم ، وقيل إن المعنى كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝  
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ  
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا

هذا دين مبارك ؛ فهذا مثل الضوء ، وإذا أصابتهم شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوا : فهذا مثل الظلمة ، فان قيل : لم قال مع الإضاءة كلها ، ومع الظلام إذا ؟ فالجواب أنهم لما كانوا حراساً على المشى ذكر معه كلها ، لأنها تقتضى التكرار والكثرة (ولو شاء الله) الآية : إن رجع إلى أصحاب المطر : فالمعنى لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق ، وإن رجع إلى المنافقين : فالمعنى لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة ، وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم والباء للتعدية كما هي في قوله تعالى : ذهب الله بنورهم ، (يا أيها الناس) الآية لما قدم اختلاف الناس في الدين وذكر ثلاث طوائف : المؤمنين ، والكافرين والمنافقين : أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله وجاء بالدعوة عامة للجميع لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث إلى جميع الناس (اعبدوا ربكم) يدخل فيه الإيمان به سبحانه وتوحيده وطاعته ، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحداً ، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركاً ، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمناً (لعلمكم) يتعلق بخلقكم : أى خلقكم لتتقوه كقوله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » أو بفعل مقدر من معنى الكلام أى دعوتكم إلى عبادة الله لعلمكم تتقون ، وهذا أحسن . وقيل يتعلق بقوله « اعبدوا » وهذا ضعيف ، وإن كانت لعل للترجي فتأويله أنه في حق المخلوقين جرياً على عادة كلام العرب ، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال ، والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو عسى ، فإذا قالها الله : فمعناها أطباع العباد ، وهكذا القول فيها حيث ماوردت في كلام الله تعالى (الأرض فراشا) تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفرش فهو مجاز وكذلك السماء بناء (من الثمرات) من للتبويض أو لبيان الجنس ، لأن الثمرات هو المأكول من الفواكه وغيرها والباء في به سببية ، أو كقولك كتبت بالقلم لأن الماء سبب في خروج الثمرات بقدرته الله تعالى (فلا تجعلوا) لا ناهية أو نافية ، وانتصب الفعل يا ضمير أن بعد الفاء في جواب اعبدوا ، والأول أظهر (أندادا) يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جلّ وعلا (وأنتم تعلمون) حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أى وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين ، وفي ذلك بيان لقبیح كفرهم بعد معرفتهم بالحق ، ويتعلق قوله بلا تجعلوا بما تقدم من البراهين ، ويحتمل أن يتعلق بقوله « اعبدوا » والأول أظهر

(فوائد ثلاث) الأولى : هذه الآية ضمنّت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقتين « أحدهما » إقامة البراهين بخلقهم وخلق السموات والأرض والمطر والسموات « والآخر » ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام فذكر أولاً ربوبيته لهم ، ثم ذكر خلقته لهم وآبائهم لأن الخالق يستحق أن يعبد ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ، ومن إنزال المطر ، وإخراج الثمرات ، لأن المنعم يستحق أن يعبد ويشكر ، وانظر قوله : جعل لكم . ورزقا لكم : يدل على ذلك لتخصيصه ذلك بهم في ملاطفة وخطاب بديع .

شَهِدَ آءَ كُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ

الثانية : المقصود الأعظم من هذه الآية : الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه لقوله في آخرها : فلا تجعلوا لله أندادا ، وذلك هو الذى يترجم عنه بقولنا : لا إله إلا الله ، فيقتضى ذلك الأمر بالدخول فى دين الإسلام الذى قاعدته التوحيد ، وقول لا إله إلا الله تكون فى القرآن ذكر المخلوقات ، والتنبيه على الاعتبار فى الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار ، وذلك أنها تدلّ بالعقل على عشرة أمور : وهى : أن الله موجود ، لأن الصنعة دليل على الصانع لا محالة ، وأنه واحد لا شريك له ، لأنه لا خالق إلا هو « أفن يخلق كمن لا يخلق » وأنه حتى قدير عالم مرید ، لأن هذه الصفات الأربع من شروط الصانع ، إذ لا تصدّر صنعة عن عدم صفة منها ، وأنه قديم لأنه صانع للمحدثات ، فيستحيل أن يكون مثالا فى الحدوث ، وأنه باق ، لأن ما ثبت قدمه استحاله عدمه ، وأنه حكيم ، لأن آثار حكمته ظاهرة فى إتقانه للمخلوقات وتديره للملكوت ، وأنه رحيم ، لأن فى كل ما خلق منافع لبنى آدم سخر لهم ما فى السموات وما فى الأرض وأكثر ما أتى ذكر المخلوقات فى القرآن فى معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته ، فإن قيل لم قصر الخطاب بقوله لعلمكم تتقون على المخاطبين دون الذين من قبلهم ، مع أنه أمر الجميع بالتقوى ؟ فالجواب : أنه لم يقصره عليهم ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ ، والمراد الجميع ، فإن قيل : هلا قال لعلمكم تعبدون مناسبة لقوله اعبدوا ؟ فالجواب أن التقوى غاية العبادة وكالها فكان قوله لعلمكم تتقون أبلغ وأوقع فى النفوس ( وإن كنتم فى ريب ) الآية إثبات لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة الدليل على أن القرآن جاء به من عند الله فلما قدم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوة ، فإن قيل : كيف قال إن كنتم فى ريب ، ومعلوم أنهم كانوا فى ريب وفى تكذيب ؟ فالجواب أنه ذكر حرف إن إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء فى مثل هذا الأمر الساطع البرهان ، فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال فى الأمر الواقع ليعد وقوع الريب وقبحه عند العقلاء وكما قال تعالى « لا ريب فيه » ( على عبدنا ) هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والعبودية على وجهين : عامة ، وهى التى بمعنى الملك ، وخاصة وهى التى يراد بها التشرىف والتخصيص ، وهى من أوصاف أشرف العباد والله در القائل : -

لا تدعى إلا ياعبدها ، فإنه أشرف أسمائى

( فأتوا بسورة ) أمر يراد به التعجيز ( من مثله ) الضمير عائد على ما أنزلنا وهو القرآن ، ومن لبيان الجنس ، وقيل يعود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن على هذا : لا ابتداء الغاية من بشر مثله ، والأول أرجح لتعيينه فى يونس وهود ، وبمعنى مثله فى فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة ( شهداءكم ) آلهتكم أو أعوانكم أو من يشهد لكم ( من دون الله ) أى غير الله ، وقيل هو من الدين الحقير فهو مقلوب اللفظ ( ولن تفعلوا ) اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة ، وهو إخبار ظهير مصداقه فى الوجود إن لم يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن مع فصاحة العرب فى زمان نزوله وتصرفهم فى الكلام وحرصهم على التكذيب ، وفى الإخبار بذلك معجزة أخرى وقد اختلف فى عجز الخلق عنه على قولين : أحدهما أنه ليس فى قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح ، والثانى أنه كان فى قدرتهم وصرفوا عنه ، والإعجاز حاصل على الوجهين

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
كُلَّمَا رَزَّقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالَُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ  
وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا

وقد بينا سائر وجوه إعجازه في المقدمة (فاتقوا النار) أي فآمنوا لتنجوا من النار، وعبر باللازم عن ملازمه لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتحويل والتخويف (وقودها) حطبها (الحجارة) قال ابن مسعود: هي حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها، وقيل الحجارة المعبودة، وقيل الحجارة على الإطلاق (أعدت) دليل على أنها قد خلقت، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة، خلافا لمن قال إنها تخلق يوم القيامة، وكذلك الجنة (وبشر) يحتمل أن تكون خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو خطابا لكل أحد ورجح الزمخشري هذا لأنه أنعم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه خلافا لمن قال: الإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للرجة (تجرى من تحتها الأنهار) أي تحت أشجارها وتحت مبانيها، وهي أنهار الماء واللبن والخمر والعسل وهكذا تفسيره وقع، وروى أن أنهار الجنة تجرى في غير أخدود (منها من ثمرة رزقا) من الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس ومن الثانية لبيان الجنس (من قبل) أي في الدنيا بدليل قولهم «إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين» في الدنيا فإن ثمر الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها في المطعم والمنظر (وأتوا به متشابها) أي يشبه ثمر الدنيا في جنسه، وقيل يشبه بعضه بعضا في المنظر ويختلف في المطعم، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذي يدل عليه المعنى (مطهرة) من الحيض وأقدار النساء وسائر الأقدار التي تختص بالنساء كالبول وغيره، ويحتمل أن يريد طهارة الطيب وطيب الأخلاق (لا يستحي) تأول قوم: أن معناه لا يترك لأنهم زعموا أن الحياة مستحيل على الله لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع في أمر، وليس كذلك وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب، ويرد عليهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم «إن الله حي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً» (أن يضرب) سبب الآية أنه لما ذكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار على ذلك، وقيل المثليين المتقدمين في المناقنين تكلموا في ذلك فنزلت الآية ردا عليهم (مثلا ما بعوضة) إعراب بعوضة مفعول بيضرب، ومثلا حال، أو مثلا مفعول وبعوضة بدل منه أو عطف بيان، أوهما مفعولان بيضرب لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين، وما صفة للنكرة أوزائدة (فما فوقها) في الكبر، وقيل في الصغر، والأول أصح (فيعلون أنه الحق) لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ماشاء ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة: وضرب أمثال، وبيان للناس، ولأن الصادق جاءها من عند الله (ماذا أراد الله) لفظه الاستفهام، ومعناه الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب، وفي إعراب ماذا وجهان: أن تكون مابتدأ وذا خبره وهي موصولة، وأن تكون كلمة مركبة في موضع نصب على المفعول بأراد، ومثلا منصوب على الحال أو التمييز (يضل به) من كلام الله جوابا للذين قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا، وهو أيضا تفسير لما أراد

يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ \* الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ \* كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا

الله بضر المثل من الهدى والضلال (عهد الله) مطلق في العهود وكذلك ما بعده من القطع والفساد، ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويشار بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين، ويشار بالفساد في الأرض إلى المنافقين لأن الفساد من أفعالهم حسبما تقدم في وصفهم (ميثاقه) الضمير للعهد أوله تعالي (كيف تكفرون) موضعها الاستفهام، ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ (وكنتم أمواتا) أي معدومين أي في أصلاب الآباء أو نطفة في الأرحام (فأحياكم) أي أخرجكم إلى الدنيا (ثم يميتكم) الموت المعروف (ثم يحييكم) بالبعث (ثم إليه ترجعون) للجزاء، وقيل الحياة الأولى حين أخرجهم من صلب آدم لاخذ العهد، وقيل في الحياة الثانية إنها في القبور، والراجح القول الأول لتعيينه في قوله «وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم»

(فوائد ثلاثة) الأولى: هذه الآية في معرض الرد على الكفار وإقامة البرهان على بطلان قولهم، فإن قيل إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به، فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم منكرون له؟ فالجواب أنهم أزموا من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث، لأن القدرة صالحة لذلك كله. الثانية: قوله «وكنتم أمواتا في موضع الحال، فإن قيل: كيف جاز ترك قد وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال فالجواب أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل والمراد بمجموع الكلام كأنه يقول وحالهم هذه فلذلك لم تلزم قد. الثالثة: عطف فأحياكم بالفاء لأن الحياة أثر العدم ولا تراخي بينهما، وعطف ثم يميتكم و ثم يحييكم بثم للتراخي الذي بينهما (خلق لكم مما في الأرض) دليل على إباحة الانتفاع بما في الأرض (ثم استوى) أي قصد لها والسماء هنا جنس ولاجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة (فسوآهن) أي أيقن خلقهن: كقوله: فسوآك فعدلك، وقيل جعلهن سواء (فائدة) هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض، وقوله: والأرض بعد ذلك دحاها، ظاهره خلاف ذلك، والجواب من وجهين: أحدهما أن الأرض خلقت قبل السماء، ودحيت بعد ذلك فلا تعارض، والآخر تكبرن ثم لترتيب الأخبار (الملائكة) جمع ملك واختلف في وزنه فقيل فعل فاليم أصلية، ووزن ملائكة على هذا مفاعلة وقيل هي من الألوكه وهي الرسالة فوزنه مفعول ووزنه مألوك ثم حذفت الهمزة ووزن ملائكة على هذا مفاعلة، ثم قلبت وأخرت الهمزة فصار مفاعلة وذلك بعيد (خليفة) هو آدم عليه السلام: لأن الله استخلفه في الأرض، وقيل ذريته لأن بعضهم يخلف بعضا، والأول أرجح، ولو أراد الثاني لقال خلفاء (أتجعل فيها) الآية: سؤال محض لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه وليس فيه اعتراض؛ لأن الملائكة منزهون عنه وإنما علموا أن بني آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ وَعَلَّمَ آدَمَ  
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۖ قَالُوا سُبْحَانَكَ  
لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۖ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ  
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ  
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ  
الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۖ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا

كان في الأرض جن فافسدوا ، فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم . ففاس الملائكة بنى آدم عليهم (ونحن نسبح) اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار (بحمدك) أى حامدين لك والتقدير نسبح متلبسين بحمدك ، فهو في موضع الحال (ونقدس لك) يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك ضربت لزيدا ، وأن يكون المفعول محذوفا أى تقدسك على معنى نزهك أو نعظمك ، وتكون اللام فى لك للتعايل أى لأجلك ، أو يكون التقدير نقديس أنفسنا أى نظهرها لك (ملا تعلمون) أى ما يكون فى بنى آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك من المصالح والحكمة (الأسماء كلها) أى أسماء بنى آدم وأسماء أجناس الأشياء لتسمية القمر والشجر وغير ذلك (ثم عرضهم) أى عرض المسميات ، وبين أشخاص بنى آدم وأجناس الأشياء (أنبؤنى) أمر على وجه التعجيز (إن كنتم صادقين) أى فى قولكم إن الخليفة يفسد فى الأرض ويسفك الدماء وقيل إن كنتم صادقين فى جواب السؤال والمعرفة بالأسماء (لاعلم لنا) اعتراف (أنبئهم بأسمائهم) أى أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء (اسجدوا لآدم) السجود على وجه التحية وقيل عبادة لله ، وآدم كالمقبله (فسجدوا) روى أن من أول من سجد إسرأفيل ، ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ (إلا إبليس) استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكا ، ومنقطع عند من قال كان من الجن (استكبر) لقوله أنا خير منه (وكان من الكافرين) قيل كفر بإيأته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له فى أمره بالسجود لآدم ، وليس كفره كفر جحود لاعترافه بالرؤية (وزوجك) هى حواء خلقها الله من ضلع آدم ، ويقال زوجة ، وزوج هنا أفصح (الجنة) هى جنة الخلد عند الجماعة وعند أهل السنة ، خلافا لمن قال هى غيرها (لا تقربا) النهى عن القرب يقتضى النهى عن الأكل بطريق الأولى ، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة فهذا أصل فى سد الذرائع (الشجرة) قيل هى شجرة العنب ، وقيل شجرة التين ، وقيل الخنطة ، وذلك مفقتر إلى نقل صحيح واللفظ مبهم (فتكونا) عطف على تقربا ، أو نصب بإضمار أن بعد الفاء فى جواب النهى (فأزلها) متعذ من أزل القدم ، وأزلها بالأنف من الزوال (عنها) الضمير عائد على الجنة ، أو على الشجرة فتكون عن سببية على هذا (فائدة) اختلفوا فى أكل آدم من الشجرة فالأظهر أنه كان على وجه النسيان ؛ لقوله تعالى فأنسى ولم نجد له عزماء ، وقيل سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها ، وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر وقيل أكل عمدا وهى معصية صغرى ، وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر ، وقيل تأول آدم أن الهى

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۚ فَتَلَقَىٰ  
 آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۚ قُلْنَا اهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ  
 تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ ۚ يَبْنِي إِسْرَائِيلُ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُون ۚ

كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها ، وقيل لما حلف له إبليس صدقة لأنه ظن أنه لا يخلف أحد  
 كذبا (اهبطوا) خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل بعضكم لبعض عدو (مستقر) موضع استقرار وهو في مدة  
 الحياة ، وقيل في بطن الأرض بعد الموت (ومتاع) ما يتمتع به (إلى حين) إلى الموت (فتلقى) أى أخذ وقيل على  
 قراءة الجماعة ، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات ، فتلقى على هذا من اللقاء (كلمات) هى قوله : ربنا ظلمنا  
 أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، بدليل ورودها في الأعراف ، وقيل غير ذلك (اهبطوا)  
 كرر ليناظ به ما بعده ، ويحتمل أن يكون أحد الهبوطين من السماء ، والآخر من الجنة ، وأن يكون هذا الثانى  
 لذرية آدم لقوله (فإما يأتينكم) إن شرطية وما زائدة للتأكيد ، والهدى هنا : يراد به كتاب الله ورسالته (فمن تبع)  
 شرط ، وهو جواب الشرط الأول ، وقيل فلا خوف جواب الشرطين (يا بنى إسرائيل) لما قدم دعوة الناس عموما  
 وذكر مبدأهم : دعابنى إسرائيل خصوصا وهم اليهود ، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب سيقول السفهاء ، فتارة دعاهم  
 بالملاطفة وذكر الإناعام عليهم وعلى آباءهم ، وتارة بالتخويف ، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم ، وذكر  
 العقوبات التى عاقبهم بها فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء ، وهى : وإذ نجيناكم من آل فرعون ، وإذ فرقنا بكم البحر ،  
 وبعثناكم من بعد موتكم ، وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، وعفونا عنكم ، وتاب عليكم ، ويغفر  
 لكم خطاياكم ، وآتيناهم موسى الكتاب والفرقان لعلمكم تهتدون ، وانفجرت منه اثنتى عشرة عينا . وذكر من  
 سوء أفعالهم عشرة أشياء : قولهم سمعنا وعصينا ، واتخذتم العجل ، وقالوا أرنا الله جهرة ، وبدل الذين ظلموا  
 ولن نصبر على طعام واحد ، ويحرفونه ، وتوليتهم من بعد ذلك ، وقست قلوبكم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم  
 الأنبياء بغير حق . وذكر من عقوباتهم عشرة أشياء : ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ،  
 ويعطوا الجزية ، واقتلوا أنفسهم ، وكونوا قردة ، وأنزلنا عليهم رجزا من السماء ، وأخذتكم الصاعقة ، وجعلنا  
 قلوبهم قاسية ، وحرمانا عليهم طبيبات أحلت لهم ، وهذا كله جزاء لآبائهم المتقدمين ، وخوطب المعاصرون لمحمد  
 صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم وقد وبخ المعاندين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم  
 بتوبيخات آخر ، وهى : كتبناهم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع معرفتهم به ، ويحرفون الكلم ويقولون  
 هذا من عند الله ، وتقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل  
 واتباعهم للسحر ، وقولهم نحن أبناء الله ، وقولهم يد الله مغولة (نعمتى) اسم جنس فهى مفردة بمعنى الجمع ،  
 ومنناه عام فى جميع النعم التى على بنى إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصاصهم به كالمن والسلوى ،  
 وللفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة ، واللفظ يعم النعم جميعا (بعهدى) مطلق فى كل ما أخذ عليهم من العهود  
 وقيل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك قوى لأنه مقصود الكلام (بعهدكم) دخول الجنة

وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ ه  
وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ه وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا  
مَعَ الرَّكْعِينَ ه أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكُتُبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ه وَاسْتَعِينُوا  
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ه الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ وَإِنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ه

(وإيأى) مفعول بفعل مضمر، وؤخر لانفصال الضمير، وليفيد الحصر يفسره فارهبون، ولا يصح أن يعمل فيه فارهبون؛ لأنه قد أخذ معموله، وكذلك إيأى فاتقون (بما أنزلت) يعنى القرآن (مصداقا لما معكم) أى مصدقا للتوراة، وتصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأنبياء والمتقدمين له ثلاث معان: أحدها أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فتبين صدقهم في الإخبار به، والآخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أنهم أنبياء وأنزل عليهم الكتب، فهو مصدق لهم أى شاهد بصدقهم، والثالث أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك (ولا تكونوا أول كافر به) الضمير عائد على القرآن وهذا نهى عن المسابقة إلى الكفر به، ولا يقتضى إباحة الكفر في ثانی حال؛ لأن هذا مفهوم معطل؛ بل يقتضى الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون من ذكره، ولما يعرفون من علامته، (ولا تشتروا آياتي ثمنا قليلا): الاشتراء هنا استعارة في الاستبدال: كقوله: اشتروا الضلالة بالهدى، والآيات هناهى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، والثمن القليل ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك، وقيل كانوا يعلمون دينهم بالأجرة فهوا عن ذلك، واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن (الحق بالباطل) الحق هنا يراد به نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والباطل الكفر به، وقيل الحق التوراة، والباطل ما زادوا فيها (وتكتمون) معطوف على النهى، أو منصوب بإضمار أن في جواب النهى، والواو بمعنى الجمع، والأول أرجح، لأن العطف يقتضى النهى عن كل واحد من الفعلين، بخلاف النصب بالواو، فإنه إنما يقتضى النهى عن الجمع بين الشئين لا النهى عن كل واحد على انفراده (وأتم تعلمون) أى تعلمون أنه حق (الصلاة وآتوا الزكاة) يراد بها صلاة المسلمين وزكاتهم فهو يقتضى الأمر بالدخول في الإسلام (واركعوا) خصص الركوع بعد ذكر الصلاة لأن صلاة اليهود بلا ركوع فكانه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع، وقيل اركعوا للخضوع والانقياد (مع الراكعين) مع المسلمين فيقتضى ذلك الأمر بالدخول في دينهم، وقيل الأمر بالصلاة مع الجماعة (أتأمرون) تفریع وتوییخ لليهود (بالبر) عام في أنواعه؛ فوبخهم على أمر الناس وتركهم له، وقيل كان الأجار يأمر من نصحوه في السر باتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يتبعونه، وقال ابن عباس: بل كانوا يأمر من باتباع التوراة، ويخالفون في جحدهم منها صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (تسبون) أى تتركون، وهذا تفریع (تتلون الكتاب) حجة عليهم (أفلا تعقلون) توییخ (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل معناه استعينوا بها على مصائب الدنيا، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ونعى إلى ابن عباس أخوه فقام إلى الصلاة ف صلى

يٰۤاِبْنِيۤ اِسْرٰٓءِيۡلَ اذْكُرُوۡا نِعْمَتِيۡ الَّتِيۡ اَنْعَمْتُ عَلَيۡكُمْ وَاَنۡىۡ فَضَّلْتُكُمْ عَلَيۡ الْعٰلَمِيۡنَ ۗ وَاَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجۡزِيۡ نَفۡسٌ  
عَنۡ نَّفۡسٍ شَيْئًا وَلَا يُقَبَّلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنْهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۗ وَاِذۡ نَجَّيۡنَاكُم مِّنۡ اٰلِ فِرْعَوۡنَ  
يُسۡمُوۡنَكُمۡ سُوۡءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُوۡنَ اَبۡنَاءَ كُمْ وَيَسۡتَحِيۡوۡنَ نِسَاۡءَ كُمْ وَفِيۡ ذٰلِكُمۡ بَلٰٓءٌ مِّنۡ رَّبِّكُمۡ عَظِيۡمٌ ۗ وَاِذۡ فَرَقْنَا

ركتين وقرأ الآية، وقيل استعينوا بهما على طلب الآخرة، وقيل الصبر هنا الصوم، وقيل الصلاة هنا الدعاء (وإنها) الضمير عائد على العبادة التي تضمنها الصبر والصلاة أو على الاستعانة أو على الصلاة (الكبيرة) أي شاقة صعبة (يظنون) هنا يتيقنون (على العالمين) أي أهل زمانهم وقيل تفضيل من وجه قاهو كثرة الأنبياء وغير ذلك (لا تجزى) لا تغنى شيئاً مفعول به أو صفة لمصدر محذوف، والجملة في موضع الصفة، وحذف الضمير أي فيه (ولا يقبل منها شفاعاة) ليس نفي الشفاعاة مطلقاً فإن مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعاة لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد أنه لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه»، ولقوله «ما من شفيع إلا من بعد إذنه»، ولقوله «ولا تنفع الشفاعاة إلا لمن أذن له»، وانظر ماورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستأذن في الشفاعاة فيقال له: اشفع تشفع. فكل ماورد في القرآن من نفي الشفاعاة مطلقاً يحمل على هذا لأن المطلق يحمل على المقيد، فليس في هذه الآيات المطابقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعاة (عدل) هنا فدية (ولاهم ينصرون) جمع لأن النفس المذكورة يراد بها نفوس (وإذ نجيناكم) تقديره اذكروا إذ نجيناكم أي نجينا آباءكم، وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم لأنهم ذريتهم وعلى دينهم ومتبعون لهم، فحكهم كحكمهم وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم لأن الإناعام على الآباء إناعام على الأبناء، ومن ذكر مساوئهم لأن ذريتهم راضون بها (من آل فرعون) المراد من فرعون وآله، وحذف لدلالة المعنى، وآل فرعون هم جنوده وأشياعه وآل دينه لا قرابته خاصة، ويقال إن اسمه الوليد بن مصعب، وهو من ذرية عمليق، ويقال فرعون لكل من ولي مصر، وأصل آل: أهل، ثم أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف (فائدة) كل ما ذكره في هذه الصور من الأخبار معجزات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم (يسومونكم سوء العذاب) أي يلزمونهم به، وهو استعارة من السوم في البيع وفسر سوء العذاب بقوله (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ولذلك لم يعطفه هنا، وأما حيث عطفه في سورة إبراهيم فيحتمل أن يراد بسوء العذاب غير ذلك بل فيكون عطف مغايرة أو أراد به ذلك، وعطف لاختلاف اللفظة، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل (١) وقيل إن آل فرعون تذاكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذريته ملوكاً وأنبياء ففسدوهم على ذلك، وروى أنه وكل بالنساء رجالاً يحفظون من تحمل منهن، وقيل بل وكل على ذلك القوابل، ولأجل هذا قيل معنى يستحيون يفتشون الحياة ضد الموت (فرقنا بكم البحر) فصلناه وجعلناه فرقا اثني عشر طريقاً على عدد

(١) كذا بالأصل ولعل هنا سقطت وهي: «أنه رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل» - كما في تفسير الخطيب اه صححه

بِكُمُ الْبَحْرِ فَانجَيْنَكُمُ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۖ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ  
 مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۖ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ  
 وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۖ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا جُئْتُمُ بِعَجَلٍ قَاتِلُوا إِلَى الْبَارِئِ كَمَا  
 جُئْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۖ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ  
 لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۖ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۖ  
 وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا  
 أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۖ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا  
 حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنُزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۖ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۖ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

الأسباط والباء سببية أو للمصاحبة، والبحر المذكور هنا : هو بحر القلزم (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلية) هي شهر ذي القعدة وعشر ذي الحجة وإنما خص الليالي بالذكر لأن العام بها والأيام تابعة لها، والمراد أربعين ليلة بأيامها (اتخذتم العجل) اتخذتموه إلهاً، فحذف لدلالة المعنى (من بعده) أى بعد غيبته في الطور (الكتاب) هنا التوراة (والفرقان) أى المفرق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة، عطف عليها لاختلاف اللفظ، وقيل الفرقان هنا فرق البحر، وقيل آتينا موسى التوراة وآتينا محمداً الفرقان، وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه (فاقتلوا أنفسكم) أى يقتل بعضهم بعضاً كقوله «سلموا على أنفسكم»، وروى أن من لم يعبد العجل قتل من غده وروى أن الظلام ألقى عليهم فقتل بعضهم بعضاً حتى بلغ القتلى سبعون ألفاً فعنى الله عنهم وإنما خص هنا اسم البلد لأن فيه تويخاً للذين عبدوا العجل كأنه يقول كيف عبدتم غير الذى براكم، ومعنى البارى : الخالق (فتاب عليكم) قبله محذوف لدلالة الكلام عليه، وهو فحوى الخطاب أى فعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم (لن تؤمن لك) تعدى باللام لأنه تضمن معنى الانقياد (جهرة) عياناً (الصاعقة) الموت وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله ثم طلبوا الرؤية فعوقبوا لسوء أدبهم، وجراهم على الله، (وظللنا) أى جعلنا الغمام فوقهم كالظله يقيهم حر الشمس، وكان ذلك في التيه، وكذا أنزل عليه في المن والسلوى تقدم في اللغات (كلوا) معمول لقول محذوف (هذه القرية) بيت المقدس، وقيل أريحا، وقيل قريب من بيت المقدس (فكلوا) جاء هنا بالفاء التى للترتيب، لأن الأكل بعد الدخول، وجاء في الأعراف بالواو بعد قوله اسكنوا، لأن الدخول لا يتأتى معه السجود، وقيل متواضعين (حطة) تقدم في اللغات (وسنزيد) أى نزيدهم أجراً إلى المغفرة (فبدل) روى أنه قالوا : حنطة، وروى : حبة في شعرة (الذين ظلموا) يعنى المذكورين، وضع الظاهر موضع

فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ  
مُفْسِدِينَ \* وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا  
وَقَتَّاءَهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ ائْتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ اَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اِهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ  
مَأْسَأَةً وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَابْغَضَ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى  
وَالصَّابِئِينَ مِنْ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ \* وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ \*

المضمر لقصد ذمهم بالظلم ، وكرره زيادة في تقييح أمرهم (زجرا) روى أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا (استسقى) طلب السقيا لما عطشوا في التيه (الحجر) كان مربعا ذراعا في ذراع : تفجر من كل جهة ثلاث عيون ، وروى أن آدم كان أهبطه من الجنة ، وقيل هو جنس غير معين ، وذلك أبلغ في الإعجاز (فانفجرت) قبله محذوف تقديره : فضربه فانفجرت (مشربهم) أى موضع شربهم وكانوا اثني عشر سبطا لكل سبط عين (كلوا) أى من المن والسلوى ، واشربوا من الماء المذكور (فومها) هى الثوم ، وقيل الخنطة (أدنى) من الدنى. الخنزير وقيل أصله أدون ، ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه (مصر) قيل البلد المعروف وصرف لسكون وسطه ، وقيل هو غير معين فهو نكرة لما روى أنهم نزلوا بالشام . والأول أرجح لقوله تعالى «وأورثناها بنى إسرائيل» يعنى مصر (ضربت) أى قضى عليهم بها ، والأزموها وجعله الزخشرى استعارة من ضرب القبة لأنها تعلق الإنسان وتحيط به (المسكنة) الناقة ، وقيل الجزية (ذلك بأنهم) الإشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب ، والباء للتعليل (بآيات الله) الآيات المتلوات أو العلامات (بغير الحق) معلوم أنه لا يقتل نبي إلا بغير حق ، وذلك أفصح (فائدة) قال هنا بغير الحق بالتعريف باللام للعهد ، لأنه قد تقرررت الموجبات لقتل النفس ، وقال فى الموضع الآخر من آل عمران «بغير حق» بالتنكير لاستغراق النفي . لأن تلك نزلت فى المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (ذلك بما عصوا) يحتتمل أن يكون تأكيذا للأول ، وتكون الإشارة بذلك إلى القتل والكفر ، والباء للتعليل . أى اجترؤا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا فى العصيان والعدوان (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية . قال ابن عباس نسختها «ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه» وقيل معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم لإيماننا صحيحا فله أجره ، فيكون فى حق المؤمنين الثبات إلى الموت ، وفى حق غيرهم الدخول فى الإسلام ، فلانسخ ، وقيل إنها فيمن كان قبل بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلانسخ (من آمن) مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو من آمن بدل ، (فلهم أجرهم) خبر إن (ورفعنا فوقكم الطور) لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم إن لم تأخذوها وقع عليكم (بقوة) جد فى العلم بالتوراة أو العمل بها (اعتدوا منكم فى السبت) اصطادوا

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أُعْتَدُوا  
 مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝ فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ۝  
 وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ  
 الْجَاهِلِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ  
 فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْع لَوْهَا تَسُرُّ  
 النَّظِيرِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝ قَالَ إِنَّهُ  
 يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْإِنِّ جِئْتِ بِالْحَقِّ فذبحوها  
 وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۝ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ قُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا  
 كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ

فيه الحوت وكان محرما عليهم (كونوا قردة) عبارة عن مسخهم وخاسئين صفة أو خبر ثان ، ومعناه مبعدين  
 كما يخسأ الكلب (فجملناها) الضمير للفعله وهى المسخ (نكالا) أى عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وما تأخر ،  
 وقيل عبرة لمن تقدم ومن تأخر (أن تذبحوا بقرة) قصتها أن رجلا من بنى إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى  
 على قوم أنهم قتلوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القاتل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد  
 ميتا (أتخذنا هزوا) جفاء وقلة أدب ، وتكذيب (فارض) مسنة (بكر) صغيرة (عوان) متوسطة (بين ذلك)  
 أى بين ما ذكر ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيتين (صفراء) من الصفرة المفروقة ، وقيل سوداء وهو  
 بعيد والظاهر صفراء كلها وقيل القرن والظلف فقط ، وهو بعيد (فاقع) شديد الصفرة (تسر الناظرين) لحسن لونها ،  
 وقيل لسمها ومنظرها كله (لاذلول) غير منذلة للعمل (تثير الأرض) أى تحرثها وهو داخل تحت النفي على  
 الأصح (ولا تسقى الحرث) لا يسقى عليها (مسلمة) من العمل أو من العيوب (لاشية) لالعة غير الصفرة ، وهو  
 من وشى ففأوه واو محذوفة كعدة (الآن جئت بالحق) العامل فى الضرب جئت بالحق ، وقيل العامل فيه مضمرة  
 تقديره الآن تذبحوها ، والأول أظهر فإن كان قولهم : أتخذنا هزوا : هكذا ؛ فهذا تصديق وإن كان غير  
 ذلك فالمعنى الحق المبين (وما كادوا) لعصيانهم وكثرة سؤالهم أو لغلاء البقرة فقد جاء بأنها كانت ليتيم وأنهم  
 اشتروها بوزنها ذهباً أو لقلته وجود تلك الصفة ، فقد روى أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم ، ولكنهم  
 شددوا فشدد عليهم (وإذ قتلتم نفسا) هو أول قصة البقرة فرتبته التقديم (إن الله يأمركم) قال  
 الزمخشري إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما ترك المسارعة إلى الأمر ، وقتل النفس ولو قدم المكان  
 قصة واحدة بتوبيخ واحد (فادارأتم) أى اختلفتم وهو من المدارأة أى المدافعة (ما كنتم تكتمون) من أمر  
 القاتل ومن قلة (اضربوه) القاتل أو قريبه (بعضها) مطلقا ، وقيل الفخذ وقيل اللسان ، وقيل الذنب (كذلك)

أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحَجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ  
 مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ  
 ثُمَّ يَحْرِفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ  
 قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
 مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ ۝ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ  
 الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ  
 مِمَّا يَكْسِبُونَ ۝ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ

إشارة إلى حياة القتييل واستدلال بها على الإحياء للبعث ، وقبله محذوف لا بد منه تقديره ففعلوا ذلك  
 فقام القتييل (فائدة) استدلال المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلى ، وهو ضعيف لأن هذا  
 المقتول قام بعد موته ومعاناة الآخرة ، وتصته معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فلا  
 يتأني أن يكذب المقتول ، بخلاف غيره ، واستدلوا أيضا بها على أن القاتل لا يرث ولا دليل فيها على ذلك  
 (قست قلوبكم) خطاباً لبني إسرائيل (من بعد ذلك) أى بعد إحياء القتييل وما جرى فى القصة من العجائب ،  
 وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد مارأوا تلك الآيات (أو أشد) عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء  
 أى هى أشد ، وأوهنا إما للإيهام أو للتخيير : كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة ، أو بما هو أشد  
 قسوة كالحديد ، أو التفضيل أى فهم أفسى مع أن فعل القسوة يبنى منه أفعل امكون أشد أدل على فرط  
 القسوة (وإن من الحجارة) الآية : تفضيل الحجارة على قلوبهم (يهبط) أى يرتدى من علو إلى أسفل والخشية  
 عبارة عن انقيادها ، وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط فن خشية الله (أفتطمعون) خطاب للمؤمنين (أن يؤمنوا)  
 يعنى اليهود وتعنى باللام لما تضمن معنى الانقياد (فريق منهم) السبعون الذى يسمع كلام الله على الطور  
 ثم حرفوه ، وقيل بنو إسرائيل حرفوا التوراة (من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) بيان لقبح حالهم (قالوا آمنا)  
 قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم (أتحدثونهم)  
 توبيخ (بما فتح الله عليكم) فيه ثلاثة أوجه بما حكم عليهم من العقوبات وبما فى كتبهم من ذكر محمد صلى  
 الله عليه وآله وسلم وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام ، وكل وجه حجة عليهم ، ولذلك قالوا (ليحاجوكم  
 به عند ربكم) قيل فى الآخرة وقيل أى فى حكم ربكم وما أنزل فى كتابه ، فعنده بمعنى حكمه (أفلا تعقلون) من  
 بقية كلامهم توبيخاً لقولهم (ولا يعلمون) الآية من كلام الله رداً عليهم وفضيحة لهم (ومنهم أميون) أى الذين  
 لا يقرؤن ولا يكتبون فهم (لا يعلمون الكتاب) والمراد قوم من اليهود وقيل من المجوس وهذا غير صحيح ،  
 لأن الكلام كله من اليهود (إلا أمانى) تلاوة بغير فهم ، أو أكاذيب ، وماتتمناه النفوس (بأيديهم) تحقيق  
 لا قرائتهم (ثمنا قليلا) عرض الدنيا من الرياسة والرشوة وغير ذلك يكسبون من الدنيا أوهى الذنوب (أياما

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ ۚ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۚ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي  
 إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا  
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ۚ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ  
 لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۚ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ  
 أَنفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ  
 وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ  
 إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۚ أُولَٰئِكَ  
 الَّذِينَ أَشْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا يُنصَرُونَ ۚ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ  
 وَقَفَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا

معدودة ( أربعين يوما عدد عبادتهم العجل وقيل سبعة أيام ) (تخذيتم) الآية : تقرير يقتضى إبطال (بلى) تحقيق  
 لطول مكثهم في النار ولقولهم ما لا يعلمون (من كسب سيئة) الآية : في الكفار لأنهم ردوا على اليهود ، ولقوله  
 بعدما ، والذين آمنوا فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار (لا تعبدون إلا الله) جواب لقسم يدل عليه  
 الميثاق ، وقيل خبر بمعنى النهي ، ويرجح قراءة لا يعبدون وقيل الأصل بان لا تعبدوا ثم حذفت الباء وأن  
 (وبالوالدين) يتعلق بإحسان ، أو بمحذوف تقديره أحسنوا ، ووكد بإحسانا (وذى القربى) القرابة (اليتامى)  
 جمع يتيم : وهو من فقد والده قبل البلوغ ، واليتيم من سائر الحيوان . من فقد أمه ، وجاء الترتيب في هذه  
 الآية بتقديم الأهم ، فقدم الوالدين لحة هما الأعظم ، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم ، ثم اليتامى  
 لقلة حيلتهم ، ثم المساكين (لا تسفكون دماءكم) (لا يسفكون دماءكم) وإعراجه مثل لا تعبدون (ولا تخرجون  
 أنفسكم) لا يخرج بعضكم بعضا (ثم أقررتم) بالميثاق واعترقتم بلزومه (وأنتم تشهدون) بأخذ الميثاق عليكم  
 (هؤلاء) منصوب على التخصيص بفعل مضمر ، وقيل هؤلاء مبتدأ وخبره أنتم وتقتلون حالا لازمة تم بها  
 المعنى (تقتلون أنفسكم) كانت قريظة حلفاء الأوس ، والنضير : حلفاء الخزرج ، وكان كل فريق يقاتل الآخر  
 مع حلفائه ، ويتقيه من موضعه إذا ظفر به (تظاهرون) أى تتفاوتون (تفادوهم) قرئى بالالف وحذفها  
 والمعنى واحد . وكذلك أسارى بالالف وحذفها جمع أسير (وهو محرم) الضمير للإخراج من ديارهم وهو  
 مبتدأ وخبره محرم (وإخراجهم) بدل والضمير للأمر والشأن ، وإخراجهم : مبتدأ ، ومحرم خبره ، والجملة  
 خبر الضمير (أفتؤمنون ببعض الكتاب) فداؤهم الأسارى موافقة لما في كتبهم (وتكفرون ببعض) القتل  
 والإخراج من الديار مخالفة لما في كتبهم (خزى) الجزية أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم ، أو مطلق (وقفينا

لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۖ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ  
 قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ  
 كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ بَشِّرَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا  
 أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ  
 عَذَابٌ مُّهِينٌ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُوا بِمَا نُنزِلُ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ  
 الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ \* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُّوسَىٰ

من بعده بالرسول) أى جئنا من بعده بالرسول ، وهو مأخوذ من القفا أى جاء بالثانى فى قفا الاول (بالبيئات)  
 المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك (روح القدس) جبريل ، وقيل الإنجيل ، وقيل الاسم الذى كان يكنى  
 به الموتى ، والاول أرجح لقوله (قل نزله روح القدس) ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان : اللهم أیده  
 بروح القدس (تقتلون) جاء مضارعاً بالغة لأنه أيد استحضاره فى النفوس أو لأنهم حاولوا قتل محمد صلى الله  
 عليه وآله وسلم لولا أن الله عصمه (غلف) جمع أغلف : أى عليها غلاف ، وهو الغشاء فلا تفقهه (بل لعنهم الله)  
 رداً عليهم ، ويبان أن عدم فقههم بسبب كفرهم (فقليلاً) أى إيماناً قليلاً (ما يؤمنون) ما زائدة ، ويجوز أن  
 تكون القلة بمعنى العدم أو على أصلها لأن من دخل منهم فى الإسلام قليل ، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل  
 وكفروا ببعض (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق) تقدم أن له ثلاثة معان (يستفتحون) أى ينتصرون  
 على المشركين ، إذا قاتلهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان ، ويقولون لأعدائهم المشركين  
 قد أظل زمان نبي يخرج فقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وقيل يستفتحون : أى يعرفون الناس النبي صلى الله عليه  
 وآله وسلم ، والسين على هذا للبالغة كفاً استعجب واستسخر ، وعلى الاول للطلب (فلما جاءهم ما عرفوا)  
 القرآن والإسلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال المبرد : كفروا جواباً لما الأولى والثانية ، وأعيدت  
 الثانية لطول الكلام ، ولقصد التأكيد ، وقال الزجاج : كفروا جواباً لما الثانية ، وحذف جواب الأولى  
 للاستغناء عنه لذلك ، وقال الفراء جواب لما الأولى فلما ، وجواب الثانية كفر (على الكافرين) أى عليهم  
 يعنى اليهود ، ووضع الظاهر موضع المضمير ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم ، واللام للعهد أو للجنس ، فيدخلون  
 فيها مع غيرهم من الكفار (بشما) فاعل ليس مضمراً وما مفسرة له وإن يكفروا هو المذموم وقال الفراء :  
 بشما مركب كحجك وقال الكاسى ما مصدرية أى اشترا كههم فهى فاعله (اشتروا) هنا بمعنى باعوا (أن يكفروا)  
 فى موضع خبر ابتداء أو مبتدأ كاسم المذموم فى بشس أو مفعول من أجله أو بدل من الضمير فى به (بما أنزل  
 الله) القرآن أو التوراة لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أن ينزل) فى موضع  
 مفعول من أجله (من فضله) القرآن والرسالة (من يشاء) يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعنى أنهم  
 إنما كفروا حسداً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لما تفضل الله عليه بالرسالة (بغضب على غضب) لعبادتهم  
 العجل ، أو لقولهم عزيز ابن الله ، أو لتغير ذلك من قبائحهم (بما أنزل الله) القرآن (بما وراهه) أى بما بعده

بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۖ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا  
مَاءً آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بئْسَ مَا مَكُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانِكُمْ  
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ۖ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۖ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ  
وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ ۗ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا

وهو القرآن (فلم تقتلون) ردًا عليهم فيما ادعوا من الإيمان بالتوراة، وتكذيب لهم، وذكر الماضي بلفظ  
المستقبل إشارة إلى ثبوته فكانه دائم لما رضى هؤلاء به (إن كنتم مؤمنين) شرطية بمعنى القدر في إيمانهم  
وجوابها يدل عليه ما قبل، أو نافية فيوقف قبلها والأول أظهر (بالبينات) يعنى المعجزات: كالصاع، وقلق  
البحر، وغير ذلك (اتخذتم العجل) ذكر هنا على وجه الأزم لهم، والإبطال بقولهم: تؤمن بما أنزل علينا،  
وكذلك رفع الطور، وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله: ثم عفونا عنكم، ولولا فضل الله عليكم  
ورحمته، وعطفه ثم في الموضوعين إشارة إلى قبح ما فعلوه من ذلك (من بعده) الضمير لموسى عليه السلام:  
أى من بعد غيبته في مناجاة الله على جبل الطور (سمعنا وعصينا) أى سمعنا قولك وعصينا أمرك، ويحتمل  
أن يكونوا قالوه بلسان المقال، أو بلسان الحال (وأشربوا) عبارة عن تمكن حب العجل من قلوبهم، فهو مجاز  
تشبيها بشرب الماء أو بشرب الصبغ في الصواب وفي الكلام محذوف أى أشربوا حب العجل وقيل إن موسى  
برد العجل بالمبرد ورعى برادته في الماء فشربه، فالشرب على هذا حقيقة ويرد هذا قوله في قلوبهم (بكفرهم)  
الباء سببية للتعليل، أو بمعنى المصاحبة (بأمركم) إسناد الأمر إلى إيمانهم، فهو مجاز على وجه التهكم، فهو كقولك  
أصلاتك تأمرك كذلك إضافة الإيمان إليهم (إن كنتم) شرط أو نفي (فتمنوا الموت) بالقلب أو اللسان  
أو باللسان خاصة، وهذا أمر على وجه التعميز والتبكيث، لأنه من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وروى  
أنهم لو تمنوا الموت لماتوا، وقيل إن ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دامت طول حياته (ولن  
يتمنوه) إن قيل: لم قال في هذه السورة: ولن يتمنوه، وفي سورة الجمعة: ولا يتمنونه فنفى هنا بلن، وفي  
الجمعة بلا، فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير، الجواب أنه لما كان الشرط في المغفرة مستقبلا وهو قوله إن كانت  
لكم الدار الآخرة خالصة جاءت جوابه بلن التي تخص الفعل للاستقبال، ولما كان الشرط في الجمعة حالا، وهو قوله  
إن زعمتم أنكم أولياء لله جاء جوابه بلا: التي تدخل على الحال، أو تدخل على المستقبل (بما قدمت) أى اسبب ذنوبهم  
وكفرهم (عليهم بالظالمين) تهديد لهم (ومن الذين أشركوا) فيه وجهان: أحدهما: أن يكون عطفًا على ما قبله فيوصل به،  
والمعنى أن اليهود أحصر على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فعمل على المعنى كأنه قال أحصر من الناس ومن  
الذين أشركوا وخص الذين أشركوا بالذكري بعد دخولهم في عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم  
للحياة الدنيا. والآخر أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ما قبله، والمعنى: من الذين أشركوا قوم  
(يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) محذوف الموصوف، وقيل أراد به المجوس، لأنهم يقولون ملوكهم عش

يَعْمَلُونَ قُلُوبًا مِّنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ  
لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا  
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيْنَتْ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۝ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ  
اللَّهِ وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ كَانِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَانَ  
الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ  
أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ

ألف سنة ، والأول أظهر ؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود ، وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم (وما هو بمنزلة حزره)  
الآية : فيها وجهان : أحدهما أن يكون هو عائد على أحدهم ، وأن يعمر فاعل لمزحزحه ، والآخر أن يكون  
هو للتعمير وأن يعمر بدل (من كان عدوا لجبريل) الآية : سبها أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ،  
جبريل عدونا لأنه ملك الشدائد والعذاب . فلذلك لا تؤمن به ، ولو جاءك ميكائيل لا منابك ؛ لأنه ملك الأمطار  
والرحمة (فإنه نزله) فيه وجهان : الأول فإن الله نزل جبريل ، والآخر فإن جبريل نزل القرآن ، وهذا أظهر ، لأن  
قوله مصدقا لما بين يديه : من أوصاف القرآن والمعنى الرد على اليهود بأحد وجهين : أحدهما من كان عدوا  
لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه لأنه نزله على قلبك فهو مستحق للعبه ، ويؤكد هذا قوله وهدي وبشري ، والثاني  
من كان عدوا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزله على قلبك ، فكان هذا تعليلا لعداوتهم لجبريل (وجبريل ، وميكائيل)  
ذكرا بعد الملائكة تجديدا للتشريف والتعظيم (أو كلبا) الواو للعطف ، قال الأخفش زائدة (نبذه فريق منهم)  
نزلت في مالك بن الصيف اليهودي وكان قد قال : والله ما أخذ علينا عهد أن تؤمن بمحمد رسول يعنى محمدا صلى  
الله عليه وآله وسلم (كتاب الله) يعنى القرآن أو التوراة لما فيها من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو المتقدمين  
(ما تلو) هو من القراءة أو الاتباع (على ملك) أى فى ملك أو عهد ملك سليمان (وما كفر سليمان) تبرئة له مما نسبوه  
إليه ، وذلك أن سليمان عليه السلام دفن السحر ليذهبه فأخرجوه بعد موته ، ونسبوه إليه ، وقالت اليهود إنما  
كان سليمان ساحرا ، وقيل إن الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان ، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك  
ودفنه ، فلما مات قالوا ذلك علم سليمان (وما كفر سليمان) بتعليم السحر وبالعامل به أو بنسبته إلى سليمان عليه  
السلام (وما أنزل) نفي أو عطف على السحر عليهما ، إلا أن ذلك يرده آخر الآية ، وإن كانت معطوفة بمعنى  
الذى فالعنى أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر ، وقرئ الملكين  
« بكسر اللام ، وقال الحسن : هما عليجان ، فعلى هذا يتعين أن تكون ما غير نافية (يبابل) موضع معروف  
(هاروت وماروت) اسمان علمان بدل من الملكين أو عطف بيان (إنما نحن فتنة) أى محنة ، وذلك تحذير من  
السحر (فلا تكفر) أى بتعليم السحر ، ومن هنا أخذ مالك أن الساحر يقتل كفرا (يفرقون) زوال العصمة

به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن أشربه ما له في الآخرة من خلاق  
ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا  
يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ما يود الذين  
كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء  
والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل  
شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم  
تريدون أن تسألوا رسولكم كما سأل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل  
وذكر كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم

أو المنع من الوطء ( يضرهم ) أى فى الآخرة (علموا) أن اليهود والشياطين : أى اشتغلوا به ، وذكر  
الشرى ، لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه (شروا) هنا بمعنى باعوا (لمثوبة) من الثواب وهو جواب لو أنهم  
ولمما جاء جوابها بجملة إسمية وعدل عن الفعلية لما فى ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره  
وقيل الجواب محذوف أى لأثيبيوا (لو كانوا يعلمون) فى الموضوعين نفي لعلمهم (لا تقولوا راعنا) كان  
المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يارسول الله راعنا ، وذلك من المراعاة أى راقبنا وانظرونا ،  
فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وربما كانوا  
يقولونها على معنى النداء ، فهى الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ما قصده المسلمون  
وأصده اليهود ، فالنهي سدا للذريعة ، وأمروا أن يقولوا انظرونا لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم ، فهو من  
النظر والانتظار ، وقيل : إنما نهى الله المسلمين عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير (واسمعوا) عطف على  
قولوا لاعلى معمولها والمعنى الأمر بالطاعة والالتقياد (ما يود الذين كفروا) جنس يعم نوعين أهل الكتاب  
والمشركين من العرب ، ولذلك فسره بهما ، ومعنى الآية أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيراً على المسلمين (من  
خير) من للتبويض ، وقيل زائدة لتقدم النفي فى قوله ما يود (برحمته) قيل القرآن وقيل النبوة وللعموم أولى ،  
ومعنى الآية : الرد على من كره الخير للمسلمين (ماننسخ) نزل حكمه ولفظه أو أحدهما ، وقرئ بضم النون :  
أى تأمر بنسخه (أو ننسها) من النسيان ، وهو ضد الذكر : أى ينسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإذن الله  
كقوله سنقرؤك فلا تنسى إلا ما شاء الله ، أو بمعنى الترك : أى تركها غير منزلة : أى غير منسوخة ، وقرئ  
بالهمز بمعنى التأخير : أى تؤخر إنزالها أو نسخها (بخير) فى خفة العمل ، أو فى الثواب (قدير) استدلال على  
جواز النسخ لأنه من المقدورات ، خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله ، وهو جائز عقلاً ، وواقع شرعاً  
فكما نسخت شريعتهم ما قبلها ، نسختها ما بعدها (تسألوا رسولكم) أى تطلبوا الآيات ، ويحتمل السؤال عن  
العلم ، والأول أرجح لما بعده ، فإنه شبهه بسؤالهم لموسى ، وهو قولهم له : أرنا الله جهرة (وذكر كثير من

الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ  
كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ  
فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرِيَّةُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ  
النَّصْرِيَّةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ  
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي  
خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ  
وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَجُوهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۚ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَهُ

أهل الكتاب) أى تمنوا ، ونزلت الآية فى حى بن أخطب وأمىة بن ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا  
يحرصون على فتنة المسلمين ، ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام (حسدا) مفعول من أجله ، أو مصدر فى موضع  
الحال ، والعامل فيه ما قبله ، فيجب وصله معه ، وقيل هو مصدر ، والعامل فيه محذوف تقديره يحسدونكم  
حسدا ، فعلى هذا يوقف على ما قبله ، والأول أظهر وأرجح (من عند أنفسهم) يتعلق بحسداً وقيل بيود  
(فاعف) منسوخ بالسيف (بأمره) يعنى إباحة قتالهم أو وصول آجالهم (وقالوا لن يدخل الجنة) الآية : أى  
قالت اليهود لن يدخل الجنة : إلا من كان يهوديا ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا (هودا)  
يعنى اليهود وهذه الكلمة جمع هايد أو مصدر وصف به وقال الفراء : حذفته منه يهودا على غير قياس (أمانيتهم)  
أكاذيبهم أو ما يتمنونها (هاتوا) أمر على وجه التعجيز ، والرد عليهم ، وهو من : هاتى ، يهاتى ، ولم ينطق به ،  
وقيل أصله : آتوا ، وأبدل من الهمزة هاء (بلى) لإيجاب لما نفوا : أى يدخلها من ليس يهوديا ، ولا نصرانيا  
(من أسلم وجهه لله) أى دخل فى الإسلام وأخلص ، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان (وقالت  
اليهود) الآية : سبها : اجتماع نصارى نجران مع يهود المدينة قدمت كل طائفة الأخرى (وهم يتلون) تقييح  
لقولهم مع تلاوتهم الكتاب (الذين لا يعلمون) المشركون من العرب لأهم لا كتاب لهم (منع مساجد الله)  
لفظه الاستفهام ومعناه : لأحد أظلم منه حيث وقع : قريش منعت الكعبة ، أو النصارى منعوا بيت المقدس  
أو على العموم (خائفين) فى حق قريش ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يبحج بعد هذا العام مشرك ، وفى حق  
حق النصارى ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية (خزى) فى حق قريش غلبتهم وفتح مكة ، وفى حق  
النصارى : فتح بيت المقدس أو الجزية (فأينما تولوا) فى الحديث الصحيح أنهم صلوا ليلة فى سفر إلى غير  
القبلة بسبب الظلمة فنزلت ، وقيل هى فى نفل المسافر حيث ما توجهت به دابته ، وقيل هى راجعة إلى  
ما قبلها : أى إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم ، وقيل إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة ،  
فهى كقوله بعد هذا « قل لله المشرق والمغرب . الآية ، والقول الأول هو الصحيح ، ويؤخذ منه أن من

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٌ قَسْتُونَ ۖ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ

أخطأ القبلة ، فلا تجب عليه الإعادة وهو مذهب مالك (وجه الله) المراد به هنارضاه كقوله « ابتغاء وجه الله » أى رضاه ، وقيل معناه الجهة التي وجهه إليها ، وأما قوله « كل شيء هالك إلا وجهه ، ويبقى وجه ربك ، فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكيف ، ويرد عليه إلى الله ، وقال الأصوليين : هو عبارة عن الذات أو عن الوجود ، وقال بعضهم : هو صفة ثابتة بالسمع ( وقالوا اتخذ ) قالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقالت الصابئون وبعض العرب : الملائكة بنات الله ( سبحانه ) تزويه لهم عن قولهم ( بل له ) الآية رد عليهم لأن الكل ملكه ، والعبودية تنافي النبوة ( قانتون ) أى طائعون منقادون ( بديع السموات ) أى مخترعها وخالقها ابتداء ( وإذا قضى أمرا ) أى قدره وأمضاه ، قال ابن عطية يتحد في الآية المعنيان ، فعلى مذهب أهل السنة قدر في الأزل وأمضى فيه ، وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد ، قلت : لا يكون قضى هنا بمعنى قدر ، لأن القدر قديم ، وإذا تقتضى الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم ، وإنما قضى هنا بمعنى أمضى أو فعل أو وجد كقوله : فقضاهن سبع سموات ، وقد قيل إنه بمعنى ختم الأمر ، وبمعنى حكم ، والأمر هنا بمعنى الشيء ، وهو واحد الأمور ، وليس بمصدر أمر يأمر ( وإنما يقول له كن فيكون ) قال الأصوليون : هذا عبارة عن تعود قدرة الله تعالى وليس بقول حقيق لأنه إن كان قول كن خطابا للشيء في حال عدمه لم يصح ، لأن المعدوم لم يخاطب وإن كان خطابا في حال وجوده لأنه قد كان ، وتحصيل الحاصل غير مطلوب وحمله المفسرون على حقيقته ، وأجابوا عن ذلك بأربعة أجوبة : أحدها : أن الشيء الذي يقول له كن فيكون هو موجود في علم الله وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا ، والثاني : أن قوله كن لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبري ، والثالث : أن ذلك خطابا لمن كان موجودا على حاله فيأمر بأن يكون على حالة أخرى : كإحياء الموتى ، ومسح الكفار وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص والرابع : أن معنى يقول له : يقول من أجله ، فلا يلزم خطابه : والأول أحسن هذه الأجوبة ، وقال ابن عطية تلخيص المعتقد في هذه الآية : أن الله عز وجل لم يزل أمرا للمعدومات بشرط وجودها ، فكل ما في الآية بما يقتضى الاستقبال ، فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن ، فيكون رفع على الاستثناء ، قال سيويوه : معناه فهو يكون ، قال غيره : يكون عطف على يقول ، واختاره الطبري ، وقال ابن عطية : وهو فاسد من جهة المعنى ، ويقتضى أن القول مع التكوين والوجود ، وفي هذا نظر ( وقال الذين لا يعلمون ) هم هنا وفي الموضع الأول كفار العرب على الأصح ، وقيل هم اليهود والنصارى ( لولا يكلمنا الله ) لولا هنا عرض ، والمعنى أنهم قالوا : لن نؤمن حتى يكلمنا الله ( أو تأتينا آية ) أى دلالة من المعجزات كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا وما بعده ( كذلك قال الذين من قبلهم ) يعنى اليهود والنصارى على القول بأن الذين لا يعلمون كفار العرب ، وأما على القول بأن الذين لا يعلمون اليهود والنصارى ، فالذين من قبلهم هم أمم الأنبياء المتقدمين ( تشابهت قلوبهم ) الضمير للذين لا يعلمون ، وللذين من قبلهم ، وتشابه قلوبهم في الكفر أو في طلب

الْجَحِيمِ • وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَنْ أَتَّبِعَ  
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ • الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ  
تِلَاوَتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ • يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي  
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ • وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ  
وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ • وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا  
قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ • وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَانْتَحَدُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

مالا يصح أن يطلب ، وهو كقولهم لولا يكلمنا الله (قد بينا الآيات) أخبر تعالى أنه قد بين الآيات لعنادهم  
(إنا أرسلناك بالحق) خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالحق التوحيد ، وكل ما جاءت به الشريعة (بشيرا  
ونذيرا) تبشر المؤمنين بالجنة ، وتندر الكافرين بالنار ، وهذا معنى حديث وقع (ولا تسأل) بالجزم نهى ،  
وسبها أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن حال آباءه في الآخرة فنزلت ، وقيل إن ذلك على معنى التهويل  
كقولك : لا تسأل عن فلان لشدة حاله ، وقرأ غير نافع بضم التاء واللام : أى لا تسأل في القيامة عن ذنوبهم  
(ملتهم) ذكرها مفردة وإن كانت ملتين ؛ لأنهما متفتحتان في الكفر ، فكأنهما ملة واحدة (قل إن الهدى هدى  
الله) لا ما عليه اليهود والنصارى ، والمعنى : أن الذى أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيق لأنه هدى من عند الله  
بمخلاف ما يدعيه اليهود والنصارى (ولئن اتبعت أهواءهم) جمع هوى ، ويعنى به ما هم عليه من الأديان الفاسدة  
والأقوال المضلة ؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس والضمير لليهود والنصارى ، والخطاب لمحمد  
صلى الله عليه وسلم ، ومن علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ، ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك ، فهو  
على معنى الفرض والتقدير ، ويحتمل أن يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم ، والمراد غيره (الذين آتيناهم  
الكتاب) يعنى المسلمين ، والكتاب على هذا : القرآن ، وقيل هم من أسلم من بنى إسرائيل ، والكتاب على  
هذا التوراة ، ويحتمل العموم ، ويكون الكتاب اسم جنس (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤنه كما يجب من  
التدبر له والعمل به ، وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والأولى أظهر ، فإن  
التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة ، وبمعنى الاتباع فإنه أظهر فى معنى القراءة لاسيما إذا كانت تلاوة  
الكتاب ، ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال ، ويكون الخبر أولئك يؤمنون ، وهذا أرجح ،  
لأن مقصود الكلام الشاء عليهم بالإيمان ، أو إقامة الحججة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن (يا بنى إسرائيل)  
الآية : تقدم الكلام على نظيرتها (وإذ ابتلى) أى اختبر ، فالعامل فى إذ فعل مضمرة تقديره اذكر ، وقوله  
(بكلمات) قيل : مناسك الحج ، وقيل : خصال الفطرة العشرة ، وهى : المضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ،  
وقص الشارب ، وإعفاء اللحية ، وقص الأظافر ، وتنف الإبطين ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء ،  
وقيل هى ثلاثون خصلة : عشرة ذكرت فى براءة من قوله : التائبون العابدون ، وعشرة فى الأحزاب من  
قوله : إن المسلمين والمسلمات ، وعشرة فى المعارج من قوله : إلا المصلين (فاتمهن) أى عمل بهن (ومن ذريتي)

مُصَلَّى وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ  
 إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ  
 كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْرُثُهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ  
 وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ  
 وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ

استفهام أو رغبة (عهدي) الإمامة (البيت) الكعبة (مثابة) اسم مكان من قولك ثاب إذا رجع ، لأن الناس  
 يرجعون إليه عاما بعد عام (واتخذوا) بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام ، وبالكسر إخبار لهذه  
 الأمة ، وافق قول عمر رضی الله عنه : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ، وقيل أمر لإبراهيم وشيعته ، وقيل  
 لبنى إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله : اذكروا نعمتي ، وهذا بعيد (من مقام إبراهيم) هو الحجر الذي صعد به  
 حين بناء الكعبة ، وقيل المسجد الحرام (وعهدنا) عبارة عن الأمر والوصية (طهرا بيتي) عبارة عن بنيانه بنية خالصة  
 كقوله : أسس على التقوى وقيل المعنى طهراه عن عبادة الأصنام (للطائفين) هم الذين يطوفون بالكعبة وقيل الغرباء  
 القادمون على مكة والأول أظهر (والعاكفين) هم المعتكفون في المسجد وقيل المصلون وقيل المجاورون من الغرباء ،  
 وقيل أهل مكة ، والعكوف في اللغة اللزوم (بلدا) يعني مكة (آمنا) أي ما يصيب غيره من الخسف والعذاب ، وقيل  
 آمنا من إغارة الناس على أهله لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض ، وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة ، وهذا  
 أرجح لقوله : أولم نمكن لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ، فإن قيل : لم قال في البقرة «بلدا آمنا»  
 فعرف في إبراهيم ، ونكر في البقرة ؟ أجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة «الجواب الأول» قاله أستاذنا الشيخ  
 أبو جعفر بن الزبير ، وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله : القواعد من البيت ، وذكر البيت يقتضى  
 بالملازمة ذكر البلد الذى هو فيه ، فلم يحتج إلى تعريف ، بخلاف آية إبراهيم ، فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضى  
 ذكر البلد ولا المعرفة به ، فذكره بلام التعريف «الجواب الثانى» قاله السهلبى وهو أن النبي صلى الله عليه وآله  
 وسلم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم لأنها مكية فلذلك قال فيه البلد بلام التعريف التي للحضور : كقولك :  
 هذا الرجل ، وهو حاضر ، بخلاف آية البقرة ، فإنها مدنية ، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يعرفها  
 بلام الحضور ، وفي هذا نظر ؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام ، فلا فرق بين نزوله بمكة  
 أو المدينة «الجواب الثالث» قاله بعض المشارقة أنه قال هذا بلد آمنا قبل أن يكون بلدا فكأنه قال اجعل هذا  
 الموضع بلدا آمنا وقال هذا البلد بعد ما صار بلدا وهذا يقتضى أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين ، والظاهر أنه  
 مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين (من آمن) بدل بعض من كل (ومن كفر) أى قال الله وأرزق من  
 كفر لأن الله يرزق في الدنيا المؤمن والكافر (ربنا تقبل منا) على حذف القول أى يقولان ذلك (وأرنا  
 مناسكنا) علمنا موضع الحج وقيل العبادات (فيهم) أى في ذريتنا (رسولا منهم) هو محمد صلى الله عليه وآله  
 وسلم ، ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم «أنادعوة أبى إبراهيم» والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل  
 وهم العرب الذين من نسل عدنان ، وأما الذين من قحطان فاختلف هل هم من ذرية إسماعيل أم لا (آياتك)

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ  
نَفْسَهُ وَلَقَدْ أُصْطَفِيَ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ لِمَ قَالَ أَسْمَلْتُ لِرَبِّ  
الْعَالَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ۝  
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ  
وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُولُوا ءَأَمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝  
فَإِنَّ ءَأَمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَأَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ ۝ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۝ قُلْ اتَّخَذْتُمْ لِرَبِّكُمْ  
وَلِنَا أَعْمَلًا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ۝ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ  
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ  
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝  
سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۝

هنا القرآن (والحكمة) هنا هي السنة (وزكيتهم) أي يطهرهم من الكفر والذنوب (سفه نفسه) منصوب على التشبيه بالمفعول به، وقيل الأصل في نفسه ثم حذف الجار فاتصّب وقيل تميز (وأوصى بها) أي بالكلمة والملة (ويعقوب) بالرفع عطف على إبراهيم، فهو موصى، وقرئ بالنصب عطفًا على نبيه فهو موصى (أم كنتم) أم هنا منقطعة معناها الاستفهام والإنكار، وإسماعيل كان عمه، والعم يسمى أبا (وقالوا كونوا) أي قالت اليهود كونوا هودًا وقالت النصارى كونوا نصارى (بل ملة) منصوب بإضمار فعل (لا تفرق) أي لا تؤمن بالبعث دون البعض، وهذا برهان، لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبي، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم تناقض (فسيكفيكمهم) وعد ظهر مصداقه فقتل بنى قريظة وأجل بنى النضير وغير ذلك (صبغة الله) أي دينه وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره، ونصبه على الإغراء وعلى المصدر من المعاني المقدمة أو بدل من ملة إبراهيم (كنتم شهادة) من الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفية (من الله) يتعلق بكنتم أو كأن المعنى شهادة تخلصت له من الله (سيقول) ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه، إلا أن ابن عباس قال نزلت بعد

إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لِكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۚ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ لَّعْمَلُونَ ۚ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن

قولهم (السفهاء) هنا اليهود أو المشركون أو المناقون (ماولاهم) أى ماولى المسلمين (عن قبلتهم) الأولى وهى بيت المقدس إلى الكعبة (لله المشرق والمغرب) الآية : ردا عليهم لأن الله يحكم مايريد ، وبولى عباده حيث شاء ، لأن الجهات كلها له (وكذلك) بعدما هديناكم (جعلناكم أمة وسطا) أى خيارا (شهداء على الناس) أى تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم (عليكم شهيدا) أى بأعمالكم ، قال عليه الصلاة والسلام أقول كما قال أخى عيسى : وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الآية ، فإن قيل : لم قدم المجرور فى قوله عليكم شهيدا وأخره فى قوله : شهداء على الناس ؟ فالجواب : أن تقديم المعمولات يفيد الحصر ، فقدم المجرور فى قوله : عليكم شهيدا ؛ لاختصاص شهادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأقمته ولم يقدمه فى قوله شهداء على الناس لأنه لم يقصد الحصر (القبلة التى كنت عليها) فيها قولان : أحدهما : أنها الكعبة ، وهو قول ابن عباس . والآخر : هو بيت المقدس ، وهو قول قتادة وعطاء والسدى . وهذا مع ظاهر قوله : كنت عليها ؛ لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى إلى بيت المقدس ، ثم انصرف عنه إلى الكعبة ، وأما قول ابن عباس : فتأويله بوجهين : الأول : أن كنت بمعنى أنت ، والثانى قيل إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس ، وإعراب التى كنت عليها مفعول بجعلنا ، أو صفة للقبلة ، ومعنى الآية على القولين : اختبار وقتة للناس بأمر القبلة ، وأما على قول قتادة فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة ، أو فتنة لمن أنكر تحويلها ، وتقديره على هذا : ما جعلنا صرف القبلة ، أما على قول ابن عباس : فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود ؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس ، وهم مع ذلك ينكرون النسخ ، فأنكروا صرف القبلة ، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبلة (لنعلم) أى العلم الذى تقوم به الحجة على العبد وهو إذا ظهر فى الوجود ما علمه الله (ينقلب على عقبيه) عبارة عن الارتداد عن الإسلام ، وهو تشبيه بمن رجع يمشى إلى وراء (وإن كانت) إن مخففة من الثقيلة واسم كان ضمير الفعلة وهى التحول عن القبلة (إيمانكم) قيل صلاتكم إلى بيت المقدس واستدل به من قال إن الأعمال من الإيمان ، وقيل معناه ثبوتكم على الإيمان حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبلة (تقلب وجهك) كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة (شطر المسجد) جهة (وما أنت بتابع قبلتهم) خبر يتضمن النهى ووحدت قبلتهم ، وإن كانت جهتين لاتحادهم فى البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) لأن

اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۗ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا  
 يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۗ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۗ  
 وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًّا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ  
 وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۗ  
 وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ  
 لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تُؤْمِنُوا عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ تَهْتَدُونَ ۗ  
 كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ  
 تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۗ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۗ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا

اليهود لعنهم الله يستقبلون المغرب والنصارى المشرق (يعرفونه) أى يعرفون القرآن أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أمر القبلة (كما يعرفون أبناءهم) مبالغة في وصف المعرفة ، وقال عبد الله بن سلام معرقى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أشد من معرقى بابن لآن ابني قد يمكن فيه الشك (ولكل) أى لكل أحد أو لكل طائفة (وجهة) أى جهة ، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان ، وقيل إنه مصدر ، وثبت فيه الواو على غير قياس (هو موليها) أى موليها وجهه ، وقرئ مولاها أى ولاء الله إليها ، والمعنى أن الله جعل لكل أمة قبلة (فاستبقوا الخيرات) أى بادروا إلى الأعمال الصالحات (يأت بكم الله) أى يبعثكم من قبوركم (فول وجهك) الأمر كرر للتأكيد أو ليناط به ما بعده (لئلا يكون للناس) الآية : معناها أن الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعارضين من الناس ، فإن أريد اليهود فحجتهم أنهم يجدون فى كتبهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتحول إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تقبل لهم حجة على المسلمين ، وإن أريد قريش فحجتهم أنهم قالوا قبلة آباءه أولى به (إلا الذين ظلموا) أى من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة ، والاستثناء متصل ؛ لأنه استثناء من عموم الناس . ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء بمن له حجة ، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة (ولآتم) متعلق بمحذوف أى فعلت ذلك لآتم ، أو معطوف على لئلا يكون (كما أرسلنا) متعلق بقوله لآتم ، أو بقوله فاذكروني ، والأول أظهر (فاذكروني أذكركم) قال سعيد بن المسيب : معناه اذكروني بالطاعة : أذكركم بالثواب ، وقيل اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك ، وقد أكثر المفسرون ، ولا سيما المتصوفة فى تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معانى مخصوصة ، ولا دليل على التخصيص ، وباجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يرويه عن ربه : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني فى نفسه : ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرني فى ملاء : ذكرته فى ملاحير منهم . والذكر ثلاثة أنواع : ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وبهما معا ، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة ،

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ . وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن

وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال : كالصلاة وغيرها ؛ فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه (الأول) النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله . وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : ذكر الله ، قيل الذى ذكر أفضل أم الجهاد فى سبيل الله ؟ فقال : لو ضرب المجاهد بسيفه فى الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دماً : لكان الذى ذكر أفضل منه (الوجه الثانى) أن الله تعالى حيث ما أمر بالذكر ، أو أنى على الذكر : اشترط فيه الكثرة ، فقال : اذكروا الله ذكراً كثيراً ، والذاكرين الله كثيراً ، ولم يشترط ذلك فى سائر الأعمال (الوجه الثالث) أن للذكر مزية هى له خاصة وليست لغيره : وهى الحضور فى الحضرة العلية ، والوصول إلى القرب بالذى عبر عنه ماورد فى الحديث من المجالسة والمهية ، فإن الله تعالى يقول : أنا جليس من ذكرنى ، ويقول : أنا عند ظن عبدي بى وأنا معه حين يذكرنى

وللناس فى المقصد بالذكر مقامان : فمقصد العامة اكتساب الأجور ، ومقصد الخاصة القرب والحضور وما بين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب ، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحاب .

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة : فمنها التهليل ، والتسبيح ، والتكبير ، والحمد ، والحوقة ، والحسبة ، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والاستغفار ، وغير ذلك . ولكل ذكر خاصيته وثمرته . وأما التهليل : فثمرته التوحيد : أعنى التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن ، وأما التكبير : فثمرته التعظيم والإجلال لى الجلال ، وأما الحمد والأسماء التى معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك : فثمرتها ثلاث مقامات ، وهى الشكر ، وقوة الرجاء ، والمحبة . فإن المحسن محبوب لا محالة ، وأما الحوقلة والحسبة : فثمرتهما التوكل على الله والتفويض إلى الله ، والثقة بالله : وأما الأسماء التى معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك : فثمرتها المراقبة . وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فثمرتها شدة المحبة فيه ، والمحافظة على اتباع سنته ، وأما الاستغفار : فثمرته الاستقامة على التقوى ، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة

ثم إن ثمرة الذكر التى تجمع الأسماء والصفات بمجموعة فى الذكر الفرد وهو قولنا : الله ، الله . فهذا هو الغاية وإليه المنتهى ( استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ) أى بمعونته ( ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ) قيل إنها نزلت فى الشهداء المقتولين فى غزوة بدر ، وكانوا أربعة عشر رجلاً لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم فنزلت الآية مبينة لمنزلة الشهداء عند الله وتسلية لأقاربهم ، ولا يخصها بزولها

لَا تَشْعُرُونَ ، وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشَرَ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ، إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ، إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

فيهم بل حكمها على العموم في الشهداء (ولنبلونكم) أي نختبركم ، وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فعناه أن يظهر في الوجود ما في علمه لتقوم الحججة على العبد وليس كاختبار الناس بعضهم بعضا ، لأن الله يعلم ما كان وما يكون والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين ، وقيل لكفار قريش ، والأول أظهر لقوله بعد هذا وبشر الصابرين (بشيء من الخوف) من الأعداء (والجوع) بالجذب (ونقص من الأموال) بالخسارة (والأنفس والثمرات) بالجوائح ، وقيل ذلك كله بسبب الجهاد (إنا لله) اللام للدك والمالك يفعل في ملكه ما يشاء (راجعون) تذكروا الآخرة تهون عليهم مصائب الدنيا ، وفي الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من أصابته مصيبة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيرا منها أخلف الله له خيرا مما أصابه . قالت أم سلمة فلما مات زوجي أبو سلمة قلت ذلك فأبدلني الله به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(فائدة) ورد ذكر الصبر من القرآن في أكثر من سبعين موضعا ، وذلك لعظمة موقعه في الدين . قال بعض العلماء : كل الحسنة لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره ، لقوله تعالى : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب . وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة : أولها المحبة ، قال ، والله يحب الصابرين ، والثاني : النصر قال ، إن الله مع الصابرين ، والثالث : غرفات الجنة ، قال ، يجزون الغرفة بما صبروا ، والرابع : الأجر الجزيل قال ، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ، والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية ، ففيها البشارة ، قال ، وبشر الصابرين ، والصلاة والرحمة والهداية (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) والصابرون على أربعة أوجه : صبر على البلاء ، وهو منع النفس من التسخيط والهلع والجزع . وصبر على النعم وهو تقييدها بالشكر ، وعدم الطغيان ، وعدم التكبر بها . وصبر على الطاعة بالمحافظة والدوام عليها . وصبر عن المعاصي بكف النفس عنها ، وفوق الصبر التسليم وهو ترك الاعتراض والتسخيط ظاهرا ، وترك الكراهة باطنا وفوق التسليم الرضا بالقضاء ، وهو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة ، وكل ما يفعل المحبوب محبوب (إن الصفا والمروة) جبلان صغيران بمكة (من شعائر الله) أي معالم دينه واحدها شعيرة أو شعارة (فلا جناح عليه) إباحة للسعي بين الصفا والمروة والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي ، وإنما جاء بلفظ يقتضى الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما ، لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف ، وعلى المروة صنم يقال له نائلة ، تخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيما للصنمين ، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك ، ثم إن السعي بينهما للسنة ، قالت عائشة رضی الله عنها ، سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السعي بين

وَأَهْدِيْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ أَوْ لَكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا  
وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ  
عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۗ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۗ وَاللَّهُمُّ  
إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۗ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ  
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

الصفاء والمروة، وليس لأحد تركه، وقيل إن الوجوب يؤخذ من قوله «شعائر الله»، وهذا ضعيف لأن شعائر الله: منها واجبة، ومنها مندوبة، وقد قيل إن السعي مندوب (يطوف) أصله يتطوف ثم أدغمت التاء في الطاء وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط (ومن تطوع) عاما في أفعال البر، وخاصة في الوجوب من السنة أو معنى التطوع بحج بعد حج الفريضة (إن الذين يكتُمون) أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم (في الكتاب) التوراة هنا (اللاعنون) الملائكة والؤمنون، وقيل المخلوقات إلا الثقلين، وقيل البهائم لما يصيبهم من الجذب لذنوب الكائمين للحق (ويبنوا) أي شرط في توبتهم أن يبنوا لأنهم كتموا (والناس أجمعين) هم المؤمنون فهو عموم يراد به الخصوص لأن المؤمنين هم الذين يعتمد بلعنهم للكافرين، وقيل يلعنهم جميع الناس (خالدين فيها) أي في اللعنة، وقيل في النار (ولاهم ينظرون) من أنظر إذا أخرج، أي لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون أو من نظر لقوله «لا ينظر إليهم» إلا أن يتعدى يأل (ولهمك إله واحد) الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى: أحدها: أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد، والآخر أنه لا شريك له، والثالث أنه لا يتبعض ولا ينقسم، وقد فسّر المراد به هنا في قوله: لا إله إلا هو، واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات الأولى توحيد عامة المسلمين وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا، وينجي من الخلود في النار في الآخرة وهو نفي الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد. الدرجة الثانية: توحيد الخاصة، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال الحاصل لكل مؤمن، وإما مقام الخاص في التوحيد يعني في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده وإطراح جميع الخلق، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف أحداً سواه إذ ليس يرى فاعلاً إلا إياه ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس يدهم شيء من الأمر، فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب، والدرجة الثالثة ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات، حتى كأنها عنده معدومة، وهذا الذي تسميه الصوفية مقام الفناء بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه، وعن توحيده: أي يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله (إن في خلق السموات والأرض) الآية ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات تنبها على ما فيها من العبر والاستدلال على التوحيد المذكور قبها في قوله: وإلهكم إله واحد (واختلاف الليل والنهار) أي اختلاف وصفهما من الضياء والظلام والطول والقصر، وقيل إن أحدهما يخلف الآخر (بما ينفع الناس) من التجارة وغيرها (وتصريف الرياح) إرسالها من جهات

فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمَنْ  
النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا  
إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ . إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا  
الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبِعُ اللَّهُ مَا كَذَلِكَ يَرِيهِمْ  
اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ مِنَ النَّارِ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا

مختلفة ، وهى الجهات الأربع ، وما بينهما وبصفات مختلفة فمنها ملقحة بالشجر ، وعقيم ، وصر ، والنصر ،  
واللهلاك (والذين آمنوا أشد حبا لله) اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين : إحداهما المحبة العامة التى لا يتخلو منها  
كل مؤمن ، وهى واجبة ، والأخرى المحبة الخاصة التى ينفرد بها العلماء الربانيون ، والأولياء والأصفياء ،  
وهى أعلى المقامات ، وغاية المطوبات ، فإن سائر مقامات الصالحين : كالخوف ، والرجاء ، والتوكل ، وغير  
ذلك فهى مبنية على حظوظ النفس ، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه وأن الراجى إنما يرجو منفعة  
نفسه ؛ بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة ، واعلم أن سبب محبة الله معرفته فتقوى المحبة  
على قدر قوة المعرفة ، وتضعف على قدر ضعف المعرفة ، فإن الموجب للمحبة إحدى أمرين ، وكلاهما إذا اجتمع  
فى شخص من خلق الله تعالى كان فى غاية الكمال . الموجب الأول الحسن والجمال ، والآخر الإحسان والإجمال ،  
فأما الجمال فهو محبوب بالطبع ، فإن الإنسان بالضرورة يجب كل ما يستحسن ، والإجمال مثل جمال الله فى حكمته  
البالغة وصنائه البديعة ، وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار ، التى تروق العقول وتمسح القلوب ، وإنما يدرك جمال  
الله تعالى بالبصائر ، لا بالأبصار ، وأما الإحسان فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وإحسان الله  
إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ويكفيك أنه يحسن إلى المطيع  
والعاصى ، والمؤمن والكافر ، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو فى الحقيقة منه ، وهو المستحق للمحبة وحده .  
واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجد فى طاعته والنشاط لخدمته ،  
والحرص على مرضاته والتلذذ بمناجاته ، والرضا بقضائه ، والشوق إلى لقائه والأنس بذكره ، والاستيحاء  
من غيره ، والفرار من الناس ، والانفراد فى الخلوات ، وخروج الدنيا من القلب ، ومحبة كل من يحبه الله وإيثاره  
على كل من سواه ، قال الحارث المحاسبى : المحبة تسليمك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك  
ثم موافقته سرا وجهراً ثم عليك بتقصيرك فى حبه (ولو ترى) من رؤية العين والذين ظلموا مفعول ، وجواب  
لو محذوف وهو العامل فى أن التقدير لو ترى الذين ظلموا لعلمت أن القوة لله أو لعلموا أن القوة لله ، والقوى  
بالياء ، وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب ، والذين ظلموا فاعل ، وأن القوة مفعول يرى ، وجواب لو محذوف  
والتقدير لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله لندموا ، ولا مستعظموأما حل بهم (إذ تبرأ) بدل من إذ يرون ، أو استئناف  
والعامل فيه محذوف وتقديره اذكر (الذين اتبعوا) هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى  
(الأسباب) هنا الوصلات من الأرحام والمودات (أعمالهم حسرات) أى سيادتهم وقيل حسرتهم إذا لم تقبل

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۚ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۚ وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاً وَنِدَاً ۚ صُمُّ بكم عَمَىٰ فهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۚ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا ءَاهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

منهم أو ما عملوا لأهلهم (كأوا) أمر محمول على الإباحة (حلالاً) حال مما في الأرض أو مفعول بكأوا أو صفة لمفعول محذوف أى شيئاً حلالاً (طيباً) يحتمل أن يريد الحلال (خطوات الشيطان) ما يأمر به ، وأصله من خطوات الشيء وقال المنذر بن سعيد يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهى لغتان (بالسوء والفحشاء) المعاصى (وأن تقولوا) الإشراف وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك (أولو) كان آباؤهم) رداً على قولهم : بل نتبع الآية فى كفر العرب وقيل فى اليهود أنهم يتبعونهم ولو كانوا (لا يعقلون) فدخلت همزة الإنكار على واو الحال (ومثل الذين كفروا) الآية : فى معناها قولان : الأول تشبيه الذين كفروا بالبهائم لقلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم ، ولا بد فى هذا من محذوف ، وفيه وجهان : أحدهما أن يكون المحذوف أول الآية والتقدير مثل داعى الذين كفروا الى الإيمان (كمثل الذى ينطق) أى يصيح (بما لا يسمع) وهى البهائم التى لا تسمع (إلا دعاء ونداء) ولا يعقل معنى ، والآخر أن يكون المحذوف بعد ذلك والتقدير مثل الذين كفروا كمثل مدعو الذى ينطق ويكون دعاء ونداء على الوجهين مفعولاً يسمع والنطق : هو زجر الغنم ، والصياح عليها ، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم وداعيمهم بالذى يزرعها وهو يصيح عليها ، الثانى : تشبيه الذين كفروا فى دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينطق بما لا يسمع لأن الأصنام لا تسمع شيئاً ، ويكون دعاء ونداء على هذا منقطع : أى أن الداعى يتعب نفسه بالدعاء أو النداء لمن لم يسمعه من غير فائدة ، فعلى هذا شبه الكفار بالنطق (صم) وما بعده راجع إلى الكفار وذلك غير التأويل الأول ورفعوا على إضمار مبتدأ (واشكروا) الآية : دليل على وجوب الشكر لقوله ، إن كنتم إياه تعبدون (الميتة) مامات حنط أنفه ، وهو عموم خص منه الحوت والجراد ، وأجاز ذلك أكل الطافي من الحوت ، ومنعه أبو حنيفة ، ومنع مالك الجراد حتى تسبب فى بيوتها بقطع عضو منها أو وضعها فى الماء وغير ذلك ، وأجازه عبد الحكم دون ذلك (والدم) يريد المسفوح لتقييده بذلك فى سورة الأنعام ، ولا خلاف فى إباحة ما خالط اللحم من الدم (ولحم الخنزير) هو حرام سواء ذكى أو لم يذك ، وكذلك شحمه بإجماع ، وإنما خص اللحم بالذكر ، لأنه الغالب فى الأكل ولأن الشحم تابع له ، وكذلك من حاف أن لا يأكل لحماً فأكل شحماً حنط بخلاف العكس (وما أهل به) أى صيغ لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل فى النية فى الذبح (لغير الله) الأصنام وشبهها (اضطر) بالجوع أو بالإكراه ، وهو مشتق من الضرورة ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء (غير باغ ولا عاد) قيل باغ على المسلمين ، وعاد عليهم ، ولذلك لم يرخص مالك فى رواية عنه

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْغُفْرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ

للعاصي بسفره أن يأكل لحم الميتة ، والمشهور عنه الترخيص له ، وقيل غير باغ باستعمالها من غير إضرار ، وقبل باغ أى متزايد على إمساك رمقه ولهذا لم يحز الشافعي للمضطر أن يشبع من الميتة قال مالك بل يشبع ويتزود (فلا أثم عليه) رفع للخرج ، ويجب على المضطر أكل الميتة لثلا يقتل نفسه بالجوع وإنما تدل الآية على الإباحة لا على الوجوب ، وقد اختلف هل يباح له ميتة بنى آدم أم لا ، فمنعه مالك وأجازة الشافعي لعموم الآية (إن الذين يكتُمون) اليهود (ما يأكلون في بطونهم إلا النار) أى أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار فوضع السبب موضع المسبب ، وقيل يأكلون النار في جهنم حقيقة (ولا يكلمهم الله) عبارة عن غضبه عليهم ، وقيل لا يكلمهم بما يحبون (ولا يزكهم) لا يثنى عليهم (فما أصبرهم على النار) تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة ، وقيل إنها استفهام ، وأصبرهم بمعنى صبرهم ، وهذا بعيد ، وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله لأنه استعظام خفي سببه ، وذلك لا يلزم فإنه في حق الله غير خفي السبب (ذلك) إشارة إلى العذاب ورفع بالابتداء أو بفعل مضمرة (بأن الله) الباء سببية (نزل الكتاب) القرآن هنا (بالحق) أى بالواجب ، أو بالإخبار الحق أى الصادق ، والباء فيه سببية أو للصحابة (الذين اختلفوا في الكتاب) اليهود والنصارى ، والكتاب على هذا التوراة والإنجيل ، وقيل الذين اختلفوا العرب ، والكتاب على هذا القرآن ويحتمل جنس الكتاب في الموضوعين (في شقاق بعيد) أى بعيد من الحق والاستقامة (ليس البر) الآية : خطاب لأهل الكتاب لأن المغرب قبله اليهود ، والمشرق قبله النصارى : أى إنما البر التوجه إلى الكعبة ، وقيل خطاب للمؤمنين أى ليس البر الصلاة خاصة ، بل البر جميع الأشياء المذكورة بعدهذا (ولكن البر من آمن) لا يصح أن يكون خبراً عن البر فتأويله : لكن صاحب البر من آمن أو لكن البر بر من آمن أو يكون البر مصدراً ووصف به (وآت المال) صدقة التبايع ، وليست بالزكاة لقوله بعد ذلك : وآتى الزكاة (على حبه) الضمير عائد على المال لقوله «ويؤثرون على أنفسهم الآية» وهو الراجح من طريق المعنى ، وعود الضمير على الأقرب وهو على هذا تميم وهو من أدوات البيان ، وقيل يعود على مصدر آتى ، وقيل على الله (ذو القربى) وما بعده ترتيب بتقديم الأهم فالأهم ، والأفضل لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم . ثم اليتامى لصغرهم وحاجتهم ثم المساكين للحاجة خاصة ، وابن السبيل الغريب ، وقيل الضعيف ، والسائلين وإن كانوا غير محتاجين ، وفي الرقاب عتقها (والمؤمنون بعهدهم) أى العهد مع الله ومع الناس (والعابرين) نصب بإضمار فعل (في البأساء)

إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ  
بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفَى لَهُ  
مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِعَدَاكُمُ  
فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ  
الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَسْمَعِهِ فَمَا

الفقر (والضراء) المرض (وحين البأس) القتال (صدقوا) في القول والفعل والعزيمة (كتب عليكم القصاص)  
أى شرع لكم، وليس بمعنى فرض، لأن ولي المقتول يخير بين القصاص والدية والعفو، وقيل بمعنى فرض  
أى فرض على القاتل الانقياد على القصاص، وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى غيره كفعل الجهلة وعلى  
الحاكم التمسك من القصاص (الحرب بالحرب والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) ظاهره اعتبار التساوى بين القاتل  
والمقتول في الحرية والذكورية، ولا يقتل حر بعبد، ولا ذكر بأنثى إلا أن العلماء أجمعوا على قتل الذكر  
بالأنثى، وزاد قوم أن يعطى أولياءها حينئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتصر منه خلاف لمالك والشافعي  
وأبو حنيفة، وأما قتل الحر بالعبد فهو مذهب أبي حنيفة خلافا لمالك والشافعي، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة  
بشيء من ظاهر الآية لافي الذكورية ولا في الحرية لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظواهرها في الحرية كما  
في الذكورية وتأويلها عنده أن قوله الحر بالحر والعبد بالعبد عموم يدخل فيه: الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى  
والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر قوله: الأنثى بالأنثى: تأكيذا للتجديد، لأن بعض العرب إذا قتل  
منهم أنثى قتلوا بها ذكرا تكبرا وعدوانا، وقد يتوجه قول مالك على نسخ جميعها، ثم يكون عدم قتل الحر  
بالعبد من السنة، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقتل حر بعبد، والناسخ لها على القول بالنسخ: عموم  
قوله النفس بالنفس على أن هذا ضعيف، لأنه إخبار عن حكم بنى إسرائيل (فمن عفى له) الآية: فيها تأويلان:  
أحدهما أن المعنى من قتل من عفى عنه فعليه أداء الدية بإحسان، وعلى أولياء المقتول اتباعه بها على وفاء فعلى هذا  
من كناية عن القاتل وأخوه هو المقتول أو وليه، وعفى من العفو عن القصاص، وأصله أن يتعدى بعن،  
وإنما تعدى هنا باللام لأنه كقولك تجارزت لفلان عن ذنبه، وعلى الثاني أن من أعطيته الدية فعليه اتباع  
المعروف، وعلى القاتل أداء إحسان، فعلى هذا من كناية عن أولياء المقتول، وأخوه هو القاتل أو عاقلته،  
وعفى بمعنى يسر: كقوله خذ العفو أى ما تيسر، ولا إشكال في تعدى عفى باللام على هذا المعنى (ذلك تخفيف)  
إشارة إلى جواز أخذ الدية لأن بنى إسرائيل لم يكن عندهم دية، وإنما هو القصاص (فمن اعتدى) أى قتل  
قاتل وليه بعد أن أخذ منه الدية (عذاب أليم) القصاص منه وقيل عذاب الآخرة (ولكم في القصاص حياة)  
بمعنى قولهم القتل أبقى للقتل أى أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل المعنى أن القصاص أقل قتلا، لأنه  
قتل واحد بواحد، بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتال قبيلتي القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة  
(الوصية للوالدين والأقربين) كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية الميراث مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم

إِثْمَهُ عَلَى الَّذِينَ يبدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ  
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۖ  
 أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ  
 فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۗ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ  
 الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ  
 سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ

د لاوصية لوارث ، وبقية الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين ، وقيل معناها الوصية بتوريث الوالدين  
 والأقربين على حسب الفرائض ، فلا تعارض بينها وبين الموارث ، ولا نسخ ، والأول أشهر ( كتب عليكم  
 الصيام ) أى فرض ، والقصد بقوله ( كما كتب على الذين من قبلكم ) وبقوله ( أياما معدودات ) تسهيل الصيام  
 على المسلمين ، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة ، والذي كتب على الذين من قبلنا الصيام مطلقا ،  
 وقيل كتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه ( أياما ) منصوب بالصيام أو بمحذوف ، ويعد انتصابه بتقون  
 ( فمن كان منكم مريضا ) الآية : إباحة للفطر مع المرض والسفر ، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك ، وفي الكلام  
 عند الجمهور محذوف يسمى فحوى الخطاب ، والتقدير : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدة  
 من أيام أخر ، ولم يفعل الظاهرية بهذا المحذوف فأرأوا أن صيام المسافر والمريض لا يصح ، وأوجبوا عليه  
 عدة من أيام أخر ، وإن صام في رمضان ، وهذا منهم جهل بكلام العرب ، وليس في الآية ما يقتضى تحديد  
 السفر ، وبذلك قال الظاهرية ، وحده في مشهور مذهب مالك أربعة برد ( وعلى الذين يطيقونه فدية ) قيل  
 يطيقونه من غير مشقة فيفطرون ويكفرون . ثم نسخ جواز الإفطار بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ،  
 وقيل يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم ، فيجوز له الفطر فلا نسخ على هذا ، فمن تطوع أى صام ولم يأخذ بالفطر  
 والكفارة ، وذلك على القول بالنسخ ، وقيل تطوع بالزيادة في مقدار الإطعام ، وذلك على القول بعدم النسخ  
 ( شهر رمضان ) مبتدأ أو خبر ابتداء مضمرة أو بدل من الصيام ( أنزل فيه القرآن ) قال ابن عباس أنزل القرآن  
 جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان ، ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 بطول عشرين سنة ، وقيل المعنى أنزل في شأنه القرآن : كقولك أنزل القرآن في فلان وقيل المعنى ابتداء فيه  
 إنزال القرآن ( هدى للناس وبينات من الهدى ) أى أن القرآن هدى للناس ، ثم هو مع ذلك من بينات  
 الهدى ، وذلك أن الهدى على نوعين : مطلق وموصوف بالبينات ، فالهدى الأول هنا على الإطلاق ، وقوله  
 من البينات والهدى : أى وهو من الهدى المبين ، فهو من عطف الصفات كقولك فلان عالم وجليل من العلماء  
 ( فمن شهد أى كان حاضرا غير مسافر والشهر منصوب على الظرفية ، واليسر والعسر على الإطلاق ، وقيل  
 اليسر : الفطر في السفر ، والعسر الصوم فيه ( ولتكملا ) متعلق بمحذوف تقديره شرع أو عطف على اليسر  
 ( العدة ) الأيام التي أفطر فيها ( ولتكبروا ) التكبير يوم العيد أو مطلقا ( أوجب دعوة الداع ) مقيد بمشيئة الله ،

مَاهَدَنكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَّهُنَّ عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ

وموافقة القدر ، وهذا جواب من قال كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة (فليستجيبوا لي) أي امثال مادعوتهم إليه من الإيمان والطاعة (أحل لكم) الآية : كان الأكل والجماع محزما بعد النوم في ليل رمضان ، فجرت لذلك قصة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ولصرمة بن مالك ، فأحلها الله تخفيفا على عباده (الرفث) هنا الجماع ، وإنما تعدى إلى لآله في معنى الإفضاء (هن لباس لكم) تشبيه بالثياب ، لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر ، وهذا تعليل للإباحة (تختانون أنفسكم) أي تأكلون وتجمعون بعد النوم في رمضان (فتاب عليكم وعفى عنكم) أي غفر ما وقعتم فيه من ذلك ، وقيل رفع عنكم ذلك الحكم (باشروهن) (إباحة ما كتب الله لكم) قيل الولد يبتغي بالجماع ، وقيل الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه (من الفجر) بيان للخيط الأبيض لا للأسود ؛ لأن الفجر ليس له سواد ، والخيط هنا استعارة : يراد بالخيط الأبيض بياض الفجر ، وبالخيط الأسود : سواد الليل ، وروى أن قوله من الفجر نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى ، لأن بعضهم جعل خيطا أبيض وخيطا أسود تحت وسادته ، وأكل حتى تبين له ، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو بياض النهار وسواد الليل (إلى الليل) أي إلى أول الليل ، وهو غروب الشمس فمن أفطر قبل ذلك فعليه القضاء والكفارة ومن شك هل غربت أم لا فأفطر ، فعليه القضاء والكفارة أيضا وقيل القضاء فقط ، وقالت عائشة رضي الله عنها « إلى الليل ، يقتضى المنع من الوصال ، وقد جاء ذلك في الحديث (ولا تباشروهن) تحريم للباشرة حين الاعتكاف ، قال الجمهور : المباشرة هنا الجماع فما دونه . وقيل الجماع فقط ، (في المساجد) دليل على جواز الاعتكاف في كل مسجد ؛ خلافا لمن قال لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، وبيت المقدس : وفيه أيضا دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد لاني غيرها خلافا لمن أجازها في غيرها من مفهوم الآية (حدود الله) أحكامه التي أمر بالوقوف عندها (فلا تقربوها) أي لا تقربوا مخالفتها ، واستدل بعضهم به على سد الذرائع لأن المقصود النهي عن المخالفة للحدود لقوله : تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ثم نهى هنا عن مقارنة المخالفة سدا للذريعة (ولا تأكلوا أموالكم) أي لا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) كالقمار ، والغصب ، وجحد الحقوق وغير ذلك (وتدلوا) عذف على لا تأكلوا ، أو نصب بإضمار أن وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها ، والمعنى نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ، ليصل بها إلى أكل مال الناس ، وقيل نهى عن رشوة الحكام بأموال للوصول إلى أكل أموال الناس فالباء على

النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا  
 الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ اتِّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ \* وَقَاتِلُوا فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ  
 حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ  
 فَاقْتُلُوهُمْ كَمَا كَفَرُوا فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ  
 الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ \* الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ  
 أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا عَتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ \* وَأَنْفِقُوا فِي

الأول سببية ، وعلى الثاني للإلصاق (بالإثم) الباء سببية أو للصحابة ، والإثم على النول الأول في تدلوا : إقامة  
 الحججة الباطلة كشهادة الزور ، والأيمان الكاذبة ، وعلى القول الثاني الرشوة (يسألونك عن الأهله)  
 سببها أنهم سألوا عن الهلال ، وما فائدته ومخالفته لحال الشمس ، والهلال ليلتان من أول الشهر ، وقيل  
 ثلاث ، ثم يقال له قمر (مواقيت) جمع ميقات محل الديون والأكرية والقضاء والعدد وغير ذلك ثم ذكر  
 الحج اهتماما بذكره وإن كان قد دخل في المواقيت للناس (وليس البر) الآية : كان قوم إذا رجعوا من الحج  
 لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، وإنما يدخلون من ظهورها ، ويقولون لا يحول بيننا وبين السماء شيء فنزلت الآية  
 إعلاما بأن ذلك ليس من البر ، وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج ، وقيل المعنى ليس البر أن  
 تسألوا عن الأهله وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب ، فعلى هذا البيوت وأبوابها وظهورها  
 استعارة : يراد بالبيوت المسائل ، وبظهورها السؤال عما لا يفيد ، وأبوابها السؤال عما يحتاج إليه (البر من اتقى)  
 تأويله مثل البر من آمن (الذين يقاتلونكم) كان القتال غير مباح في أول الإسلام ، ثم أمر بقتال الكفار الذين  
 يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل ، وذلك مقتضى هذه الآية ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله « قاتلوا المشركين  
 كافة » (اقتلوهم حيث وجدتموهم) فهذه الآية منسوخة ، وقيل إنها محكمة وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من  
 يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم ، والأول أرجح وأشهر (ولا تعتدوا) أى بقتال من لم يقاتلكم  
 على القول الأول ، وبقتال النساء والصبيان على القول الثاني (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة ، لأن  
 قريشا أخرجوا منها المسلمين (والفتنة أشد من القتل) أى فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله ، وقيل كفر  
 الكفار . أشد من قتل المؤمنين لهم في الجهاد (عند المسجد الحرام) منسوخ بقوله حيث وجدتموهم ، وهذا  
 يقوى نسخ الذين يقاتلونكم (فإن انتهوا) عن الكفر فأسلوا بدليل قوله (غفور رحيم) وإنما يغفر للكافر  
 إذا أسلم (لا تكون فتنة) أى لا يبقى دين كفر (الشهر الحرام) الآية : نزلت لما صد الكفار النبي صلى الله عليه  
 وآله وسلم عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية في شهر ذى الحجة ، فدخلها في العام الذى بعده في شهر ذى القعدة  
 أى الشهر الحرام الذى دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام الذى صدتم فيه عن دخولها (والحرمت قصاص) أى حرمة

سَبِيلَ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفَدِيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ

الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر، والبلد حين صدقتم عنها (فاعتدوا عليه) تسمية للعقوبة باسم الذنب أى قاتلوا من قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة من صدقتم عن دخول مكة (تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال أبو أيوب الأنصارى: المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد، وقيل لا تركوا النفقة في الجهاد خوف العيلة وقيل لا تقنطوا من التوبة وقيل لا تقتحموا المهالك، والباء في أيديكم زائدة، وقيل التقدير: لا تلهوا وأنفسكم بأيديكم (وأتموا الحج والعمرة لله) أى أكلوها إذا ابتدأتم عملهما قال ابن عباس إتمامهما إكمال المناسك وقال على إتمامهما: أن تحرم بهما من دارك، ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء (فإن أحصرتم) المشهور في اللغة أحصره المرض بالآلف، وحصره العدو وقيل بالعكس، وقيل هما بمعنى واحد، فقال مالك أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة، فأوجب عليه الهدى ولم يوجهه على من حصره العدو، وقال الشافعى وأشهب يجب الهدى على من حصره العدو، وعمل الآية على ذلك، واستدل بنجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهدى بالحديبية، وقال أبو حنيفة يجب الهدى على المحصر بعدو وبمرض (فما استيسر) أى فعليكم ما استيسر من الهدى وذلك شاة (ولا تحلقوا رؤوسكم) خطابا للمحصر وغيره (فمن كان منكم مريضا) الآية: نزلت في كعب بن عجرة حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك يؤذيك هوام رأسك: احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين أو انسك بشاة، فعنى الآية أن من كان في الحج واضطره مرض أو قتل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر: جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر في الحديث، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التي يمنع الحاج منها إلا الصيد، والوطء، وقصر الظاهرية ذلك على حلق الرأس، ولا بد في الآية من مضمحل لا ينتقل الكلام عنه، وهو المسمى فحوى الخطاب، وتقديرها: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية (فإذا أمنتم) أى من المرض على قول مالك، ومن العدو على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال أمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) التمتع عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان في أشهر الحج، ثم يحج من عامه، فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة، وقال عبدالله بن الزبير: التمتع هو أن يحصر عن الحج بعدو حتى يفوته الحج، فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاء لحجته، فهو قد تمتع بفعل الممنوعات من الحج في وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل التمتع هو قران الحج والعمرة (فما استيسر من الهدى) شاة (ثلاثة أيام في الحج) وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة فإن فاتته صام أيام التشريق (إذا رجعتم) إلى بلادكم أو في الطريق (تلك عشرة) فأنذته أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة، ورفع لثلاث يتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل هو مثل الفذلكة وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل كاملة في الثواب (لمن لم يكن أهله حاضرا المسجد الحرام) يعنى غير أهل مكة

حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَحْتَسِبْهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا نِيَاوَةَ الْأَلْبَابِ ۝ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَمْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَدْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ۝ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ سَكَكُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۖ فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا

وذي طوى ياجماع، وقيل أهل الحرام كله، وقيل من كان دون الميقات، وقوله ذلك . إشارة إلى الهدى أو الصيام: أى إنما يجب الهدى أو الصيام بدلا منه على الغرباء لا على أهل مكة، وقيل ذلك إشارة إلى التمتع (الحج أشهر) التقدير أشهر الحج أشهر، أو الحج في أشهره شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وقيل العشر الأول منه، وينبى على ذلك أن من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذى الحجة: فعليه دم على القول بالعشر الأول، ولا دم عليه على القول بجميع الشهر، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر، فأجازه مالك على كراهة، ولم يجزه الشافعى وداود لتعيين هذا الاسم كذلك؛ فكأنها كوقت الصلاة (فمن فرض فيهن الحج) أى ألزم بالحج نفسه (فلا رفث ولا فسوق) الرفث: الجماع، وقيل الفحش من الكلام، والفسوق: المعاصى، والجidal: المراء مطلقا، وقيل المجادلة فى مواقيت الحج، وقيل النسب الذى كانت العرب تفعله (وتزودوا) قيل احموا زادا فى السفر، وقيل تزودوا للآخرة بالتقوى، وهو الأرجح لما بعده (فضلا من ربكم) التجارة فى أيام الحج أباحها الله تعالى، وقرأ ابن عباس: فضلا من ربكم فى مواسم الحج (أفضمتم) اندفتم جملة واحدة (من عرفات) اسم علم للوقوف والتنوين فيه فى مقابلة النون فى جمع المذكر لا تنوين صرف، فإن فيه التعريف والتأنيث (المشعر الحرام) المزدلفة والوقوف بها سنة (كما هداكم) الكاف للتعليل (وإن كنتم) إن مخففة من الثقيلة، ولذلك جاء اللام فى خبرها (من قبله) أى من قبل الهدى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) فيه قولان أحدهما أنه أمر للجنس وهم قريش ومن تبعهم كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم، ويقفون بعرفة مع سائر الناس؛ لأنها حل، ويقولون نحن أهل الحرم لا نقف إلا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفضوا منها، وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقا من الله تعالى له، والقول الثانى أنها خطاب لجميع الناس، ومعناها: أفيضوا من المزدلفة إلى منى فثم على هذا القول على بابها من الترتيب، وأما على القول الأول فليست للترتيب، بل للعطف خاصة، قال الزمخشري هى كقولك أحسن إلى الناس، ثم لا تحسن إلى غير كريم، فإن معناها التفاوت بين ما قبلها وما بعدها وأن ما بعدها أوكد (قضيتم مناسككم) فرغتم من أعمال الحج (كذركم آباءكم) لأن الإنسان كثيرا ما يذكر آباءه، وقيل كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجرة، فأمروا بذكر الله عوضا من ذلك (آتنا فى الدنيا) كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة (حسنة) قيل العمل

فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ه أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ه  
وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى  
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ه وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى  
مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ه وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ  
الْفُسَادَ ه وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ه وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ  
أُتْبَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَهُوفٌ بِالْعِبَادِ ه يَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ فِي السَّلَامِ كَأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ خُطُوَاتِ

الصالح وقيل المرأة الصالحة (وفي الآخرة حسنة) الجنة (نصيب مما كسبوا) يحتمل أن تكون من سببية أى  
لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها، والنصيب على هذا الثواب (سريع الحساب) فيه وجهان: أحدهما  
أن يراد به سرعة مجيء يوم القيامة، لأن الله لا يحتاج إلى عذة ولا فكرة، وقيل لعلى رضى الله عنه: كيف  
يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال كما يرزقهم على كثرتهم (في أيام معدودات) ثلاثة بعد يوم النحر، وهي  
أيام التشريق، والذكر فيها: التكبير في أديار الصلوات، وعند الجمار وغير ذلك (فمن تعجل في يومين)  
أى انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق (ومن تأخر) إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار، وأما المتعجل  
فقيل يترك رمى جمار اليوم، وقيل يقدمها في اليوم الثاني (فلا إثم عليه) في الموضعين، قيل إنه إباحة للتعجل  
والتأخر، وقيل إنه إخبار عن غفران الإثم وهو الذنب للحاج، سواء تعجل أو تأخر (لمن اتقى) أما على القول  
بأن معنى فلا إثم عليه: الإباحة، فالمنعنى أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يأثم فيهما، فقد أبيع له ذلك  
من غير إثم، وأما على القول بأن معنى فلا إثم عليه: إخبار بغفران الذنوب، فالمنعنى أن الغفران إنما هو  
لمن اتقى الله في حجه، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق: خرج من  
ذنوبه كيوم ولدته أمه، فاللام متعلقة إما بالغفران أو بالإباحة المفهومين من الآية (من يعجبك) الآية: قيل  
نزلت في الأحنس بن شريق، فإنه أظهر الإسلام، ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعاً، وقيل  
في المناققين، وقيل عامة في كل من كان على هذه الصفة (في الحياة) متعلق بقوله يعجبك: أى يعجبك ما يقول  
في أمر الدنيا، ويحتمل أن يتعلق بـ يعجبك (ويشهد الله) أى يقول الله أعلم إنه لصادق (ألد الخصام) شديد  
الخصومة (تولى) أدبر بجسده أو أعرض بقلبه، وقيل صار والياً (ويهلك الحرث والنسل) على القول بأنها  
في الأحنس، فإهلاك الحرث حرقه الزرع، وإهلاك النسل قتله الدواب، وعلى القول بالعموم فالمنعنى مبالغته  
في الفساد، وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل، لأنهما قوام معيشة ابن آدم، فإن الحرث هو الزرع  
والفواكه وغير ذلك من النبات، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل (أخذته العزة  
بالإثم) المنعنى أنه لا يطيع من أمره بالتقوى تكبراً وطغياناً والباء يحتمل أن تكون سببية أو بمعنى مع  
وقال الزمخشري: هى كقولك: أخذ الأمير الناس بكذا: أى ألزمهم إياه، فالمنعنى حملته العزة على الإثم  
(من يشرى نفسه) أى يبيعها، قيل نزلت في صهيب وقيل على العموم ويبيع النفس في الهجرة أو الجهاد،

الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۚ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلْسِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۚ سَلِّبِ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ

وقيل في تغيير المنكر ، وأن الذي قبلها فيمن غير عليه فلم ينزجر (السلم) بفتح السين المسالمة ، والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية ، والأمر على هذا لأهل الكتاب وخوطبوا بالذين آمنوا لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة ، وقيل هو الإسلام ، وكذلك هو بكسر السين ، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام ، وقيل إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا البيت كما كانوا فالمعنى على هذا : ادخلوا في الإسلام ، واتركوا سواه ، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى الأمر بالثبوت عليه والدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي (كافة) عموم في المخاطبين أو في شرائع الإسلام (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) تهديد لمن زل بعد البيان (هل ينظرون) أى ينتظرون (يأتهم الله) تأويله عند المتأولين : يأتهم عذاب الله في الآخرة ، أو أمره في الدنيا ، وهى عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غير تكليف ويحتمل أن لا تكون من المتشابه ؛ لأن قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم كقولهم : لو لا يكلمنا الله (في ظلل) جمع ظلة وهى ماعلاك من فوق ، فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال وإن كان لله فهو من المتشابه (الغمام) السحاب (وقضى الأمر) فرغ منه ، وذلك كناية عن وقوع العذاب (سل بنى إسرائيل) على وجه التوبيخ لهم ، وإقامة الحججة عليهم (من آية) معجزات موسى ، أو الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يبدل) وعيد (ويسخرون) كفارقريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب (والذين اتقوا) هم المؤمنون الذين سخروا الكفار منهم (فوقهم) أى أحسن حالا منهم ، ويحتمل فوقية المكان ، لأن الجنة في السماء (يرزق من يشاء) إن أراد في الآخرة ، فن كناية عن المؤمنين ، والمعنى رد على الكفار أى إن رزق الله الكفار في الدنيا ، فإن المؤمنين يرزقون في الآخرة وإن أراد في الدنيا فيحتمل أن يكون من كناية عن المؤمنين أى سيرزقهم ، ففيه وعد لهم ، وأن تكون كناية عن الكافرين أى أن رزقهم في الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم (بغير حساب) إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضيق ومن حيث لا يحتسبون أو لا يحاسبون عليه وإن كان للكفار فن غير تضيق (أمة واحدة) أى متفقين في الدين ، وقيل كفاراً فى زمن نوح عليه السلام ، وقيل مؤمنين ما بين آدم ونوح ، أو من كان مع نوح فى السفينة وعلى ذلك يقدر : فاختلّفوا بعد اتفاهم ، ويدل عليه « أمة واحدة » فاختلّفوا (الكتاب) هنا جنس أو فى كل نبى وكتابه (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) الضمير المجرور يعود على الكتاب ، أو على الضمير المجرور المتقدم ، وقال الزمخشري : يعود على

فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ ۝ وَالضَّرَآءُ وَزُلْزُلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّيْمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

الحق ، وأما الضمير في أوتوه ، فيعود على الكتاب ، والمعنى تقييح الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البينات (بغيا) أى حسداً أو عدوانا ، وهو مفعول من أجله ، أو مصدر في موضع الحال ( فهدى الله الذين آمنوا ) يعنى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لما اختلفوا فيه) أى للحق لما اختلفوا فيه فما بمعنى الذى وقبلها مضاف محذوف ، والضمير فى اختلفوا لجميع الناس ، يريد اختلافهم فى الأديان ، فهدى الله المؤمنين لدين الحق ، وتقدير الكلام : فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما اختلف فيه الناس من الحق ، ومن فى قوله من الحق لبيان الجنس أى جنس ما وقع فيه الخلاف (بإذنه) قيل بعلمه ، وقيل بأمره (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم ، والأمر بالصبر على الشدائد (ولما يأتكم) أى لا تدخلوا الجنة حتى يصيدكم مثل ما أصاب من كان قبلكم (مثل الذين) أى حالهم وعبر عنه بالمثل لأنه فى شدته يضرب به المثل (وزلزلوا) بالتخويف والشدائد (ألا إن نصر الله قريب) يحتمل أن يكون جوابا للذين قالوا متى نصر الله ، وأن يكون إخبارا مستأنفا ، وقيل إن الرسول قال ذلك لما قال الذين معه متى نصر الله (فلو الدين والأقربين) إن أريد بالنفقة الزكاة ، فذلك منسوخ والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ ، وقدم فى الترتيب الأهم فالأهم ، وورد السؤال على المنفق ، والجواب عن مصرفه لأنه كان المقصود بالسؤال ، وقد حصل الجواب عن المنفق فى قوله من خير (كتب عليكم القتال) إن كان على الأعيان فنسخه وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فصار القتال فرض كفاية ، وإن كان على الكفاية فلا نسخ (كره) مصدر ذكر للبالغ أو اسم مفعول كالخبز بمعنى الخبز (وعسى أن تكرهوا) حض على القتال (الشهر الحرام) جنس وهو أربعة أشهر : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم (قتال فيه) بدل من الشهر وهو مقصود السؤال (قل قتال فيه كبير) أى ممنوع ثم نسخه : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وذلك بعيد فإن حيث وجدتموهم : عموم فى الأمكنة لا فى الأزمنة ، ويظهر أن ناسخه وقاتلوا المشركين كافة بعد ذكر الأشهر الحرم ، فكان التقدير : قاتلوا فيها ، ويدل عليه : فلا تطلبوا فيهن أنفسكم ، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال فى الشهر الحرام : أى لإباحته حسبما استقر فى الشرع ، فلا تكون الآية منسوخة ، بل ناسخة لما كان فى أول الإسلام من تحريم القتال فى الأشهر الحرم (وصد عن سبيل الله) ابتداء ، وما بعده معطوف عليه ، وأكبر عند الله : خبر الجميع ، أى أن هذه الأفعال القبيحة التى فعلها الكفار : أعظم عند الله من القتال فى الشهر الحرام الذى عير به الكفار المسلمين سرية عبد الله بن جحش ، حين قاتل فى أول يوم

وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْسِلُونَكُمْ  
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ  
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا  
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ  
فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ  
وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝  
وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّىٰ بُؤْمِنَ وَلَا مَؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ

من رجب ، وقد قيل إنه ظن أنه آخر يوم من جمادى ( والمسجد ) عطف على سبيل الله ( حتى يردوكم ) قال  
الزخشرى حتى هنا للتعليل ( فأولئك حبطت أعمالهم ) ذهب مالك على أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد ،  
سواء رجع إلى الإسلام ، أو مات على الارتداد ، ومن ذلك انتقاض وضوئه ، وبطلان صومه ، وذهب  
الشافعى إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافرا ؛ لقوله : فيمت وهو كافر ، وأجاب المالكية بقوله حبطت أعمالهم  
جزاء على الردة ، وقوله : أصحاب النار هم فيها خالدون جزاء على الموت على الكفر ، وفي ذلك نظر ( إن الذين  
آمنوا ) الآية : نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه ( الخمر ) كل مسكر من العنب وغيره ( والميسر ) القمار ،  
وكان ميسر العرب بالقداح في لحم الجزور ، ثم يدخل في ذلك النرد والشطرنج وغيرهما ، وروى أن السائل  
عنهما كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ( إثم كبير ) نعم في التحريم وأنها من الكبائر ، لأن الإثم حرام  
لقوله : قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ، خلافا لمن قال إنما حرمتها آية المائدة  
لا هذه الآية ( ومنافع ) في الخمر التلذذ والطرب ، وفي القمار الاكتساب به ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة  
قال ابن عباس : المنافع قبل التحريم ، والإثم بعده ( وإثمهما أكبر ) تغليبا للإثم على المنفعة ، وذلك أيضا بيان  
للتحريم ( قل العفو ) أى السهل من غير مشقة ، وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل مشاكلة للسؤال ، على أن يكون  
مأمتدا ، وذا خبره ( تفكروا في الدنيا والآخرة ) أى في أمرهما ( ويسألونك عن اليتامى ) كانوا قد تجنبوا اليتامى  
توزعا ، فنزلت لإباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم ، فإن قيل : لم جاء ويسألونك بالواو ثلاث مرات ، وبغير واو ثلاث  
مرات قبلها ؟ فالجواب أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأولى وقع في أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف  
وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة ( والله يعلم ) تحذير من الفساد ، وهو أكل أموال اليتامى  
( لا اعتنكم ) لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم قال ابن عباس لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى  
( ولا تنكحوا ) أى لا تزوجوا ، والنكاح مشترك بين الوطئ والعقد ( الشركات ) عباد الأوثان من العرب ،  
فلا تناول اليهود ولا النصرى المباح نكاحهن في المائدة ، فلا تعارض بين الموضوعين ، ولا نسخ ، خلافا

حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّمَّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّٰهُ يَدْعُو۟ا إِلَى الْجَنَّةِ  
وَالْمَغْفِرَةِ بِأَذَنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۖ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْزَلُوا النِّسَاءَ  
فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرَ لَكُمْ فِطْرُهُنَّ فَاتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ  
الْمُتَطَهِّرِينَ ۚ نِسَاءٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنِ اشْتُمُوا وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَوهُ  
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عَرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۚ

لمن قال آية المائدة نسخت هذه، ولمن قال هذه نسخت آية المائدة فنعكس نكاح الكتابيات، ونزول الآية بسبب مرثد الغنوي أراد أن يتزوج امرأة مشركة (ولامة مؤمنة) أى أمة لله حرّة كانت أو مملوكة وقيل أمة مملوكة خير من حرّة مشركة (ولو أعجبتكم) فى الجمال والمال وغير ذلك (ولا تنكحوا المشركين) أى لا تزوجوهن نساءكم. وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة، سواء كان كتابيا أو غيره، واستدل المالكية على وجوب الولاية فى النكاح بقوله: ولا تنكحوا المشركين، لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال (ولعبد) أى عبد لله، وقيل مملوك (أولئك) المشركات والمشركون (يدعون إلى النار) إلى الكفر الموجب إلى النار (يأذنه) أى بإرادته أو علمه (ويسألونك) سأل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن حضير قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا نجامع النساء فى المحيض، خلافا لليهود (هو أذى) مستقذر، وهذا تعليل لتحريم الجماع فى المحيض (فاغزلوا النساء) اجتنبوا جماعهن، وقد فسر ذلك الحديث بقوله: لثدتها عليها إزارها، وشأنك بأعلاها (حتى يظهن) أى ينقطع عنهن الدم (فإذا تطهرن) أى اغتسلن بالماء، وتعلق الحكم بالآية الأخيرة عند مالك والشافعى، فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل وبالغاية الأولى عند أبى حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل، وقرئ حتى يظهن بالتشديد، ومعنى هذه الآية بالماء، فتكون الغايتان بمعنى واحد، وذلك حجة لمالك (من حيث أمركم الله) قبل المرأة (التوابين) من الذنوب (المتطهرين) بالماء أو من الذنوب (حرث لكم) أى موضع حرث، وذلك تشبيه للجماع فى إلقاء النطفة وانتظار الولد: بالحرث فى إلقاء البذر وانتظار الزرع (أنى شئتم) أى كيف شئتم من الهيئات أو من شئتم، لا أين شئتم لأنه يوم الإثنين فى الدبر، وقد اقترى من نسب جوازه إلى مالك وقد تبرأ هو من ذلك وقال: إنما الحرث فى موضع الزرع (وقدموا لأنفسكم) أى الأعمال الصالحة (عرضة لايمانكم) أى لا تكثروا الحلف بالله فتبدلوا اسمه، وأن تبروا على هذا علة للنهى، فهو مفعول من أجله: أى نهيتهم عن كثرة الحلف كى تبروا، وقيل المعنى لا تحلفوا على أن تبروا وتتقوا، وافعلوا البر والتقوى دون يمين، فأن تبروا على هذا هو المحلوف عليه، والعرضة على هذين القولين لقولك: فلان عرضة لفلان إذا أكثر التعرض له، وقيل عرضة مامنع، من قولك عرض له أمر حال بينه وبين كذا، أى لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى، ومن ذلك يمين أبى بكر الصديق أن لا ينفق على مسطح، فأن تبروا على هذا: علة لا تمتنعهم فهو مفعول من أجله أو مفعول بعرضة، لأنها بمعنى مانع (بالغو) الساقط وهو عند مالك قولك نعم والله، ولا والله، الجارى على اللسان من غير قصد وفاقا

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝ لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ  
 مِنْ نَسَائِهِمْ تَرَبُّصًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝  
 وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ  
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوَلْتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ  
 وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ

للشافعي ، وقيل أن يحلف على الشيء بظنه على ما حلف عليه ، ثم يظهر خلافه وفاقا لأبي حنيفة ، وقال ابن عباس : اللغو الحلف حين الغضب ، وقيل اللغو اليمين على المعصية ، والمؤاخذة العقاب أو وجوب الكفارة (بما كسبت قلوبكم) أي قصدت فهو على خلاف اللغو ، وقال ابن عباس : هو اليمين الغموس ، وذلك أن يحلف على الكذب متعمدا ، وهو حرام إجماعا ، وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعي ( يولون من نساءهم ) يحلفون على ترك وطئهن وإمساكهن ، لأنه تضمن معنى البعد منهن ، ويدخل في عموم قوله الذين : كل حالف حرًا كان أو عبدا ، إلا أن مالك جعل مدة إيلاء العبد شهرين ، خلافا للشافعي ، ويدخل في إطلاق الإيلاء اليمين بكل ما يلزم عنه حكم ، خلافا للشافعي في قصر الإيلاء على الحلف بالله ، ووجهه أنها اليمين الشرعية ، ولا يكون موليا عند مالك والشافعي ، إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر ، وعند أبي حنيفة أربعة أشهر فصاعدا ، فإذا انقضت الأربعة الأشهر : وقف المولى عند مالك والشافعي ، فيما فاء وإلا طلق ، فإن أبي الطلاق : طلق عليه الحاكم ، وقال أبو حنيفة : إذا انقضت الأربعة الأشهر : وقع الطلاق دون توقيف ، ولفظ الآية يحتمل القولين (فإن فاءوا) رجعوا إلى الوطئ وكفروا عن اليمين (غفور رحيم) أي يغفر ما في الأيمان من إضرار المرأة (عزموا الطلاق) العزيمة على قول مالك التطلق أو الإبابة فيطلق عليه الحاكم ، وعند أبي حنيفة ترك الفء حتى تنقضي الأربعة الأشهر ، والطلاق في الإيلاء رجعي عند مالك بائن عند الشافعي وأبي حنيفة (والمطلقات يتربصن) بيان للعدة ، وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى وأولات الأحمال أجهلن أن يضعن حملهن . واليايسة والصغيرة بقوله : واللائئ يئسن من الحيض الآية . والتي لم يدخل بها بقوله : فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فيبقى حكمها في المدخول بها ، وهي سن من تحيض وقد خص مالك منها الأمة ، فجعل عدتها قرين ويتربصن خبر بمعنى الأمر (ثلاثة قروء) انتصب ثلاثة على أنه مفعول به هكذا قال الزحخشري ، وقروء جمع قرء وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض ، فحمله مالك والشافعي على الطهر لإثبات التاء في ثلاثة ، فإن الطهر مذكر والحيض مؤنث ، ولقول عائشة : الأقرام هي الإطهار ، وحمله أبو حنيفة على الحيض لأنه الدليل على برائة الرحم ، وذلك مقصود العدة ، فعلى قول مالك تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة إذا طلقها في طهر لم يمسا فيه ، وعند أبي حنيفة بالطهر منها (ما خلق الله في أرحامهن) يعني الحمل والحيض ، وبعولتهن جمع بعل ، وهو هنا الزوج (في ذلك) أي في زمان العدة (ولهن مثل الذي عليهن) من الاستمتاع وحسن المعاشرة (درجة) في الكرامة وقيل الإنفاق وقيل كون الطلاق

لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۚ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحْلُ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۚ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ

بيده (الطلاق مرتان) بيان اعدد الطلاق الذي يرتجع منه دون زوج آخر وقيل بيان لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه ، وهو طلاق السنة (فإمسك) ارتجاع وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر (بمعروف) حسن المعاشرة وتوفية الحقوق (أو تسريح) عوتر كها حتى تنقضي العدة فتبين منه (ياحسان) المتعة ، وقيل التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين ، وروى في ذلك حديث ضعيف وهو بعيد لأن قوله تعالى بعد ذلك (فإن طلقها) هو الطلقة الثالثة ، وعلى ذلك يكون تكرارا ، والطلقة الرابعة لا معنى لها (ولا يحل لكم أن تأخذوا) الآية : نزلت بسبب ثابت بن قيس : اشتكت منه امرأته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها أتردين عليه حديثه قالت نعم فدعاه فطلقها على ذلك وحكمها على العموم وهو خطاب للأزواج في حكم الفدية ، وهي الخلع ، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان (ألا يقيما حدود الله) وذلك إذا ساء ما بينهما وقبحت معاشرتهم ، ثم إن المخالعة على أربعة أحوال : الأول : أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة : فأجازه مالك وغيره لقوله تعالى : فإن طبن لكم عن شيء الآية . ومنعها قوم لقوله تعالى : إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، والثاني أن يكون الضرر منهما جميعا ، فمنعه مالك في المشهور لقوله تعالى : ولا تعضلوهن لتذهبن ما آتيتموهن ، وأجازه الشافعي لقوله تعالى : إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، والثالث أن يكون الضرر من الزوجة خاصة ، فأجازه الجمهور لظاهر هذه الآية ، والرابع أن يكون الضرر من الزوج خاصة : فمنعه الجمهور لقوله تعالى وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج الآية ، وأجازه أبو حنيفة مطلقا ، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة (فإن خفتم) خطاب للحكام والمتوسطين في هذا الأمر (فإن طلقها) هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله الطلاق مرتان (حتى تنكح زوجا غيره) أجمعت الأئمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم للطلقة ثلاثا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسه الزوج الآخر : لا ، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك ؛ وروى عن سعيد بن المسيب أن العقد يجلها دون وطء ، وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث ، وخرقه للإجماع ، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحا لا شبهة فيه ، والوطء مباحا في غير حيض ولا إجماع ولا اعتكاف ولا صيام ، خلافا لابن الماجشون في الوطء غير المباح ، وأما نكاح المحلل فحرام ، ولا يحل الزوجة لزوجها عند مالك ، خلافا لأبي حنيفة والمعتبر في ذلك نية المحلل لانية المرأة ، ولا المحلل له ، وقال قوم من نوى التحليل منهم أفسد (فإن طلقها) يعني هذا الزوج الثاني (فلا جناح عليهما) أي على الزوجة والزوج الأول (أن يقيما حدود الله) أي أوامره فيما يجب من حقوق الزوجة (وإذا طلقتم النساء) الآية : خطاب للأزواج ، وهي نهي عن أن يطول الرجل العدة على المرأة مضارة منه لها بل يرتجع قرب انقضاء العدة ، ثم يطلق بعد ذلك ، ومعنى بلغن أجلهن في هذا الموضع : قاربن انقضاء العدة ، وليس المراد انقضاؤها ، لأنه ليس

بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرْحُونٍ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا  
 آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا  
 اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ  
 إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ  
 وَاطْهَرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ حَوْلَ مَنْ يَرْضَعْنَ حَوْلَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ

بيده إمساك حينئذ ، ومعنى أمسكوهن : راجعوهن (بمعروف) هنا قيل هو الإشهاد وقيل النفقة (وإذا طلقتم  
 النساء) الآية : هذه الأخرى خطاب للأولياء ، وبلوغ الأجل هنا : انقضاء العدة (فلا تعضلوهن) أى لا تمنعهن  
 (أن ينكحن أزواجهن) أى يراجعن الأزواج الذين طلقوهن ، قال السهيلي نزلت في معقل بن يسار كان له  
 أخت فطلقها زوجها ثم أراد مراجعتها وأرادت هى مراجعته ، فمنعها أخوها ، وقيل نزلت في جابر بن عبد الله  
 وذلك أن رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها ، ثم أراد مراجعتها فمنعها جابر ، وقال تركتها وأنت أملك  
 بهالا زوجتكها أبدا ، فنزلت الآية ، والمعروف هنا : العدل ، وقيل الإشهاد ، وهذه الآية تقتضى ثبوت حق  
 الولي في نكاح وليته خلافا لأبي حنيفة (ذلك يوعظ به) خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكل واحد على  
 حدته ، ولذلك وحد ضمير الخطاب (ذلكم أزكى لكم) خطابا للمؤمنين والإشارة إلى ترك الفصل ، ومعنى أزكى  
 أطيب للنفس ، ومعنى أظهر : أى للدين والعرض (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر بمعنى الأمر وتقتضى  
 الآية حكيمين : الحكم الأول من يرضع الولد ، فذهب مالك أن المرأة يجب عليها إرضاع ولدها مادامت في عصمة  
 والده ، إلا أن تكون شريفة لا يرضع مثلها ، فلا يلزمها ذلك ، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال :  
 لزمها رضاعه في المشهور ، وقيل أجرة رضاعه على بيت المال ، وإن كانت مطلقة بائن : لم يلزمها رضاعه ،  
 لقوله تعالى : فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن . إلا أن تشاء هى فهى أحق به بأجرة المثل ، فإن لم يقبل  
 غيرها وجب عليها إرضاعه ، ومذهب الشافعى وأبي حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا ، والأمر في هذه الآية  
 عندهما على الأدب ، وقال أبو ثور : يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية وحملها على الوجوب ، وأما مالك فحملها  
 في موضع على الوجوب ، وفي موضع على الندب ، وفي موضع على التخيير حسبما ذكر من التقسيم في المذهب  
 الحكم الثانى مدة الرضاع ، وقد ذكرها في قوله (حولين كاملين) وإنما وصفهما بكاملين لأنه يجوز أن يقال  
 في حول وبعض آخر : حولين ، فرفع ذلك الاحتمال ، وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى (لمن أراد  
 أن يتم الرضاعة) واشترط أن يكون الفطام عن تراضى الأبوين بقوله : فإن أرادا فصلا الآية ، فإن لم يكن على  
 الولد ضرر فى الفطام فلا جناح عليهما ، ومن دعا منهما إلى تمام الحولين : فذلك له ، وأما بعد الحولين فمن  
 دعا منهما إلى الفطام فذلك له ، وقال ابن عباس : إنما يرضع حولين من مكث فى البطن ستة أشهر ، فمن  
 مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا ، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون ، لقوله تعالى : وحمله  
 وفصاله ثلاثون شهرا (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن) فى هذه النفقة والكسوة : قولان : أحدهما : أنها

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِدًا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِدًا وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا بِأَوْلَادِكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا

نفس

أجرة رضاع الولد ، أوجبها الله للأم على الوالد ، وهو قول الزمخشري وابن العربي ، الثاني : أنها نفقة الزوجات على الإطلاق ، وقال منذر ابن سعيد البلوطي : هذه الآية نص في وجوب نفقة الرجل على زوجته ، وعلى هذا حملها ابن الفرس (بالمعروف) أي على قدر حال الزوج في ماله ، والزوجة في منصبها ، وقد بين ذلك بقوله لا تكلف نفساً إلا وسعها (لا تضار والدة بولدها) قرئ بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهي ، وبرفعهما على الخبر ، ومعناها النهي ، ويحتمل على كل واحد من الوجهين أن يكون الفعل مسنداً إلى الفاعل ، فيكون ما قبل الآخر مكسوراً قبل الإدغام ، أو يكون مسنداً إلى المفعول ، فيكون مفتوحاً ، والمعنى على الوجهين : النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد ، ويدخل في عموم النهي : وجوه الضرر كلها والبلاء في قوله بولدها وبولده : سببية ، والمراد بقوله ولا مولود له : الوالد ، وإنما ذكره بهذا اللفظ إعلماً بأن الولد ينسب له لا للأم (وعلى الوارث مثل ذلك) اختلف في الوارث فقيل وارث المولود له ، وقيل وارث الصبي لو مات ، وقيل هو الصبي نفسه ، وقيل من بقى من أبويه ، واختلف في المراد بقوله مثل ذلك ، فقال مالك وأصحابه . عدم المضارة ، وذلك يجري مع كل قول في الوارث ؛ لأن ترك الضرر واجب على كل أحد ، وقيل المراد أجرة الرضاع في النفقة والكسوة ، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث ، فأما على القول بأن الوارث هو الصبي فلا إشكال ؛ لأن أجرة رضاعه في ماله ، وأما على سائر الأقوال ، فقيل إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد ، وقيل إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لو مات ، أو على وارث الوالد ، وهو قول قتادة والحسن البصري (وإن أردتم أن تسترضعوا) إباحة لاتخاذ الغير (إذا سلمت ما آتيتهم بالمعروف) أي دفعتم أجرة الرضاع (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) الآية عموم في كل متوفى عنها ، سواء توفى زوجها قبل الدخول أو بعده ، إلا الحامل فعدتها موضع حملها ، سواء وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها عند مالك والشافعي وجهور العلماء ، وقال علي بن أبي طالب : عدتها أبعداً لجلين ، وخص مالك من ذلك الأمة فعدتها في الوفاة شهران وخمس ليل ، ويتربص : معناه عن التزويج وقيل عن الزينة فيكون أمراً بالإحداد ، وإعراب الذين مبتدأ ، وخبره يتربصن على تقدير أزواجهم يتربصن ، وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن ، وقال الكوفيون : الخبر عن الذين متروك ، والقصد الإخبار عن أزواجهم (فيما فعلن في أنفسهن) من التزويج والزينة (بالمعروف) هنا إذا كان غير منكر وقيل معناه الإشهاد (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) الآية : إباحة

عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَدُكْرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ يَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمَوْسِعِ قَدْرِهِ وَعَلَىٰ الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفَ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ

التعريض بخطبة المرأة المعتدة، ويقضى ذلك النهي عن التصريح، ثم أباح ما يضر في النفس بقوله: أو أكننتم في أنفسكم (علم الله أنكم ستدكرونهن) أي تذكروهن في أنفسكم وبألسنتكم لم يخف عليكم وقيل أي استخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك (لا تواعدوهن سرا) أي لا تواعدوهن في العدة خفية بأن تزوجوهن بعد العدة، وقال مالك فيمن يخطب في العدة ثم يتزوج بعدها: فراقها أحب إلى، ثم يكون خاطبا من الخطاب، وقال ابن القاسم: يجب فراقها (إلا أن تقولوا قولا معروفا) استثناء منقطع، والقول المعروف: هو ما أبيح من التعريض: كقوله إنكم لا كفاه كرام، وقوله إن الله سيفعل معك خيرا، وشبه ذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح) الآية: نهى عن عقد النكاح قبل تمام العدة والكتاب هنا: القدر الذي شرع فيه من المدة ومن تزوج امرأة في عدتها يفرق بينهما اتفاقا، فإن دخل بها حرمت عليه على التأييد عند مالك خلافا للشافعي وأبي حنيفة واختلف عن مالك في تأييد التحريم إذا لم يدخل بها، وإذا دخل بها ولم يطأها (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) الآية: قيل إنها إباحة للطلاق قبل الدخول ولما نهى عن التزويج بمعنى الذوق وأمر بالتزويج طلب العصمة ودوام الصحة ظن قوم أن من طلق قبل البناء وقع في المنهى عنه، فنزلت الآية رافعة للجناح في ذلك، وقيل إنها في بيان ما يلزم من الصداق والمتعة في الطلاق قبل الدخول، وذلك أن من طلق قبل الدخول فإن كان لم يفرض لها صداقا وذلك في نكاح التفويض: فلا شيء عليه من الصداق؛ لقوله لا جناح عليكم إن طلقتم النساء الآية، والمعنى لا طلب عليكم بشيء من الصداق، ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى: ومتعهن، وإن كان قد فرض لها: فعليه نصف الصداق لقوله تعالى: فنصف ما فرضتم، ولا متعة عليه، لأن المتعة إنما ذكرت فيما لم يفرض لها بقوله: أو تفرضوا، أو فيه بمعنى الواو (ومتعهن) أي أحسنوا إليهن، وأعطوهن شيئا عند الطلاق، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك، وواجب عند الشافعي (على الموسع قدره) أي يتمتع كل واحد على قدر ما يجد، والموسع الغنى، و(المقتتر) الضيق الحال، وقرئ يأسكان دال قدره وفتحها، وهما بمعنى وبال معروف هنا: أي لاجل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين (حقا على المحسنين) تعلق الشافعي في وجوب المتعة بقوله: حقا، وتعلق مالك بالنسبة في قوله على المحسنين، لأن الإحسان تطوع بما لا يلزم (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) الآية: بيان أن المطلقة قبل البناء لها نصف الصداق إذا كان فرض لها صداق مسمى، بخلاف نكاح التفويض (إلا أن يعفون) النون فيه نون جماعة النسوة: يريد المطلقات، والعفو هنا بمعنى الإسقاط، أي للبطلقات قبل الدخول نصف الصداق، إلا أن يسقطه وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها (أو يعفو الذي بيده عقدة

عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ حَفَظُوا  
عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةَ الْوَسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَتْنَيْنِ . فَإِنْ خَفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ  
كَمَا عَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْمَلُونَ . وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ  
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَلِلْمُطَلَّقاتِ

النكاح) قال ابن عباس ومالك وغيرهما : هو الوالى الذى تكون المرأة فى حجره كالأب فى ابنته المحجورة ،  
والسيد فى أمته ، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول ، وأجاز شرح إسقاط  
غير الأب من الأولياء ، وقال على بن أبى طالب والشافعى : الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج ، وعفوه أن  
يعطى النصف الذى سقط عنه من الصداق ، ولا يجوز عندهما أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته ،  
وحجة مالك أن قوله الذى بيده عقدة النكاح فى الحال ، والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح ، وحجة  
الشافعى قوله تعالى « وأن تعفوا أقرب للتقوى » ، فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذى لا يلزمه فذلك فضل وأما  
إسقاط الأب لحق ابنته فليس فيه تقوى لأنه إسقاط حق الغير (ولا تنسوا الفضل بينكم) قيل لأنه يعنى إسقاط المرأة  
نصف صداقتها أودفع الرجل النصف الساقط عنه واللفظ أعم من ذلك (والصلوة الوسطى) جدد ذكرها  
بعد دخولها فى الصلوة اعتناء بها وهى الصبح عند مالك وأهل المدينة ، والعصر عند على بن أبى طالب لقوله  
صلى الله عليه وآله وسلم : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، وقيل هى الظهر ، وقيل المغرب ، وقيل  
هى العشاء الآخرة ، وقيل الجمعة ، وسميت وسطى لتوسطها فى عدد الركعات ، وعلى القول بأنها المغرب لأنها  
بين الركعتين والأربع أو لتوسط وقتها ، وعلى القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار ، وعلى القول  
بأنها الظهر أو الجمعة ، لأنها فى وسط النهار ، أو لفضلها من الوسط وهو الخيار ، وعلى هذا يجرى اختلاف  
الأقوال فيها (وقوموا لله) معناه فى صلاتكم (قائتين) هنا ساكتين وكانوا يتكلمون فى الصلاة حتى نزلت ،  
قاله ابن مسعود ، وزيد بن أرقم ، وقيل خاشعين ، وقيل طول القيام (فإن خفتم) أى من عدو أوسع أو غير  
ذلك مما يخاف منه على النفس (فرجالا) جمع راجل أى على رجله (أور كباناً) جمع ركب : أى صلوا كيف  
ما كنتم من ركوب أو غيره ، وذلك فى صلاة المسابقة ، ولا تنقص منها عن ركعتين فى السفر ، وأربع فى  
الحضر عند مالك (فإذا أمتم فاذكروا الله) الآية : قيل المعنى : إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التى علمتموها  
وهى التامة ، وقيل إذا أمتم فاذكروا الله كما علمكم هذه الصلاة التى تجزئكم فى حال الخوف ، فالذكر على القول  
الأول فى حال الصلاة ، وعلى الثانى بمعنى الشكر (والذين يتوفون منكم ويدرون أزواجاً وصية لأزواجهم)  
هذه الآية منسوخة ومعناها أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم فى منزله سنة وينفق عليها من ماله ، وذلك صية  
لها ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر ، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذى لها فى الميراث حسبما  
ذكر فى سورة النساء ، وإعراب وصية مبتدأ ، وأزواجهم خبر ، أو مضمرة تقديره : فعليهم وصية ، وقرئت بالنصب  
على المصدر ، تقديره : ليوصوا وصية ، ومتاعاً نصب على المصدر (غير إخراج) أى ليس لأولياء الميت إخراج المرأة  
(فإن خرجت) معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة فلا جناح على أحد فيما فعلت فى نفسها من تزوج وزينه (وللمطلقات

مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۚ كَذَلِكَ يبينُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَلَمْ نَعِدْكَ لَنَا مَلَكًا يُنَزِّلُ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلِيمًا بِالْقِتَالِ أَلا تَقْتُلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

متاع) عام في إمتاع كل مطلقة وبعمومه أخذ أبو ثور واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة منه واستثنى مالك المختلعة والملاعة (حقا على المتقين) يدل على وجوب المتعة وهي الإحسان للطلقات ، لأن التقوى واجبة ، ولذلك قال بعضهم : نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها حقا على المحسنين ، فقال رجل : فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع ، فنزلت حقا على المتقين (ألم تر) رؤية قلب (إلى الذين خرجوا من ديارهم) قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتال ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء ، وقيل بل فزوا من الطاعرن (وهم أوف) جمع ألف ، قيل ثمانون ألفا ، وقيل ثلاثون ألفا ، وقيل ثمانية آلاف ، وقيل هو من الألفة ، وهو ضعيف (فقال لهم الله موتوا) عبارة عن إمامتهم ، وقيل إن ملكين صاحبا بهم موتوا فاتوا (ثم أحياهم) ليستوفوا آجالهم (وقاتلوا) خطاب لهذه الأمة وقيل للذين أماتهم الله ثم أحياهم (من ذا الذي يقرض الله) استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق وذكر لفظ القرض تقريبا للأفهام ؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف ، وروى أن الآية نزلت في أبي الدحداح حين تصدق بجائط لم يكن له غيره (قرضا حسنا) أي خالصا طيبا من حلال من غير من ولا أذى (فيضعف) قرئ بالتشديد والتخفيف ، وبالرفع على الاستئناف أو عطفا على يقرض ، وبالنصب في جواب الاستفهام (أضعافا كثيرة) عشرة فما فوقها إلى سبعمائة (يقبض ويبسط) إخبار يراد به الترخيب في الإنفاق (ألم تر إلى الملا) رؤية قلب ، وكانوا قوما نالهم الذلة من أعدائهم ، فطلبوا الإذن في القتال فلما أمروا به كرهوه (لنبي لهم) قيل اسمه شمويل ، وقيل شمعون (هل عسيتم) أي قاربتم ، وأراد النبي المذكور أن يتوثق منهم ، ويجوز في السين من عسيتم الكسر والفتح ، وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا يجوز فيها إلا الفتح (طالوت ملكا) قال وهب بن منبه أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملكهم ، وقال السدي أرسل الله إلى نبيهم عصا ، وقال له إذا دخل عليك رجل على طول هذه العصا فهو ملكهم فكان ذلك طالوت (ونحن أحق بالملك منه) روى أنه كان

بَسْطَةَ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَمَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَهَزَمُوهُم يَأْذَنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ

دباغا ولم يكن من بيت الملك والواو في قوله ونحن واو الحال والواو في قوله ولم يؤت لعطف الجملة على الأخرى (بسطة في العلم والجسم) كان عالما بالعلوم وقيل بالحرب وكان أطول رجل يصل إلى منكبه (والله يؤتي ملكه من يشاء) رد عليهم في اعادة تادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال (أن يأتيكم التابوت) كان هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية، فبعث الله ملائكة حملته فجعلته في دار طالوت، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة (فيه سكينه) قيل رح فيه رأس ووجه كوجه الإنسان، وقيل طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء وقيل رحمة، وقيل وقار (وبقية) قال ابن عباس: هي عصي موسى ورضاض الألواح وقيل العصا والنعلان وقيل ألواح من التوراة (آل موسى وآل هارون) يعني أفارهما، قال الزمخشري يعني الأنبياء من بني إسرائيل، ويحتمل أن يريد موسى وهارون، وأقحم الأهل (فصل طالوت) أي خرج من موضعه إلى الجهاد (بنهر) قيل هو نهر فلسطين (فمن شرب منه) الآية: اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد (إلا من اغترف غرفة) رخص لهم في الغرفة باليد، وقرئ بفتح الغين وهو المصدر وبضمها هو الاسم (فشربوا منه إلا قليلا) قيل كانوا ثمانين ألفا فشربوا منه كلهم إلا ثلثمائة وبضعة عشر: عدد أصحاب بدر، فأما من شرب فاشتد عليه العطش، وأما من لم يشرب فلم يعطش (جالوت وجنوده) كان كافرا عدوا لهم وهو ملك العمالقة، ويقال إن البربر من ذريته (يظنون) أي يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه (قتل داود جالوت) كان داود في جند طالوت فقتل جالوت، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل، وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحة (والحكمة) هنا النبوة والزبور، (وعلمه مما يشاء) صنعة الدروع، ومنطق الطيور، وغير ذلك (ولولا دفع الله) الآية: منة على العباد بدفع بعضهم بعض، وقرئ دفاع بالالف، ودفع بغير ألف، والمعنى متفق (تلك الرسل) الإشارة إلى جماعتهم (فضلنا) نص في التفضيل في الجملة من غير تعيين مفضول: كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تخيروا بين الأنبياء، ولا تفضلوني

مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَإِيذَنَّا لَهُ رُوحَ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا قَتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَهُمْ مِنْ عَمَلٍ غَمْرَةٍ مَنُورَةٍ كَفَرُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا قَتَلْتُمْ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَمُوا رِزْقَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا

على يونس بن متى : فإن معناه النهى عن تعيين المفضول ، لأنه تنقيص له ، وذلك غيبة ممنوعة ، وقد صرح صلى الله عليه وآله وسلم بفضله على جميع الأنبياء بقوله « أناسيدولد آدم ، لا بفضله على واحد بعينه ، فلا تعارض بين الحديثين (من كلم الله) موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) قيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة ، وقيل هو إدريس لقوله « ورفعه مكانا عليا ، فالرفعة على هذا في المسافة وقيل هو مطلق في كل من فضله الله منهم (من بعدهم) أى من بعد الأنبياء ، والمعنى بعد كل نبي لا بعد الجميع (ولو شاء الله ما قتلوا) كرهه تأكيداً وليبنى عليه ما بعده (أنفقوا) يعم الزكاة والتطوع (لا بيع فيه) أى لا يتصرف أحد في ماله ، والمراد لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا ويدخل فيه نفى القدية لأنه بشرأ الإنسان نفسه (ولا خلة) أى مودة نافعة لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه (ولا شفاعاة) أى ليس في يوم القيامة شفاعاة إلا بإذن الله فهو في الحقيقة رحمة من الله المشفوع فيه ، وكرامة للشافع ليس فيها تحكم على الله ، وعلى هذا يحمل ماورد من نفي الشفاعاة في القرآن أعنى أن لا تقع إلا بإذن الله فلا تعارض بينه وبين إثباتها ، وحيث ما كان سياق الكلام في أهوال يوم القيامة والتخويف بها نفيت الشفاعاة على الإطلاق ومبالغة في التهويل وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم الله نفيت الشفاعاة إلا بإذنه (والكافرون هم الظالمون) قال عطاء بن دينار الحمد لله الذى قال هكذا ولم يقل والظالمون هم الكافرون (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) هذه آية الكرسي وهى أعظم آية في القرآن حسبما ورد في الحديث ، وجاء فيها فضل كبير في الحديث الصحيح وفي غيره (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيهه تعالى عن الآفات البشرية ، والفرق بين السنة والنوم : أن السنة هى ابتداء النوم لانفسه : كقول القائل « فى عينه سنة وليس بنائم » (من ذا الذى يشفع عنده) استفهام مراد به نفي الشفاعاة إلا بإذن الله فهى فى الحقيقة راجعة إليه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضمير عائد على من يعقل من تضمنه قوله « له ما فى السموات وما فى الأرض ، والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم ، وقال مجاهد ما بين أيديهم الدنيا ؛ وما خلفهم الآخرة (من علمه) من معلوماته أى لا يعلم عباده من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه (وسع كرسيه) الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش ، وهو أعظم من السموات والأرض ، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء ، وقيل كرسيه علمه وقيل كرسيه ملكه (ولا يؤده) أى لا يشغله ولا يشق عليه (لا إكراه فى الدين) المعنى أن دين الإسلام فى غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ  
 اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
 النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي يَصْحِي وَيَمِيتُ  
 قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأَمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ  
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ

بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم من تلقاء نفسه ، دون إكراه ، وبدل على ذلك قوله (قد تبين الرشد من الغي) أي قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غي ، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه ، وقيل معناها المواعدة ، وأن لا يكره أحد القتال على الدخول في الإسلام ثم نسخت بالقتال ، وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة (بالعروة الوثقى) العروة في الأجرام هي موضع الإمساك وشدة الأيدي ، وهي هنا تشبيه واستعارة في الإيمان (لا انفصام لها) لا انكسار لها ولا انفصال (يخرجهم من الظلمات إلى النور) أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (أولياؤهم الطاغوت) جمع الطاغوت هنا وأفرد في غير هذا الموضع فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله ، ولمن يضل الناس من الشياطين وبنى آدم (الذي حاج إبراهيم) هو نمرود الملك وكان يدعى الربوبية فقال لإبراهيم : من ربك ؟ (قال ربى الذى يحيى ويميت) فقال نمرود : (أنا أحيى وأميت) وأحضر رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، فقال قد أحييت هذا وأميت هذا ، فقال له إبراهيم : (فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت) أى انقطع وقامت عليه الحجة ، فإن قيل : لم انتقل إبراهيم عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثانى ، والانتقال علامة الانقطاع ؟ فالجواب أنه لم ينقطع ولكنه لما ذكر الدليل الأول وهو الإحياء والإماتة كان له حقيقة ، وهو فعل الله ومجازا وهو فعل غيره فتعلق نمرود بالمجاز غلطا منه أو مغالطة ، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثانى لأنه لا مجاز له ، ولا يمكن الكافر عدول عنه أصلا (أو كالذى مر على قرية) تقديره أو رأيت مثل الذى فُخِذَ لدلالة ألم تر عليه : لأن كُتِبَ كُتِبَ تعجب ، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه يقول رأيت كالذى حاج إبراهيم ، أو كالذى مر على قرية وهذا الماز قيل إنه عزيز ، وقيل الخضر ، فقوله (أنى يحيى هذه الله) ليس إنكارا للبعث ولا استبعادا ولكنه استعظام لقدرة لذى يحيى الموتى ، وأسؤال عن كيفية الإحياء وصورته ، لاشك في وقوعه ، وذلك مقتضى كلمة أنى فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة ، وقيل بل كان كافرا وقالها إنكارا للبعث واستبعادا ، فأراه الله الحياة بعد الموت فى نفسه ، وذلك أعظم برهان (وهى خاوية على عروشها) أى خالية من الناس ، وقال السدى سقطت سقوفها وهى العروش ، ثم سقطت الحيطان على السقف (أنى يحيى هذه الله) ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب ولكن المعنى إحياء أهلها بعد موتهم لأن هذا الذى يمكن فيه الشك والإنكار ولذلك أراه الله الحياة بعد موته ، والقرية كانت بيت المقدس لما أخبرها بختنصر وقيل قرية الذين خرجوا

بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةَ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

من ديارهم وهم ألوف (كم لبثت) سؤال على وجه التقرير (قال لبثت يوما أو بعض يوم) استقل مدة موته ، قيل أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام فظان أنه يوم واحد ثم رأى بقية من الشمس يخاف أن يكذب في قوله يوما فقال أو بعض يوم (فانظر إلى طعامك وشرابك) قيل كان طعامه تينا وعبا وأن شرابه كان عصيرا ولبنا (لم يتسنه) معناه لم يتغير بل بقي على حاله طول مائة عام ، وذلك أعجوبة إلهية واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنة ، لأن لأمها هاء ، فتكون الهاء في يتسنه أصلية . أى لم يتغير السنون ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك تسنن الشيء إذا فسد ، ومنه الحمأ المسنون ، ثم قابت النون حرف علة كقولهم قصيت أظفاري ثم حذف حرف العلة للجازم ، والهاء على هذا هاء السكت (وانظر إلى حمارك) قيل بقي حماره حيا طول المائة عام ، دون علف ولا ماء ، وقيل مات ثم أحياه الله ، وهو ينظر إليه (ولنجعلك آية للناس) التقدير فعلنا بك هذا لتكون آية للناس ، وروى أنه قام شابا على حاله يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخا (وانظر إلى العظام) هي عظام نفسه ، وقيل عظام الحمار على القول بأنه مات (ننشرها) بالراء نحيبها ، وقرئ بالزاي ، ومعناه نرفعها للاحياء (قال أعلم) بهمزة قطع وضم الميم أى قال الرجل ذلك اعترافا ، وقرئ بألف وصل ، والجزم على الأمر أى قال له الملك ذلك (وإذ قال إبراهيم) الآية : قال الجمهور : لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى ، وإنما طلب المعاينة ، لأنه رأى دابة قد أكلها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال ، وبدل على ذلك قوله : كيف ، فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته لا عن وقوعه (ولكن ليطمئن قلبي) أى بالمعاينة (أربعة من الطير) قيل هي الديك ، والطاروس ، والحمام ، والغراب ، فقطعها وخلط أجزاءها ثم جعل من المجموع جزءا على كل جبل ، وأمسك رأسها بيدها ، ثم قال : تعالين ياذن الله فتطارت تلك الأجزاء حتى التأمت ، وبقيت بلا رؤس ، ثم كرر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤسها وطارت ياذن الله (فصرهن) أى ضمنهن ، وقيل قطعهن على كل جبل ، قيل أربعة جبال ، وقيل سبعة ، وقيل الجبال التي وصل إليها حينئذ من غير حصر بعدد (في سبيل الله) ظاهره الجهاد ، وقد يحمل على جميع وجوه البر (كمثل حبة) كل ما يزرع ويقطع وأشهره القمح ، وفي الكلام حذف تقديره مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة أو يقدر في آخر الكلام كمثل صاحب حبة (أنبتت سبع سنابل) بيان أن الحسنة بسبعائة كما جاء في الحديث أن رجلا جاء بناقة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عَلِيمٌ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنْهُ وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ ۝ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۝  
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَثَلُهُ كَثَلٌ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَ صُلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا  
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَثَلٌ  
جَنَّةٍ بَرِيَّةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ قَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَظَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ أَيُّودَ أَحَدِكُمْ  
أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ

لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة (والله يضاعف لمن يشاء) أى يزيده على سبعمائة وقيل هو تأكيد وبيان للسبعمائة ،  
والأول أرجح ، لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه (الذين ينفقون) الآية : قيل نزلت في عثمان ، وقيل في عليّ  
وقيل في عبدالرحمن بن عوف (منا ولا أذى) المن . ذكر النعمة على معنى التعدد لها والتفريع بها ، والأذى  
السب (قول معروف) هو ردّ السائل بجميل من القول : كالدعاء له والتأنيس (ومغفرة) عفو عن السائل إذا  
وجد منه جفاء ، وقيل مغفرة من الله لسبب الرد الجليل ، والمعنى تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف  
ومغفرة ، على العطاء الذى يتبعه أذى (لا تبطلوا صدقاتكم) عقيدة أهل السنة أن السيئات لا تبطل الحسنات  
فقالوا فى هذه الآية إن الصدقة التى يعلم من صاحبها أنه يمن أو يؤذى لا تقبل منه ، وقيل إن المن والأذى :  
دليل على أن نيته لم تكن خالصة ، فلذلك بطلت صدقته (كالذى ينفق) تمثيل لمن يمن ويؤذى بالذى ينفق  
رياء وهو غير مؤمن (فثله) أى مثل المرأتى فى نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبثة طيبة ، فإذا  
أنزل عليها المطر انكشف التراب ، يبقى الحجر لا منفعة فيه ، فكذلك المرأتى يظن أن له أجرا ، فإذا كان  
يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته (صفوان) حجر كبير (وابل) مطر كثير (صلدا) أملس (لا يقدرُونَ)  
أى لا يقدرُونَ على الانتفاع بثواب شىء من إنفاقهم وهو كسبهم (وتثبينا) أى تيقنا وتحقيقا للشواب لأن  
أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق ، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على الإيمان  
باحتمال المشقة فى بذل المال ، وانتصاب ابتغاء على المصدر فى موضع الحال وعطف عليه وتثبينا ، ولا يصح  
فى تثبينا أن يكون فعولا من أجله ، لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت فامتنع ذلك فى المعطوف عليه وهو  
ابتغاء (كمثل حبة) تقديره كمثل صاحب حبة أو يقدر ولا مثل نفقة الذى ينفقون (بريوة) لأن ارتفاع موضع الجنة  
أطيب لتربتها وهوائها (فطل) الطل الرقيق الخفيف ، فالمعنى يكفى هذه الجنة لكرم أرضها (أيود أحدكم) الآية : مثل ضرب  
للإنسان يعمل صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم له بعمل السوء ، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرأتى  
المتقدم ذكره آنفا أو ذى المن والأذى ، فإن كل واحد منهم يظن أنه ينتفع بعمله ، فإذا كان وقت حاجة  
إليه لم يجد شيئا ، فسيبهم الله بمن كانت له الجنة ، ثم أصابها الجائحة المهلكة ، أحوج ما كان إليها الشيخوخته ،

ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيت لعلكم تتفكرون . يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيهِ إلا أن تُعْمَضُوا فيه وأعلموا أن الله غني حميد . الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم . يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ . وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَعَمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ \* لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . لِلْفُقَرَاءِ

وضعف ذريته ، قالوا في قوله : وأصابه الكبر للحال (إعصار) أى ريح فيها سموم محرقة (من طيبات ما رزقناكم) والطيبات هنا عند الجمهور : الجيد غير الرديء ، فقيل إن ذلك في الزكاة فيكون واجبا ؛ وقيل في التطوع فيكون مندوبا لا واجبا ؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز بالرديء (وما أخرجنا) من النبات والمعادن وغير ذلك (ولا تيمموا الخبيث) أى لا تقصدوا الرديء (منه تنفقون) في موضع الحال (ولستم بأخذيهِ) الواو للحال والمعنى أنكم لا تأخذونه في حقوقكم وديونكم ، إلا أن تتساحوا بأخذه وتعملوا من قولك : أغضض فلان عن بعض حقه : إذا لم يستوفه وإذا غض بصره (الشيطان يعدكم الفقر) الآية : دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر ، ففي ضمن ذلك حرض على الإنفاق ، ثم بين عداوة الشيطان بأمره بالفحشاء ، وهى المعاصى ، وقيل الفحشاء البخل ، والفاحش عند العرب البخيل ، قال ابن عباس : فى الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله ، والفضل هو الرزق والتوسعة (يؤتى الحكمة) قيل هى المعرفة بالقرآن ، وقيل النبوة ، وقيل الإصابة فى القول والعمل (وما أنفقتم من نفقة) الآية . ذكر نوعين ، وهما ما يفعله الإنسان تبرعا ، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر ، وفى قوله (فإن الله يعلمه) وعد بالثواب ، وقوله (وما للظالمين من أنصار) وعيد لمن يمنع الزكاة أو ينفق لغير الله (إن تبدوا الصدقات) هى التطوع عند الجمهور لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة كالصلوات (فنعما هى) ثناء على الإظهار ، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء وما من نعماء فى موضع نصب تفسير للضمير والتقدير فنعم شئ إبدائها (ليس عليك هدام) قيل إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الزمة فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام ، وذلك فى التطوع ، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلا ، فالضمير فى هدام على هذا القول للكافر ، وقيل ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الإنفاق ، وترك المن والأذى والرياء ، والإنفاق من الخبيث ، إنما عليك أن تبلغهم والهدى بيد الله ، فالضمير على هذا للمسلمين (وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم) أى إن منفعته لكم لقوله «من عمل صالحا فلنفسه» (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) قيل إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله ففیه تزكية لهم

الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا أَلَّا يَاقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

وشهادة بفضلهم ، وقيل ما تنفقون نفقة تقبل منكم إلا ابتغاء وجه الله ، ففي ذلك حصر على الإخلاص (للفقراء) متعلق بمحذوف تقديره الإنفاق للفقراء وهم هنا المهاجرون (أحصروا) حبسوا بالعدو ، وبالمرض (في سبيل الله) يحتمل الجهاد والدخول في الإسلام (ضربا في الأرض) هو التصرف في التجارة وغيرها (بحسبهم الجاهل أغنياء) أى يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لقلة سؤالهم والتعفف هنا هو عن الطلب ومن سبية ، وقال ابن عطية لبيان الجنس (تعرفهم بسيماهم) علامة وجوههم وهى ظهور الجهد والفاقة وقلة النعمة وقيل الخشوع وقيل السجود (لا يسألون الناس إخفا) الإخفاف هو الإلحاح فى السؤال ، والمعنى : أنهم إذا سألوا يتلفون ولا يلاحون ، وقيل هو نفي السؤال والإلحاح معا وباقي الآية وعد (بالليل والنهار سرا وعلانية) تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته ، قال ابن عباس : نزلت فى عليّ فإنه تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال أبو هريرة نزلت فى علف الخيل (الذين يأكلون الربا) أى ينتفعون به ، وعبر عن ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع وسواء من أعطاه أو من أخذه ، والربا فى اللغة الزيادة ، ثم استعمل فى الشريعة فى بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة ، فإن غالب الربا فى الجاهلية قولهم للغريم أتقضى أم تربي ، فكان الغريم يزيد فى عدد المال ، ويصبر الطالب عليه ، ثم إن الربا على نوعين : ربا النسئمة ، و ربا التفاضل وكلاهما يكون فى الذهب والفضة ، وفى الطعام . فأما النسئمة فتحرم فى بيع الذهب بالذهب وبيع الفضة بالفضة وفى بيع الذهب بالفضة ، وهو الصرف ، وفى الطعام بالطعام مطلقا ، وأما التفاضل فإنما يحرم فى بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام ، ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل فى المقتات المدخر من الطعام ، ومذهب الشافعى أنه يحرم فى كل طعام ، ومذهب أبى حنيفة أنه يحرم فى المكيل والموزون من الطعام وغيره (لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) أجمع المفسرون أن المعنى لا يقومون من قبورهم فى البعث إلا كالجنون ، ويتخبطه يتفعله من قولك خبط يخبط ، والمس الجنون ، ومن تتعلق بيقوم (ذلك بأنهم) تعليل للعقاب الذى يصيبهم ، وإنما هذا الكفار ، لأن قولهم إنما البيع مثل الربا : رد على الشريعة وتكذيب للإثم وقد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد ، فإن قيل : هلا قيل إنما الربا مثل البيع ، لأنهم قاسوا الربا على البيع فى الجواز ، فالجواب : أن هذا مبالغة ، فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع (وأحل الله البيع) عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا ، وقد عددناها فى الفقه ثمانين نوعا (وحرم الربا) رد على الكفار وإنكار للتسوية بين البيع والربا ، وفى ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص ، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل

النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْرَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ

الله وتحريمه (فله ماسف) أى له ما أخذ من الربا ، أى لا يؤاخذ بما فعل منه قبل نزول التحريم (وأمره إلى الله) الضمير عائد على صاحب الربا ، والمعنى أن الله يحكم فيه يوم القيامة ، فلا تؤاخذوه في الدنيا ، وقيل الضمير عائد على الربا ، والمعنى أن أمر الربا إلى الله في تحريم أو غير ذلك (ومن عاد) الآية : يعنى من عاد إلى فعل الربا وإلى القول . إنما البيع مثل الربا ، ولذلك حكم عليه بالخلود في النار ، لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر ، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها في الكفار (يحق الله الربا) ينقصه وبذهبه (ويرى الصدقات) ينميا في الدنيا بالبركة ، وفي الآخرة بمضاعفة الثواب (كفار أثيم) أى من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا ، وهذا يدل على أن الآية في الكفار (وذروا ما بقى من الربا) سبب الآية أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قال في خطبته كل ربا كان في الجاهلية موضوع ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذى كان لهم على قريش ، فأبوا من دفعه وقالوا قد وضع الربا فتحا كموا إلى عتاب بن أسيد أمير مكة فكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت الآية (إن كنتم مؤمنين) شرط لمن خوطب به من قريش وغيرهم (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب) أى إن لم تنتهوا عن الربا حوربتم ومعنى فأذنوا : اعلوا ، وقرئ بالمد أى اعلوا غيركم ، ولما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله (لا تظلمون ولا تظلمون) أى لا تظلمون بأخذ زيادة على رهوس أموالكم ، ولا تظلمون بالنقص منها (وإن كان ذو عسرة) كان تامة بمعنى حضور ووقع ، وقرئ ذا عسرة ، أى إن كان الغريم ذاعسرة (فنظرة إلى ميسرة) حكم الله للمعسر بالإنتظار إلى أن يوسر ، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه ، ونظرة مصدر ، معناه التأخير ، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره فالجواب نظرة أو مبتدأ ، وميسرة أيضا مصدر وقرئ بضم السين وفتحها (وأن تصدقوا خير لكم) ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدين عنه فذلك أفضل من إنتظاره ، وباقي الآية وعظ ، وقيل إن آخر آية نزلت آية الربا ، وقيل بل قوله : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، الآية . وقيل آية الدين المذكورة بعد (إذا تدايتم بدين) أى إذا عامل بعضكم بعضا بدين ، وإنما ذكر الدين وإن كان مذكورا في تدايتم ليعود عليه الضمير في اكتبوه وليزول الاشتراك الذى في تدايتم ، إذ يقال لمعنى الجزاء (إلى أجل مسمى) دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول ، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ والحصاد ، لأنه معروف عند الناس ، ومنعه الشافعى وأبو حنيفة ، قال ابن عباس : نزلت الآية في السلم خاصة يعنى أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها ، قال مالك وهذا يجمع الدين كله يعنى

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَيْهِ اللَّهُ فَلَْيَكْتُبْ وَلْيَمْلَأِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ  
 اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلَأْ  
 وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ  
 الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ

أنه يجوز التأخير في السلم والسلف وغيرهما (فاكتبوه) ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية، وقال  
 قوم لها منسوخة لقوله «فإن أمن بعضكم بعضاً» وقال قوم إنها على النذب (وليكتب بينكم كاتب) قال قوم  
 يجب على الكاتب أن يكتب، وقال قوم نسخ ذلك بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد، وقال آخرون يجب  
 عليه إذا لم يوجد كاتب سواه، وقال قوم إن الأمر بذلك على النذب ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب  
 الوثائق (بالعدل) يتعلق عند ابن عطية بقوله وليكتب، وعند الزمخشري بقوله كاتب فعلي الأول تكون  
 الكتابة بالعدل، وإن كان الكاتب غير مرضى، وعلى الثاني يجب أن يكون الكاتب مرضياً في نفسه، قال  
 مالك: لا يكتب الوثائق إلا عارف بها، عدل في نفسه مأمون (ولا يأب كاتب أن يكتب) نهى عن الإباية،  
 وهو يقوى الوجوب (كما عليه الله) يتعلق بقوله أن يكتب، والكاف للتشبيه أي يكتب مثل ما عليه الله  
 أو للتعليل: أي ينفع الناس بالكتابة كما عليه الله لقوله أحسن كما أحسن الله إليك وقيل يتعلق بقوله بعدها  
 (فليكتب وليملأ) يقال أمليت الكتاب، وأمليت، فورد هنا على اللغة الواحدة، وفي قوله تملأ عليه على الأخرى  
 (الذي عليه الحق) لأن الشهادة إنما هي باعترافه، فإن كتب الوثيقة دون إملاله، ثم أقر بها جاز (ولا  
 يبخس) أمر الله بالتقوى فيما يملأ، ونهاه عن البخس وهو نقص الحق (سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن  
 يمل هو) السفيه الذي لا يحسن النظر في ماله، والضعيف الصغير وشبهه، والذي لا يستطيع أن يمل الأخرس  
 وشبهه (ولييه) أبوه، أو وصيه، والضمير عائد على الذي عليه الحق (واستشهدوا شهيدين) شهادة الرجلان  
 جائزة في كل شيء إلا في الزنا فلا بد من أربعة (من رجالكم) نص في رفض شهادة الكفار والصبيان  
 والنساء، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم، ومنعها مالك والشافعي لنقص  
 الرق (فرجل وامرأتان) قال قوم لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع الرجال، وقال معنى الآية: إن لم يكونا  
 أي إن لم يوجدوا وأجاز الجمهور أن المعنى إن لم يشهد رجلان، فرجل وامرأتان، وإنما يجوز عند  
 مالك شهادة الرجل والمرأتين في الأموال لا في غيرها، وتجوز شهادة المرأتين دون رجل، فيما لا يطلع  
 عليه الرجال كالولادة والاستهلال، وعيوب النساء، وارتفع رجل بفعل مضمر تقديره: فليكن رجل، فهو  
 فاعل، أو تقديره: فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله، أو بالابتداء تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون  
 (ممن ترضون) صفة للرجل والمرأتين، وهو مشروط أيضاً في الرجلين الشاهدين، لأن الرضا مشروط في الجميع  
 وهو العدالة، ومعناها اجتناب الذنوب الكبار، وتوقى الصفات مع المحافظة على المروءة (أن تضل) مفعول  
 من أجله، والعامل فيه هو المقدر العامل في رجل وامرأتان والضلال في الشهادة وهو نسيانها أو نسيان بعضها،  
 وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولاً من أجله، وليس هو المراد، لأنه سبب لتذكير الأخرى لها

تَكْتَبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ  
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتَبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ  
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ  
وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْكُمْ بَعْضٌ فليُؤدِّ الَّذِي أَوْمِنَ أَمْنَتَهُ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا

وهو المراد ، فاقم السبب مقام المسبب ، وقرئ : إن تضل : بكسر الهمزة على الشرط ، وجوابه الفاء في فتذكر ،  
ولذلك رفعه من كسر الهمزة ، ونصبه من فتحها على العطف ، وقرئ تذكر بالتشديد والتخفيف ، والمعنى  
واحد (ولا ياب الشهداء) أى لا يمتنعون (إذا مادعوا) إلى أداء الشهادة ، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي  
صلى الله عليه وآله وسلم ، واتفق العلماء أن أداء الشهادة واجب إذا دعى إليها ، وقيل إذا دعوا إلى تحصيل  
الشهادة وكتبتها . وقيل إلى الأمرين (ولا تسموا أن تكتبوه) أى لا تملوا من الكتابة إذ ترددت وكثرت ، سواء  
كان الحق صغيرا أو كبيرا ، ونصب صغيرا على الحال (ذلكم) إشارة إلى الكتابة (أقسط) من القسط وهو  
العدل (وأقوم) بمعنى أشد إقامة ، وينبنى أفعل فيهما من الرباعى وهو قليل (وأدنى أن لا ترتابوا) أى أقرب  
إلى عدم الشك فى الشهادة (إلا أن تكون تجارة حاضرة) أن فى موضع نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن الكلام  
المتقدم فى الدين المؤجل ، والمعنى إباحة ترك الكتابة فى التجارة الحاضرة ، وهو ما يباع بالتقدي وغيره ، (تديرونها  
بينكم) يقتضى القبض والبيئونة (وأشهدوا إذا تبايعتم) ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغيرا أو كبيرا ،  
وهم الظاهرية خلافا للجمهور وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله : فإن أمن بعضهم بعضا ، وذهب قوم إلى أنه على  
الندب (ولا يضار كاتب ولا شهيد) يحتمل أن يكون كاتب فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من يضار ، والمعنى  
على هذا نهى للكاتب والشاهد أن يضار صاحب الحق أو الذى عليه الحق بالزيادة فيها أو النقصان منه ، أو الامتناع  
من الكتابة أو الشهادة ، ويحتمل أن يكون كاتب مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة ، ويقوى ذلك  
قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولا يضار ، بالتفكيك وفتح الراء ، والمعنى النهى عن الإضرار بالكاتب  
والشاهد إذا يتما بالقول أو بالفعل (وإن تفعلوا) أى إن وقعتم فى الإضرار (فإنه فسوق) حال بكم (ويعلمكم الله)  
إخبار على وجه الامتنان ، وقيل معناه الوعد بأن من اتقى علمه الله وألمه وهذا المعنى صحيح ، ولكن لفظ الآية  
لا يعطيه ، لأنه لو كان كذلك لجزم يعلمكم فى جواب اتقوا (وإن كنتم على سفر) الآية : لما أمر الله تعالى بكتب  
الدين : جعل الرهن توثيقا للحق ، عوضا عن الكتابة ، حيث تنعذر الكتابة فى السفر ، وقال الظاهرية :  
لا يجوز الرهن إلا فى السفر لظاهر الآية . وأجازته مالك وغيره فى الحضر لأن النبي صلى الله عليه وسلم رهن درعه  
بالمدينة (فرهان مقبوضة) يقتضى بينونة المرتهن بالرهن ، وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله  
وأجاز مالك وأجمهور وضعه على يد عدل ، والقبض للرهن شرط فى الصحة عند الشافعى وغيره ، بقوله تعالى  
«مقبوضة» وهو عند مالك شرط كمال لصحة (فإن أمن بعضهم بعضا) الآية : أى إن أمن صاحب الحق المديان لحسن  
ظنه به ، فليستغن عن الكتابة وعن الرهن ، فأمر أولا بالكتابة ، ثم بالرهن ثم بالائتمان ، فللدين ثلاثة أحوال  
ثم أمر المديان بأداء الأمانة ، ليكون عند ظن صاحبه به (ولا تكتبوا الشهادة) محمول على الوجوب (فإنه

الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ اللَّهُ مَتَى السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ  
تَبَدُّوا مَتَى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهَا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۝ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝  
ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَنفُرُونَ بَيْنَ أَحَدٍ  
مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

آثم قلبه) معناه: قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية في كتمان الشهادة، وارتفع آثم بأنه خبر إن، وقابله  
فاعل به، ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ، وآثم خبره، وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كان جملة الكاتم هي الآئمة،  
لأن الكتمان من فعل القلب، إذ هو يضمها، ولثلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان (وإن  
تبدوا ماني أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) الآية: مقتضاها المحاسبة على ماني نفوس العباد من الذنوب،  
سواء أبدوه أم أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله أو الغفران لمن شاء الله، وفي ذلك إشكال لمعارضته  
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تجاوز لآمتي ما حدثت به أنفسها، ففي الحديث الصحيح عن  
أبي هريرة: أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اهلكنا إن حوسبنا على خواتم أنفسنا، فقال لهم النبي صلى الله  
عليه وسلم: قولوا سمعنا وأطعنا، فقالوا، فأنزل الله بعد ذلك: لا يكلف الله نفسا إلا وُسْعَهَا، فكشف الله عنهم  
السكرية، ونسخ بذلك هذه الآية، وقيل هي في معنى كتم الشهادة وإبدائها، وذلك محاسب به، وقيل يحاسب الله خلقه  
على ماني نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين، والصحيح التأويل الأول لوروده في الصحيح،  
وقد ورد أيضا عن ابن عباس وغيره، فإن قيل: إن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ، فالجواب: أن النسخ إنما  
وقع في المؤاخذه والمحاسبة وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه، فلفظ الآية خبر، ومعناها حكم (فيغفر لمن يشاء  
ويعذب) قرئ بجزءهما عطفًا على يحاسبكم ورفعهما على تقدير فهو يغفر (آمن الرسول) الآية سببها ما تقدم في حديث  
أبي هريرة: لما قالوا سمعنا وأطعنا مدحهم الله بهذه الآية، وقدم ذلك قبل كشف ما شق عليهم (والمؤمنون)  
عطف على الرسول أو مبتدأ، فعلى الأول يوقف على المؤمنون وعلى الثاني يوقف على من ربه والأول أحسن  
(كل آمن بالله) إن كان المؤمنون معطوفًا فكل عموم في الرسول والمؤمنون، وإن كان مبتدأ فكل عموم في المؤمنون  
ووحده الضمير في آمن على معنى أن كل واحد منهم آمن (وكتبه) قرئ بالجمع أي كل كتاب أنزله الله، وقرئ بالتوحيد  
يريد القرآن أو الجنس (لا نفرق بين أحد من رسله) التقدير يقولون لا نفرق، والمعنى لا نفرق بين أحد من  
الرسول وبين غيره في الإيمان بل تؤمن بجميعهم، ولسنا كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض ويكفرون  
ببعض (وقالوا سمعنا وأطعنا) حكاية عن قول المؤمنين على وجه المدح لهم (غفرانك) مصدر، والعامل فيه مضمرة  
ونصبه على المصدرية تقديره اغفر غفرانك، وقيل على المفعولية تقديره: نطلب غفرانك (وإليك المصير)  
إقرار بالبعث مع تذلل وانقياد، وهنأت حكاية كلام المؤمنين (لا يكلف الله نفسا إلا وُسْعَهَا) إخبار من الله تعالى  
برفع تكليف ما لا يطاق، وهو جائز عقلا عند الأشعرية ومحال عقلا عند المعتزلة، واتفقوا على أنه لم يقع  
في الشريعة (لها ما كسبت) أي من الحسنات (وعاها ما كتسبت) أي من السيئات، وجاءت العبارة بلها

وَعَلَيْهَا مَا كَتَبْتَ رَبَّنَا لِأَتُواخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ هـ

## سورة آل عمران

مدنية وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا

في الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به ، وجاءت بعلمها في السيئات لأنها مما يضر بالعبد ، وإنما قال في الحسنات كسبت وفي الشرِّ اكتسبت ، لأنَّ في الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة ، حسبما تقتضيه صيغة افعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ، ويتعداه بخلاف الحسنات ، فإنه فيها على الجادة من غير تكلف أولان السيئات يجتد في فعلها لميل النفس إليها ، فجعلت لذلك مكتسبة ، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك : وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أي قولوا ذلك في دعائكم ويحتمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم : سمعنا وأطعنا ، والنسيان هنا هو ذهول القلب على الإنسان ، والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» ، وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أن الله رفعه (ولا تحمل علينا إصرا) التكليف الصعبة ، وقد كانت لمن تقدم من الأمم كقتل أنفسهم ، وقرض أبدانهم ، ورفعت عن هذه الأمة . قال تعالى : ويضع عنهم إصرهم . وقيل الإصر المسخ قرده وخنزير (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع . ثم إنَّ الشرع دفع وقوعه . وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق . أربعة أنواع : الأول عقلي محض : كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن . فهذا جائز وواقع بالاتفاق . والثاني عادي كالطيران في الهواء . والثاني عقلي وعادي : كالجمع بين الضدين ، فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه ، والرابع تكليف ما يشق ويصعب ، فهذا جائز اتفاقا ، فقد كلفه الله من تقدر من الأمم ، ورفعته عن هذه الأمة (واعف عنا وافر لنا وارحمنا) ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذه بالذنب ، والمغفرة تقتضى مع ذلك الستر ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام (مولانا) ولينا وسيدنا

## سورة آل عمران

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة يناظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عيسى عليه السلام (الم) تقدم الكلام على حروف الهجاء وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا في الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس ، وقال الزمخشري هي حركة الهمزة نقلت إلى الميم وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط في الدرج (الحى القيوم) رد على النصارى في قولهم إنَّ عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب ، فليس بحى وليس بقيوم (الكتاب) هنا هو القرآن (بالحق) أى تضمن الحق من الأخبار والاحكام وغيرها أو بالاستحقاق (مصدقاً) قد تقدم في مصدقا لما معكم (بين يديه) الكتب المتقدمة (التوراة والإنجيل) أعجميان

بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۗ هُوَ الَّذِي  
يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۗ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ  
آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ  
الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا  
يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۗ

فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما (وأُنزل الفرقان) يعني القرآن وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه الفارق  
بين الحق والباطل ويحتمل أن يكون ذكره أولاً على وجه الإثبات لإنزاله لقوله: مصدقاً لما بين يديه، ثم ذكره ثانياً  
على وجه الامتتان بالهدى به، كما قال في التوراة والإنجيل هدى للناس، فكأنه قال وأُنزل الفرقان هدى للناس ثم  
حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه، فلما اختلف قصد الكلام في الموضوعين لم يكن ذلك تكراراً، وقيل الفرقان  
هنا: كل ما فرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره، وقيل هو الزبور، وهذا بعيد (لا يخفى عليه شيء) خبر عن  
إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفضيل، وهذه صفة لم تكن لعيسى، ولا غيره، ففى ذلك رد على النصارى  
(هو الذى يصوركم) برهان على إثبات علم الله المذكور قبل: وفيه رد على النصارى، لأن عيسى لا يقدر على التصوير،  
بل كان مصوراً كسائر بنى آدم (كيف يشاء) من طول، وقصر، وحسن، وقبح، ولون؛ وغير ذلك (منه آيات  
محكمات) المحكم من القرآن: هو البين المعنى، الثابت الحكم، والمتشابه هو الذى يحتاج إلى التأويل، أو يكون  
مستغلق المعنى: كحروف الهجاء، قال ابن عباس: المحكمات الناسخات والحلال والحرام، والمتشابهات المذسوخات  
والمقدم والمؤخر، وهو تمثيل لما قلنا (هن أم الكتاب) أى عمدة ما فيه ومعظمه (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) نزلت فى  
نصارى نجران فإهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أليس فى كتابك أن عيسى كلبه الله وروح منه قال نعم،  
قالوا فحسبنا إذاً، فهذا من المتشابه الذى اتبعوه، وقيل نزلت فى أبى ياسر بن أخطب اليمردى وأخيه حكيم  
ثم يدخل فى ذلك كل كافر أو مبتدع، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن (ابتغاء الفتنة) أى ليقفوا به الناس  
(وابتغاء تأويله) أى يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضى مذاهم أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى  
ما لا يصل إليه مخلوق (وما يعلم تأويله إلا الله) إخبار بانفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن وذم لمن طلب  
علم ذلك من الناس (والراسخون فى العلم) مبتدأ مقطوع بما قبله، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه  
ولمّا يقولون آمناً به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته، وقيل إنه معطوف على  
ما قبله وأن المعنى أنهم يعلمون تأويله، وكلا القولين مروى عن ابن عباس، والقول الأول قول أبى بكر الصديق  
وعائشة، وعروة بن الزبير، وهو أرجح، وقال ابن عطية المتشابه نوعان: نوع انفرد الله بعلمه، ونوع يمكن  
وصول الخلق إليه فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول، وعطفاً بالنظر إلى الثانى (كل من عند ربنا) أى  
المحكم والمتشابه من عند الله (ربنا لا تزغ قلوبنا) حكاية عن الراسخين، ويحتمل أن يكون منقطعاً على وجه التعليم

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ  
وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ آتِهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۝ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُوكُمْ فِي غُفْرَانِكُمْ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْعِيسَىٰ  
فَقُلْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ عَنِ السُّجُودِ ۝ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُبْصِرَةٍ ۝ قُلْ إِنَّمَا  
أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَأَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ  
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ۝ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

والاول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله وما يذكر إلا أولو الألباب؛ فهو من كلام الله تعالى لاحكامية قول الراسخين  
(إن الله لا يخلف الميعاد) استدلال على البعث ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين أو منقطعا فهو من كلام الله  
(كذاب) في موضع رفع أى دأب هؤلاء كذاب (آل فرعون) وفي ذلك تهديد (والذين من قبلهم) عطف على آل  
فرعون، ويعنى بهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، والضمير عائد على آل فرعون (آياتنا) البراهين أو الكتاب (ستغلبون  
وتحشرون) قرئ بتاء الخطاب لليهود المدينة، وقيل لكفار قريش، وقرئ بالياء لإخباراً عن يهود المدينة، وقيل  
عن قريش وهو صادق على كل قول أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففى بدر وغيرها  
والاشهر أنها فى بنى قينقاع؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا  
له لا يغرنك أنك قتلت نفرا من قريش لا يعرفون القتال - فلو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، فنزلت الآية. ثم  
أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة (قد كان لكم آية) قيل خطاب للمؤمنين وقيل لليهود،  
وقيل لقريش؛ والاول أرجح أنه لبنى قينقاع الذين قيل لهم ستغلبون. ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم  
(فى فتنين التقتان) المسلمون والمشركون يوم بدر (يرونهم مثلهم) قرئ تروهم بآتاء خطابا لمن خوطب  
بقوله قد كان لكم آية. والمعنى ترون الكفار مثل المؤمنين. ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قدر  
عددهم، وقرئ بالياء. والفاعل فى يرونهم المؤمنون، والمفعول به هم المشركون. والضمير فى مثلهم للمؤمنين  
والمعنى على حسب ما تقدم. فإن قيل: إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من المسلمين؛ فالجواب من وجهين  
أحدهما أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين، لأن الكفار كانوا قريبا من ألف، والمؤمنون ثلاثمائة  
وثلاثة عشر ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار فى أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين ليتجاسروا  
على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أخبروا به من قتال الواحد للآخرين من قوله إن تكن منكم مائة صابرة  
يغابوا مائتين، وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: وإذ يريدكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا، والآخر أنه رجع  
قوم من الكفار حتى بقى منهم ستمائة وستة وعشرون رجلا، وذلك قدر عدد المسلمين مرتين وقيل إن الفاعل  
فى يرونهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين وأن الضمير فى مثلهم يحتمل أن يكون للمؤمنين  
والمفعول للمشركين. والمعنى على هذا أن الله كثر عدد المسلمين فى أعين المشركين حتى حسب الكفار  
المؤمنين مثل الكافرين أو مثل المؤمنين. وهم أقل من ذلك وإنما كثرهم الله فى أعينهم ليرهبوهم، ويرد هذا  
قوله تعالى، ويقللكم فى أعينهم (رأى العين) نصب على المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة لاشك فيها (والله يؤيد

وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمُنَاقَبِ ۝ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۝ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ

بنصره من يشاء) أى أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة ، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين ؛ مع أنهم كانوا أكثر منهم (زين للناس) قبل المزين هو الله وقيل الشيطان . ولا تعارض بينهما فزين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع ، وإنشاء الجبل على الميل إلى الدنيا . وتزين الشيطان بالسوسة والخديعة ( والقناطير ) جمع قنطار ، وهو ألف ومائتا أوقية ، وقيل ألف ومائتا مثقال ، وكلاهما مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (المقنطرة) مبنية من لفظ القناطير وللتأكد كقولهم الوف مؤلفة ، وقيل المضروبة دنانير أو دراهم (المسومة) الراعية من قولهم سام الفرس وغيره إذا جال في المسارح ، وقيل المعلمة في وجوهها شيثان فهى من السمات بمعنى العلامات قيل المعدة للجهاد (ذلك متاع الحياة الدنيا) تحقير لها ليزهد فيها الناس (قل أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَالِكُمْ) تفضيل الآخرة على الدنيا ليرغب فيها وتتمام الكلام في قوله من ذلك ثم ابتداء قوله (للذين اتقوا) تفسيراً لذلك فجئات على هذا مبتدأ وخبره للذين اتقوا ، وقيل إن قوله للذين اتقوا متعلق بما قبله وتتمام الكلام في قوله عند ربهم ، فجئات على هذا خبر مبتدأ مضمرة ( ورضوان من الله) زيادة إلى نعيم الجنة ، وهو أعظم من النعيم حسبما ورد في الحديث (الذين يقولون) نعت للذين اتقوا ، ورفع بالابتداء ، أو نصب بإضمار فعل (الصادقين) في الأقوال والأفعال (والقانتين) العابدين والمطيعين (والمستغفرين) الاستغفار هو طلب المغفرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نستغفر ، فقال قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (بالأسحار) جمع سحر وهو آخر الليل يقال إنه الثلث الأخير ، وهو الذى ورد أن الله يقول حينئذ : من يستغفرنى فأغفرله ، (شهد الله) الآية : شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية وقيل معناها إعلامه لعباده بذلك (والملائكة وأولوا العلم) عطف على اسم الله أى هم شهداء بالوحدانية ، ويعنى بأولى العلم : العارفين بالله الذين يقيمون البراهين على وحدانيته (قائماً) منصوب على الحال من اسم الله أو من هو أو منصوب على المدح (بالقسط) بالعدل (لا إله إلا هو) إنما كرر التهليل لوجهين : أحدهما : أنه ذكر أولاً الشهادة بالوحدانية ، ثم ذكرها ثانياً بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة ، والآخر أن ذلك تعليم لعباده ليكثرؤا من قولها (إن الدين) بكسر الهمزة ابتداء ، وفتحها بدل من أنه ، وهو بدل شيء من شيء ، لأن التوحيد هو الإسلام (وما اختلف الذين) الآية : إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغى ، وهو الحسد ، والآية

اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
 وَالْأَمِينَ ءَاسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ  
 يَكْفُرُونَ بَيَّاتٌ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ  
 أَلِيمٍ ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۖ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا  
 مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى الْكِتَابِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا  
 لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۖ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ  
 وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۚ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ  
 مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُنزِلُ مَن تَشَاءُ ۚ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

في اليهود، وقيل في النصارى، وقيل فيهما (سريع الحساب) قد تقدم معناه في البقرة وهو هنا تهديد، ولذلك  
 وقع في جواب من يكفر (فإن حاجوك) أي جادلوك في الدين، والضمير لليهود ونصارى نجران (أسدت  
 وجهي) أي أخلصت نفسي وجملي (لله) وعبر بالوجه على الجملة ومعنى الآية إقامة الحججة عليهم لأن من أسلم  
 وجهه لله فهو على الحق بلا شك، فسقطت حجة من خالفه (ومن اتبعني) عطف على التاء في أسلمت ويجوز  
 أن يكون مفعولا معه (أسلتم) تقرير بعد إقامة الحججة عليهم أي قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تسلموا  
 (فإنما عليك البلاغ) أي إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك، فإذا أبلغتها فقد فعلت ما عليك، وقيل إن فيها  
 موادة نسخها آية السيف (إن الذين يكفرون) الآية: نزلت في اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا على  
 قبح أفعالهم، وأفعال أسلافهم (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود، والكتاب هنا التوراة، أو جنس  
 (يدعون إلى كتاب الله) قال ابن عباس: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جماعة من اليهود فيهم  
 النعمان بن عمرو والحارث بن زيد، فقالوا له على أي دين أنت - فقال لهم على دين إبراهيم، فقالوا إن إبراهيم  
 كان يهوديا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهلوا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبوا عليه  
 فنزلت الآية، فكتاب الله على هذا التوراة، وقيل هو القرآن: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم  
 إليه فيعرضون عنه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله والباء سببية: والمعنى أن كفرهم  
 بسبب إعراضهم وأكاذيبهم، والأيام المعدودات قد ذكرت في البقرة (فكيف إذا جمعناهم) أي كيف يكون  
 حالهم يوم القيامة، والمعنى تهويل واستعظام لها أعد لهم (اللهم) منادى، والميم فيه عوض من حرف النداء  
 عند البصريين، ولذلك لا يجتمعان، وقال الكوفيون أصله يا الله أمنا بخير فالميم عندهم من أمنا (مالك الملك)  
 منادى عند سيديويه، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله؛ وقيل إن الآية نزلت ردا على النصارى في  
 قولهم إن عيسى هو الله، لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى، وقيل لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته  
 يفتخون ملك كسرى وقیصر: استبعد ذلك المنافقون، فنزلت الآية (بيدك الخير) قيل المراد بيدك الخير

وَتُوجِهُ النَّهَارُ فِي الْيَلِّ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ  
لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ  
تَتَّقُوا مِنْهُمْ تَقَةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۚ قُلْ إِنْ خِفْتُمْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ  
وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ  
مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدِّعُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادَةِ  
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۚ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ  
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۚ

والشر ، لحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقيل إنما خص الخير بالذكر ، لأن الآيه في معنى دعاء ورغبة  
فكانه يقول : بيدك الخير فأجزل حظي منه (تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) قال عبد الله بن  
مسعود : هي النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حي ، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة ، وقال عكرمة : هي  
إخراج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، وقيل يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ،  
فالحياة والموت على هذا استعارة ، وفي ذكر الحي من الميت المطابقة ، وهي من أدوات البيان ، وفيه أيضا  
القلب لأنه قدم الحي على الميت ، ثم عكس (بغير حساب) بغير تضيق وقيل بغير محاسبة (لا يتخذ المؤمنون) الآية.  
عامة في جميع الأعصار ، وسبها ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود ، وقيل كتاب حاطب إلى مشركي قريش (ليس  
من الله في شيء) تبرؤ ممن فعل ذلك ووعيد على موالاة الكفار ، وفي الكلام حذف تقديره : ليس من التقرب إلى الله  
في شيء ، وموضع في شيء من نصب على الحال من الضمير في ليس من الله ، قاله ابن عطية (إلا أن تتقوا منهم) إباحة لموالاتهم  
إن خافوا منهم والمراد موالاة في الظاهر مع البغضاء في الباطن (تقاة) وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين . وفاؤه واو ،  
وأبدل منهاتاء ، ولأما ياء أبدل منها ألف ، وهو منصوب على المصدرية ، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير في تتقوا  
(ويحذركم الله نفسه) تخويف (يوم تجد) منصوب على الظرفية والعامل فيه فعل مضمر تقديره اذكر وأوخافوا وقيل  
العامل فيه تقدير ، وقيل المصير ، وقيل يحذركم (وما عملت من سوء) مبتدأ خبره تود ، أو معطوف (أمد) أي مسافة (والله  
رؤوف) ذكر بعد التحذير تأنيسا لثلاثا يفرط الخوف أو لأن التحذير والتنبيه رافة (فاتبعوني) جعل اتباع النبي صلي  
الله عليه وسلم علامة على محبة العبد لله تعالى وشرط في محبة الله للعبد ومغفرته له ، وقيل إن الآية خطاب لنصارى نجران  
ومعناها على العموم في جميع الناس (إن الله اصطفى) الآية : لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران أخذيين لهم  
ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام وكيفية ولادته وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام  
تكميلا للأمر لأنهما أبوان لجميع الأنبياء ، ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه  
السلام ، وقيل إن عمران هنا هو والد موسى ، وبينهما ألف وثمانمائة سنة ، والأظهر أن المراد هنا والد  
مريم ، لذكر قصتها بعد ذلك (آل إبراهيم وآل عمران) يحتمل أن يريد بالقرابة ، أو الاتباع ، وعلى الوجهين

ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ۝ إذ قالت أمراتُ عمرانَ ربِّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ۝ فلما وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأثني وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ۝ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نبأاً حسناً وكفلها زكرياً كلما دخل عليها زكرياً المحراب وجد عندها رزقاً قال يمريمُ أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ۝ هنالك دعا زكرياً ربه قال ربِّ

يدخل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في آل إبراهيم (ذرية) بدل مما تقدم أحوال ووزنه فعلية منسوب إلى الذر لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر وغير أوله في النسب ، وقيل أصل ذرية ذرورة وزنها فعولة ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء ، فصارت ذروية ، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء ، فصارت ذرية ( إذ قالت) العامل فيه محذوف تقديره اذكروا ، وقيل عليم ، وقال الزجاج العامل فيه معنى الاصطفاء ( امرأة عمران) اسمها حنة بالنون ، وهي أم مريم ، وعمران هذا هو والد مريم (نذرت) أى جعلت نذرا على أن يكون هذا الولد في بطني حبسا على خدمة بيتك ، وهو بيت المقدس (محرر) أى عتيقا من كل شغل لإلخدمة المسجد (فلما وضعتها) الآية . كانوا لا يحررون إلا نكاح المساجد ، فقالت ( إني وضعتها أنثى ) تحسرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذي نذرت ( والله أعلم بما وضعت ) قرئى وضعت بإسكان التاء وهو من كلام الله تعظيما لوضعها وقرئى بضم التاء وإسكان العين وهو على هذا من كلامها (وليس الذكر كالأثني) يحتمل أن يكون من كلام الله ، فالمعنى ليس الذكر الذى طلبت كالأثني التى وهبت لك ، وأن يكون من كلامها فالمعنى ليس الذكر كالأثني فى خدمة المساجد ، لأن الذكور كانوا يخدمونها دون الإناث ( سميتها مريم ) إنما قالت لربها سميتها مريم لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة ، فأرادت بذلك التقرب إلى الله ، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته وامتتعت مريم من الصرف للتعريف والتأنيث ، وفيه أيضا العجمة ( وإني أعيذها بك ) ورد فى الحديث ما من مولود إلا نخسه الشيطان يوم ولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ، لقوله : وإني أعيذها بك : الآية ( فتقبلها ربها ) أى رضىها للمسجد مكان الذكر ( بقبول حسن ) فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدرا على غير المصدر ، والآخر أن يكون اسما لما يقبل به كالسعوط اسم لما يسعط به ( وأنبأها نبأا حسنا ) عبارة عن حسن النشأة ( وكفلها زكريا ) أى ضمها إلى إنفاقه وحضنته ، والكافل هو الحاضن ، وكان زكريا زوج خالتها ، وقرئى كففلها بتشديد الفاء ، وانصب زكريا : أى جعله الله كافلها ( المحراب ) فى اللغة أشرف المجلس ، وبذلك سمى موضع الإمام ، ويقال إن زكريا بنى لها عرفة فى المسجد ، وهى المحراب هنا ، وقيل المحراب موضع العبادة ( وجد عندها رزقا ) كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ويقال إنهم لم ترضع ثديا قط ، وكان الله يرزقها ( أنى لك هذا ) إشارة إلى مكان أى كيف ومن أين ( إن الله يرزق ) يحتمل أن يكون من كلام مريم أو من كلام الله تعالى ( هنالك ) إشارة إلى مكان ، وقد يستعمل فى الزمان ، وهو الأظهر هنا أى لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم : سأل من الله الولد ( فنادته

هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۖ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ قَالَ رَبِّ أُنَّى يُكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۖ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَتَكَلُّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۖ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۖ يَمْرِيمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي

الملائكة) أنت رعاية للجماعة ، وقرئ بالالف على التذكير وقيل الذي ناداه جبريل وحده وإنما قيل الملائكة لقولهم فلان يركب الخيل أى جنس الخيل وإن كان فرسا واحدا (يحيى) اسم سماه الله تعالى به قبل أن يولد ، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء فى العربية ، وهو لا ينصرف ، فإن كان فى الإعراب أعجميا ففيه التعريف والعجمة ، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل (مصداقا بكلمة من الله) أى مصداقا بعيسى عليه السلام مؤمنا به ، وسمى عيسى كلمة الله ، لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر نبي آدم (وسيدا) السيد الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف والفضل (وحصورا) أى لا يأتى النساء فقيل خلقه الله كذلك ، وقيل كان يمسك نفسه ، وقيل الحصور الذى لا يأتى الذنوب (أنى يكون لى غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته ، وعقم امرأته ، ويقال كان له تسع وتسعون سنة ، ولامرأته ثمان وتسعون سنة ، فاستبعد ذلك فى العادة ، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك ، فسأله مع علمه بقدرة الله ، واستبعده لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو شاب ، وأجيب وهو شيخ ، ولذلك استبعده (كذلك الله يفعل ما يشاء) أى مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة ، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لذكرا ، واسم الله مرفوع بالابتداء ، أو كذلك خبره فيجب وصله معه ، وقيل الخبر يفعل الله ما يشاء ويحتمل كذلك على هذا وجهين : أحدهما أن يكون فى موضع الحال من فاعل يفعل ، والآخر أن يكون فى موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك ، أو أنتما كذلك ، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام ، وارتباط قوله يفعل ما يشاء مع ما قبله ولأنه نظائر كثيرة فى القرآن منها قوله كذلك أخذ ربك (اجعل لى آية) أى علامة على حمل المرأة (آيتك ألا تكلم الناس) أى علامتك أن لا تقدر على كلام الناس (ثلاثة أيام) بمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء الكلام بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر (الإله زاء) إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما ، فهو استثناء منقطع (بالعشى) من زوال الشمس إلى غروبها ، والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى (وإذ قالت الملائكة) اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة والعامل فى إذ مضمرة (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك (وطهرك) من كل عيب فى خلق وخلق ودين (واصطفاك على نساء العالمين) يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب ، فيكون على نساء العالمين عاما ، أو يكون الاصطفاء عاما فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة ، أو يكون المعنى على نساء

مَعَ الرَّا كَعِينِ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْهُمْ آيَهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ  
وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۗ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ  
مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ الْمُقَرَّبِينَ ۗ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمَنْ الصَّالِحِينَ ۗ قَالَتْ رَبِّ  
أَنَّى يُكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ ۗ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۗ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ  
مِّنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

زمانها؛ وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق، وقيل إنها كانت نية لتسليم الملائكة لها (افتى) القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة، وقيل طول القيام في الصلاة وهو قول الأكثرين (واسجدى واركمى) أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئة الصلاة وأركانها، ثم قيل لها اركعى مع الرا كعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين، أو في الجماعة فلا يقتضى الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع، لأنه لم يرد الركوع والسجود المنضمين في ركعة واحدة، وقيل أراد ذلك، وقدم السجود لأن الواو لا ترتب، ويحتمل أن تكون الصلاة في ملتهم بتقديم السجود على الركوع (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من القصص وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (ما كنت لديهم) احتجاجا على نبوته صلى الله عليه وسلم لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم (يلقون أقلامهم) أى أزالهم، وهى قداحهم، وقيل الأقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اقرعوا بها على كفاة مريم، حرصا عليها وتنافساً في كفالتها، وتدل الآية على جواز القرعة، وقد ثبت أيضا من السنة (أيهم يكفل مريم) مبتدأ وخبر في موضع نصب بفعل تقديره ينظرون أيهم (يختصمون) يختلفون فيمن يكفلها منهم (إذ قالت الملائكة) إذ بدل من إذ قالت، أو من إذ يختصمون، والعامل فيه مضمرة (اسمه) أعاد الضمير المذكر على الكلمة، لأن المسمى بها ذكر (المسيح) قيل هو مشتق من ساح في الأرض، فوزنه مفعول، وقال الأكثرون من مسح لأنه مسح بالبركة فوزنه فاعل وإنما قال عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لينسبه إليها، إعلاما بأنه يولد من غير والد (وجيها) نصب على الحال، ووجهته في الدنيا النبوة والتقديم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة (في المهدي) في موضع الحال، (ركهلا) عطف عليه، والمعنى أنه يكلم الناس صغيرا آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود، وتدل على نبوته، ويكلمهم أيضا كبيرا ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة، وأوله ثلاث وثلاثون سنة وقيل أربعون (ويعلمه) عطف على يبشرك أو ويكلم (الكتاب) هنا جنس، وقيل الخط باليد، والحكمة هنا العلوم الدينية، أو الإصابة في القول والفعل (ورسولا) حال معطوف على ويعلمه إذ التقدير ومعلما الكتاب أو يضمه فعل تقديره أرسل رسولا أو جاء رسولا (إلى بنى إسرائيل) أى أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبينا لحكم التوراة (أنى) تقديره بأنى (أخلق) بفتح الهمزة بدل من أنى الأولى، أو من آية وبكسرهما ابتداء كلام (فأنفخ فيه) ذكر هنا الضمير لأنه يعود على الطين، أو على الكاف من كهية، وأنث في

وَأُحْيِيَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا \* إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ \* فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ \* رَبَّنَا ءَأَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ \* وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۚ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمَطُورِكَ مِمَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا

المائدة لأنه يعود على الهيئة (فيكون طيرا) قيل إنه لم يخلق غير الخفاش ، وقرئ طيرا بياه سا كمة على الجمع ، وبالالف وهمزة على الأفراد ، ذكر بإذن الله : رفاعلوه من توهم في عيسى الربوبية ( وأبرئ ) روى أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصاء فيدعو لهم فيرؤن ( وأحيى الموتى ) روى أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه ، وروى أنه أحيى سام بن نوح ( وأنبئكم ) كان يقول يا فلان أكلت كذا وادخرت في بيتك كذا ( ومصدقا ) عطف على رسولا أو على موضع آية من ربكم ، لأنه في موضع الحال ، وهو أحسن لأنه من جملة كلام عيسى بالتقدير : جئتكم بآية من ربكم ، وجئتكم بمصدقا ( ولأحل لكم ) عطف على آية من ربكم ، وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الإبر وأشياء من الحيتان والطيور فأحل لهم عيسى بعض ذلك ( إن الله ربي وربكم ) رد على من نسب الربوبية لعيسى وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله ( صراط مستقيم ) وابتدأه من قوله أني قد جئتكم ، وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم ، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سيقوله ، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استؤنف الكلام من قوله ورسولا ، على تقدير جاء عيسى رسولا : بأنني قد جئتكم بآية من ربكم ، ثم استمر كلامه إلى آخره ( فلما أحس عيسى ) أي علم علما ظاهرا كعلم ما يدرك بالحواس ( من أنصاري ) طلب للضرورة ، والأنصار جمع ناصر ( إلى الله ) تقديره من يضيف أنفسهم في نصرتي إلى الله فلذلك قيل إلى هنا بمعنى مع أو يتعلق بمحذوف تقديره ذاهبا أو ملتجئا إلى الله ( الحواريون ) حوارى الرجل صفوته وخاصته ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وإن حوارى الزبير ، وقيل إن الحواريين كانوا قصارين يحورون الثياب ، أى يبيضونها ولذلك سماهم الحواريين ( بما أنزلت ) يريدون الإنجيل ، والرسول هنا عيسى عليه السلام ( مع الشاهدين ) أى مع الذين يشهدون بالحق من الأمم ، وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس ( ومكروا ) الضير لكيفار بنى إسرائيل ومكروهم أنهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة ( ومكروا ) أى رفع عيسى إلى السماء ، وأتى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضا منه ، وعبر عن فعل الله بالمكر مشا كله لقوله مكروا ( والله خير الماكرين ) أى أقوام وهو فاعل ذلك بحق ، والماكر من البشر فاعل بالباطل ( إذ قال الله ) العامل فيه فعل مضمر ، أو يمكر ( إنى متوفيك ) قيل وفاة موت ، ثم أحياء الله في السماء ، وقيل رفع حيا ، ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال ، وقيل يعنى وفاة نوم ؛ وقيل المعنى قابضك من الأرض إلى السماء

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ \* فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من نصيرين \* وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ \* ذَلِكَ تَلَوَهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ \* إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ \* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ \* فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُو الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ \* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آرِبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* هَاتِمٌ هَسْؤُلَاءَ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

(ورافعك إلى) أي إلى السماء (ومطهرك) أي من سوء جوارهم (الذين اتبعوك) هم المسلمون، وعلوم على الكفرة بالحجة وبالسيف في غالب الأمر وقيل الذين اتبعوك النصارى، والذين كفروا اليهود، فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود وإذلالهم لهم (ذلك تلوه) إشارة إلى ماتقدم من الأخبار (من الآيات) المتساوات أو المعجزات (الذکر) القرآن (الحكيم) الناطق بالحكمة (إن مثل عيسى) الآية حجة على النصارى في قولهم: كيف يكون ابن دون أب، فثله الله بآدم الذي خلقه الله دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعده، فهو أقطع لقولهم (خلقه من تراب) تفسير لحال آدم فيكون حكاية عن حال ماضية، والأصل لو قال خلقه من تراب، ثم قال له كن فكان، ولكنه وضع المضارع موضع الماضي ليصور في نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم (الحق) خبر مبتدأ مضمرة (فن حاجك فيه) أي في عيسى، وكان الذي حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد، والآخر العاقب (نبتل) نلتعن والبهلة اللعنة أي نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم، هذا أصل الابتهاال؛ ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة، ولما نزلت الآية أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعة تخافوا أن يهلكهم الله أو يسخمهم الله قرده وخنزير، فأبوا من الملاعة وأعطوا الجزية (قل يا أهل الكتاب) خطاب لنصارى نجران، وقيل اليهود (سواء) أي عدل ونصف (أن لا نعبد) بدل من كلمة أوقف على تقدير هي، ودعاهم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى توحيد الله وترك ما عبده من دونه كالمسيح والأخبار والرهبان (لم تحاجون في إبراهيم) قالت اليهود كان إبراهيم يهودياً وقالت النصارى: كان نصرانياً، فنزلت الآية رداً عليهم لأن ملة اليهود والنصارى

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \*  
 إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ \* وَدَّت طَائِفَةٌ مِّنْ  
 أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* يَسْأَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ  
 اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ \* يَسْأَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* وَقَالَتْ  
 طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ  
 يَرْجِعُونَ \* وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ أَلْهَىٰ اللَّهُ الْهُدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ أَن يُوْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتَيْتُمْ أَوْ  
 يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ

إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة (هاأنتم) ها تفييه ، وقيل بدل من همزة الاستفهام ، وأنتم مبتدأ وهؤلاء  
 خبره وحاجتكم استفانف ؛ أو هؤلاء منصوب على التخصيص وحاجتكم الخبر (فيما لكم به علم) فيما نطقت به  
 التوراة والإنجيل (فيما ليس لكم به علم) ما تقدم على ذلك من حال إبراهيم (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا)  
 رد على اليهود والنصارى (وما كان من المشركين) نفي للاشتراك الذي هو عبادة الأوثان ، ودخل في ذلك  
 الإشراك الذي يتضمن دين اليهود والنصارى (وهذا النبي) عطف على الذين اتبعوه : أي محمد صلى الله عليه وسلم  
 (أولى الناس بإبراهيم) لأنه على دينه (والذين آمنوا) أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ودت طائفة) هم اليهود ، دعوا  
 حذيفة وعمارا ومعازا إلى اليهودية (وما يضلون إلا أنفسهم) أي لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم (وأنتم تشهدون)  
 أي تعلمون أن محمد صلى الله عليه وسلم نبي (لم تلبسون الحق) أي تخلطون والحق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم  
 والباطل الكفر به (آمنوا بالذي أنزل) كان قوم من اليهود لعنهم الله أظهروا الإسلام أول النهار ، ثم كفروا  
 آخره ليخدعوا المسلمين فيقولوا ما رجع هؤلاء إلا عن علم ، وقال السهيلي : إن هذه الطائفة هم عبد الله بن  
 الصيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) يحتمل أن يكون من تمام الكلام  
 الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله متصلا بقوله : إن الهدى هدى الله وأن يكون من كلام أهل الكتاب  
 فيكون متصلا بقولهم : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ويكون إن الهدى اعتراضا بين الكلامين ، فعلى الأول  
 يكون المعنى : كراهية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وقلتم ما قلتم ، ودبرتم ما دبرتم من الخداع ، فوضع أن يؤتى  
 مفعول من أجله ، أو منصوب بفعل مضمر تقديره فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب  
 والنبوة ، وعلى الثاني فيكون المعنى . لا تؤمنوا أي لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (إلا لمن تبع دينكم)  
 واكتموا ذلك على من لم يتبع دينكم لتلايدعوهم إلى الإسلام ، فوضع أن يؤتى مفعول بتؤمنوا المضمن  
 معنى تقروا ، ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله : أي لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهية أن يؤتى  
 أحد مثل ما أوتيتم (أويحاجوكم) عطف على أن يؤتى ، وضمير الفاعل للمسلمين ، وضمير المفعول لليهود (إن  
 الفضل بيد الله) رد على اليهود في قولهم : لم يؤت أحد مثل ما أوتى بنو إسرائيل من النبوة والشرف (ومن

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ \* وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ  
لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ فَأَمَّا ذَلِكَ بَأْنَهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِينِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ  
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ \* إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ  
وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ اسْتَكْرَهْتُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ  
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ  
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ  
يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ  
بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ \* وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا  
أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ \* وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

أهل الكتاب ( الآيه : إخبار أن أهل الكتاب على قسمين : أمين ، وخائن . وذكر القنطار مثالا للكثير  
فن أذاه : أدى مادونه ، وذكر الدنيا مثالا للقليل ، فمن منعه منع مافوقه بطريق الأولى (فأما) يحتسب أن  
أن يكون من القيام الحقيقي بالجسد ، أو من القيام بالأمر ، وهو العزيمة عليه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى خيانتهم  
والباه للتعليق (ليس علينا) زعموا بأن أموال الأتمين ، وهم العرب : حلال لهم (الكذب) هنا قولهم ، إن الله أحلها  
عليهم في التوراة أو كذبهم على الإطلاق (بلى) عليهم سبيل وتباعة في أموال الأتمين (بعهده) الضمير يعود على من  
أو على الله (إن الذين يشترون) الآية : قيل نزلت في اليهود لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا ،  
وقيل نزلت بسبب خصومة بين الأشعث من قيس وآخر ، فأراد خصمه أن يحلف كاذبا (وإن منهم) الضمير  
عائد على أهل الكتاب (يلوون ألسنتهم) أي يحرفون اللفظ أو المعنى (لتحسبوه) الضمير يعود على ما دل  
عليه قوله يلوون ألسنتهم ، وهو الكلام محرف (ما كان لبشر) الآية : هذا النقي متسلط على (ثم يقول للناس)  
والمعنى لا يدعى الربوبية من آتاه الله النبوة ، والإشارة إلى عيسى عليه السلام رد على النصارى الذين قالوا  
إنه الله ، وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن اليهود قالوا له يا محمد : تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى  
عيسى فقال معاذ الله ما بذلك أمرت ولا إليه دعوت (ربانيين) جمع رباني ، وهو العالم ، وقيل الرباني الذي يربى الناس  
بصغار العلم قبل كباره (بما كنتم) الباء سببية وما مصدرية (تعلمون) بالتخفيف تعرفون . وقرئ بالتشديد من التعليم  
(ولا يأمركم) بالرفع استئناف ، والفاعل الله أو البشر المذكور ، وقرئ بالنصب عطف على أن يؤتية أو على  
ثم يقول ، والفاعل على هذا البشر (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) معنى الآية أن الله أخذ العهد والميثاق على كل  
نبي أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وينصره إن أدركه ، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم  
الأنبياء ، واللام في قوله (لما آتيتكم) لام التوطئة ، لأن أخذ الميثاق في معنى الاستخلاف ، واللام في لتؤمن

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّمَّا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا  
 أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ \* فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ  
 يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ \* قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا  
 وَمَا أُنزِلَ عَلَيَّ إِلَّا بَرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ  
 رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ  
 مِنَ الْخَاسِرِينَ \* كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ  
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* خَلَدِينَ فِيهَا  
 لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* إِنَّ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

جواب القسم ، وما يحتمل أن تكون شرطية ، ولتؤمنن ستمسند جواب القسم والشرط . وأن تكون  
 موصولة بمعنى الذي آتيناكموه (لتؤمنن به) والضمير في به ولتنصرنه عائد على الرسول (ماقررتم) أي اعترقم  
 (إصري) عهدي (فاشهدوا) أي على أنفسكم وعلى أعمكم بالتزام هذا العهد (وأنا معكم) تأكيد للعهد بشهادة  
 رب العزة جل جلاله (بعد ذلك) أي من تولى عن الإيمان بهذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا  
 الميثاق فهو فاسق مرتد متمردي كفره (أفغير) الهزيمة الإنكار ، والفاء عطفت جملة على جملة ، وغير مفعول قدم  
 للاهتمام به أو للحصر (وله أسلم) أي انقاد واستسلم (طوعا وكرها) مصدر صدر في موضع الحال ، والطوع للتؤمنين  
 والكره للكافر إذا عاين الموت ، وقيل عند أخذ الميثاق المتقدم ، وقيل إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها  
 (قل آمنا) أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته بالإيمان (وما أنزل علينا) تعدى هنا  
 بعلى مناسبة لقوله قل ، وفي البقرة إلى لقوله قولوا . لأن على حرف استعلاء يقتضى النزول من علو . ونزوله  
 على هذا المعنى مختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . وإلى حرف غاية وهو موصل إلى جميع الأمة (ومن  
 يبتغ) الآية : إبطال لجميع الأديان غير الإسلام ، وقيل نسخت : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الآية  
 (كيف) سؤال والمراد به هنا استبعاد الهدى (قوما كفروا) نزلت في الحرث بن سويد وغيره أسلموا ثم  
 ارتدوا ولحقوا بالكفار ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة ؟ فنزلت الآية إلى قوله : إلا الذين تابوا ، فرجعوا  
 إلى الإسلام ؛ وقيل نزلت في اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآمنوا به ثم  
 كفروا به لما بعث ، وشهدوا عطف على إيمانهم ، لأن معناه بعد أن آمنوا ، وقيل الواو للحال ، وقال ابن  
 عطية . عطف على كفروا الواو لاترتب (والناس أجمعين) عموم بمعنى الخصوص في المؤمنين أو على عمومه  
 وتكون اللعنة في الآخرة (خالدين فيها) الضمير عائد على اللعنة ، وقيل على النار وإن لم تكن ذكرت ؛ لأن المعنى

وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ  
 مِنْ تَصْرِيحٍ \* لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ \* كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ  
 حَلَائِلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتَوْأَمَهُم بِاللَّهِ فَاتْلُوهَا  
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَمَنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* قُلْ صَدَقَ اللَّهُ  
 فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

يقتضيا (ثم ازدادوا كفرا) قيل هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم به؛ وسمى، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم  
 بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه، ثم  
 ازدادوا كفرا بعد اتونهم له وطعنهم عليه؛ وقيل هم الذين ارتدوا (لن تقبل توبتهم) قيل ذلك عبارة عن موتهم  
 على الكفر: أى ليس لهم توبة فتقبل، وذلك فى قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر، وقيل لن تقبل توبتهم  
 مع إقامتهم على الكفر، فذلك عام (فلن يقبل من أحدهم ملء) جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر.  
 والواو فى قوله: ولو افتدى به، قيل زائدة وقيل للعطف على محذوف، كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو تصدق به (ولو  
 افتدى به) وقيل نفي أو لا القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خص الفدية بالنفي كقولك: أنا لأفعل كذا أصلا ولورغبت  
 إلى (لن تنالوا البر) أى لن تكونوا من الأبرار ولن تنالوا البر الكامل (حتى تنفقوا مما تحبون) من أموالكم ولما  
 نزلت قال أبو طلحة إن أحب أموالى إلى بئرحاء، وإنها صدقة، وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول إنى لأحبه  
 (كل الطعام) الآية إخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبني إسرائيل (إلا ما حرم إسرائيل) أبوهم (على نفسه)  
 وهو لحم الإبل ولبنها ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم، وفيها  
 رد عليهم فى قولهم إنهم على ملة إبراهيم عليه السلام وأن الأشياء التى هى محرمة كانت محرمة على إبراهيم،  
 وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها، خلافا لليهود فى قولهم إن  
 النسخ محال على هذه الأشياء، وفيها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد وسبب  
 تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه أنه مرض فنذر إن شفاه الله. أن يحرم أحب الطعام إليه شكرا لله وتقربا  
 إليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز الأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم (فاتوا بالتوراة) تعجيزا لليهود،  
 وإقامة حجة عليهم، وروى أنهم لم يحسروا على إخراج التوراة (فمن افترى) أى من زعم بعد هذا البيان أن  
 الشحم وغيره كان محرما على بنى إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل (صدق الله) أى الأمر  
 كما وصف لا كما تكذبون أنتم ففيه تعريض بكذبهم (فاتبعوا ملة إبراهيم) لإلزام لهم أن يسلبوا كما ثبت  
 أن ملة الإسلام هى ملة إبراهيم التى لم يحرم فيها شيء مما هو محرم عليهم (إن أول بيت) أى أول مسجد بنى  
 فى الأرض، وقد سأل أبو ذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أى مسجد بنى أول؟ قال: المسجد الحرام،  
 ثم بيت المقدس، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: المعنى أنه أول بيت وضع مباركاً وهدى وقد كانت  
 قبله بيوتا (ببكة) قيل هى مكة والباء بدل من الميم، وقيل مكة الحرم كله، وبكة المسجد وما حوله (مباركا)

لِّلْعَلَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ  
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ \* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ  
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ \* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا  
اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ  
كُفْرِينَ \* وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ

نصب على الحال والعامل فيه على قول عليّ وضع (مباركا) على أنه حال من الضمير الذي فيه وعلى القول الأول هو حال من الضمير المجرور والعامل فيه العامل المجرور من معنى الاستقرار (فيه آيات بينات) آيات البيت كثيرة، منها الحجر الذي هو مقام إبراهيم وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى أكمل البناء، وغرقت قدم إبراهيم في الحجر كأنها في طين، وذلك الأثر باق إلى اليوم، ومنها أن الطيور لا تعلقه، ومنها إهلاك أصحاب الفيل، ورد الجبارة عنه ونبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه وحفر عبد المطلب بعدد ثورها وأن ماؤها ينفع لما شرب له إلى غير ذلك (مقام إبراهيم) قيل إنه بدل من الآيات أو عطف بيان، وإنما جاز بدل الواحد من الجمع لأن المقام يحتوى على آيات كثيرة لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك، وقيل الآيات: مقام إبراهيم، وأمن من دخله، فعلى هذا يكون قوله ومن دخله عطفًا، وعلى الأول استئنافًا، وقيل التقدير منهن مقام إبراهيم، فهو على هذا مبتدأ، والمقام هو الحجر المذكور، وقيل البيت كله، وقيل مكة كلها (كان آمنًا) أى آمنًا من العذاب، فإنه كان في الجاهلية إذ فعل أحد جريمة ثم لجأ إلى البيت لا يطلب، ولا يعاقب، فأما في الإسلام فإن الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص، وقال ابن عباس وأبو حنيفة ذلك الحكم باق في الإسلام إلا أن من وجب عليه حد أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج وقيل آمنًا من النار (حج البيت) بيان لوجوب الحج واختلف هل هو على الفور أو على التراخي، وفي الآية ردّ على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه (من استطاع) بدل من الناس، وقيل فاعل بالمصدر، وهو حج؛ وقيل شرط مبتدأ: أى من استطاع فعليه الحج؛ والاستطاعة عند مالك هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن إمارا جلا وإمارا كبا مع الزاد المبالغ والطريق الآمن وقيل الاستطاعة الزاد والراحلة، وهو مذهب الشافعي وعبد الملك بن حبيب وروى في ذلك حديث ضعيف (ومن كفر) قيل المعنى من لم يحج، وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من ترك الصلاة فقد كفر، وقيل أراد اليهود لأنهم لا يحجون، وقيل من زعم أن الحج ليس بواجب (لم تكفرون) تويخ لليهود (لم تصدّون) تويخ أيضا. وكانوا يمنعون الناس من الإسلام ويرومون فتنه المسلمين عن دينهم (سبيل الله) هنا الإسلام (تبغونها عوجا) الضمير يعود على السبيل أى تطلبون لها الاعوجاج (وأنتم تشهدون) أى تشهدون أن الإسلام حق (إن تطيعوا فريقا) الآية: لفظها عام والخطاب الأوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنهم (وكيف

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَاَتِمُّوْا اِيْمَانَكُمْ ۝ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيْعًا وَلَا تَفَرَّقُوْا وَاذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ كُنْتُمْ اَعْدَآءًا ۝ فَآلَفَ بَيْنَ قُلُوْبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ اللّٰهِ اِخْوَانًا وَاَنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَاَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذٰلِكَ يَبِيْنُ اللّٰهُ لَكُمْ ءَايٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ ۝ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُوْنَ اِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمَفْلُوْحُوْنَ ۝ وَلَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ تَفَرَّقُوْا وَاخْتَلَفُوْا مِنْۢ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنٰتُ وَاُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ۝ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوْهُ وَتَسْوَدُّ وُجُوْهُ فَاَمَّا الَّذِيْنَ اَسْوَدَتْ وُجُوْهُهُمْ اُكْفِرْتُمْ بَعْدَ اِيْمَانِكُمْ فَذُقُوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ ۝ وَاَمَّا الَّذِيْنَ اَبْيَضَتْ وُجُوْهُهُمْ فِى رَحْمَةِ اللّٰهِ هُمُ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۝ تِلْكَ ءَايٰتُ اللّٰهِ نَتْلُوْهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّٰهُ يُرِيْدُ ظُلْمًا لِّلْعٰلَمِيْنَ ۝ وَاللّٰهُ مٰفِى السَّمٰوٰتِ وَمٰفِى الْاَرْضِ وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُوْرُ ۝ كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُوْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَلَوْ ءَاْمَنَ اَهْلُ الْكِتٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ

تكفرون) إنكار واستبعاد (حق تقاته) قيل نسخها ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وقيل لانسخ إذ لا تعارض فإن العباد أمروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا تحرزا من الإكراه وشبهه (واعتصموا بحبل الله) أى تمسكوا ، والحبل هنا مستعار من الحبل الذى تشد عليه اليد ، والمراد به هنا القرآن ، وقيل الجماعة (ولا تفرقوا) نهى عن التدابر والتقاطع ، إذ قد كان الأوس هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم ، ويحتمل أن يكون نهيا عن التفرق فى أصول الدين ولا يدخل فى النهى الاختلاف فى الفروع (إذ كنتم أعداء) كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله بالإسلام (شفا حفرة) أى حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التى تقودهم إلى النار (ولتكن منكم أمة) الآية: دليل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب ، وقوله منكم: دليل على أنه فرض كفاية لأن من للتبعض ، وقيل لأنها لبيان الجنس ، وأن المعنى كونوا أمة وتغيير المنكر يكون باليد وباللسان وبالقلب ، على حسب الأحوال (كالذين تفرقوا) هم اليهود والنصارى نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم ، وورد فى الحديث أنه عليه السلام قال: افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، قيل ومن تلك الواحدة؟ قال: من كان على ما أنا وأصحابى عليه (يوم تبيض وجوه) العامل فيه محذوف وقيل عذاب عظيم (أكفرتم بعد إيمانكم) أى يقال لهم أكفرتم والخطاب لمن ارتد عن الإسلام وقيل للخوارج ، وقيل لليهود لأنهم آمنوا بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة فى التوراة ثم كفروا به لمابعث (كنتم خير أمة) كان هناهى التى تقتضى الدوام كقوله وكان الله غفورا رحيما ، وقيل كنتم فى علم الله ، وقيل كنتم فيما وصفتم به فى الكتب المتقدمة ، وقيل كنتم بمعنى

مَنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ \* لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَإِنْ يَقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ \*  
 ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَنْ مَا نَفَقُوا إِلَّا بِحِيلٍ مِنَ اللَّهِ وَحِيلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ ۖ وَابْغَضَ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ  
 الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بَأَيَّتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
 يَعْتَدُونَ \* لَيْسُوا سَوَاءً \* مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ \*  
 يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسِرُّوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ  
 مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ  
 أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صَارَ صَابِتٌ حَرْتٌ قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتُهُمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ \*  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ  
 أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ \* هَٰئِنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ

أتم ، والخطاب لجميع المؤمنين ، وقيل للصحابة خاصة ( لن يضرركم إلا أذى ) أى بالكلام خاصة وهو أهون  
 المضرة ( يولوكم الأدبار ) إخبار بغيب ظهر في الوجود صدقه ( ثم لا ينصرون ) إخبار مستأنف غير معطوف  
 على يولوكم ، وفائدة ذلك أن توليهم الأدبار مقيد بوقت القتال ، وعدم النصر على الإطلاق ، وعطفت الجملة  
 على جملة الشرط والجزاء ، وتم لترتيب الأحوال لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم  
 الأدبار حين القتال ( إلا بحيل من الله ) الحيل هنا العهد والذمة ( ليسوا سواء ) أى ليس أهل الكتاب مستويين  
 في دينهم ( أمة قائمة ) أى قائمة بالحق ، وذلك فيمن أسلم من اليهود : كعبدالله بن سلام ، وثعلبة بن سعيد وأخيه  
 أسد وغيرهم ( وهم يسجدون ) يدل أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة ( فلن تكفروه ) أى لن تحرموا ثوابه ( مثل  
 ما ينفقون ) الآية : تشبيهه لنفقة الكافرين بزرع أهلكته ربح باردة فلن ينتفع به أصحابه فكذلك لا ينتفع  
 الكفار بما ينفقون وفي الكلام حذف تقديره : مثل ما ينفقون كمثل مهلك ربح أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك  
 ربح وإنما احتيج لهذا لأن ما ينفقون ليس تشبيها بالربح إنما هو تشبيه بالزرع الذى أهلكته الربح ( صر ) أى برد  
 ( حرث قوم ظلموا أنفسهم ) أى عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم ( وما ظلمهم الله ) الضمير للكفار ، أو المنافقين ،  
 أو لأصحاب الحرث ، والأول أرجح ، لأن قوله أنفسهم يظلمون فعل حال يدل على أنه للحاضرين ( بطانة من  
 دونكم ) أى أولياء من غيركم فالمعنى نهى عن استخلاص الكفار وموالاتهم وقيل لعمر رضى الله عنه إن هنا  
 رجلا من النصارى لا أحد أحسن خطامته ، أفلا يكتب عنك : قال إذا اتخذ بطانة من دون المؤمنين ( لا يألونكم  
 خبالا ) أى لا يقصرون في إفسادكم ، والخبال الفساد ( ودوا ما عنتم ) أى تمنوا مضرركم ، وما صدريه وهذه

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لُفُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ إِلَّا نَمَلٌ مِّنَ الْغِيظِ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ  
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ إِنَّ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا  
 لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِيَالِ وَاللَّهُ  
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ  
 اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ  
 آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ۝ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ  
 آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا لِلَّهِ عِنْدَ

الجملة والتي قبلها صفة للبطانة أو استئناف (وتؤمنون بالكتاب كله) أي بكل كتاب أنزله الله واليهود لا يؤمنون  
 بقرآنكم (عصوا عليكم إلا نمل من الغيظ) عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، والإنامل جمع  
 أملة بضم الميم وفتحها (موتوا بغيظكم) تفرغ وإغاظة، وقيل دعاء (إن تمسكم حسنة) الحسنة هنا: الخيرات  
 من النصر والرزق وغير ذلك، والسبئية ضدها (لا يضركم) من الضير بمعنى الضر (وإذ غدوت من أهلك)  
 نزلت في غزوة أحد، وكان غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال صبيحة يوم السبت وخرج من المدينة  
 يوم الجمعة بعد الصلاة وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة (تبوء المؤمنون) نزلهم وذلك يوم السبت حين حضر  
 القتال، وقيل ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة، وذلك ضعيف لأنه لا يقال غدوت فيما بعد  
 الزوال إلا على المجاز، وقيل ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف لأنه لم يبوئ حينئذ  
 مقاعد للقتال إلا أن يراد أنه بؤهم بالتدبير حين المشاورة (مقاعد) مواضع وهو جمع مقعد (طائفتان منكم) هم  
 بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، لما رأوا كثرة المشركين وقلة المؤمنين هموا بالانصراف  
 فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن تفشلا) الفشل في البدن هو الإعياء، والفشل  
 في الرأي هو العجز والحيرة وفساد العزم (والله وليهما) أي مثبتهما، وقال جابر بن عبد الله ما ودنا أنها لم تنزل  
 لقوله والله وليهما (ولقد نصركم الله بيدر) تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم (وأنتم أذلة) الذلة  
 هي قلة عددهم وضعف عددهم كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ولم يكن لهم إلا فرس واحد وكان  
 المشركون ما بين التسعمائة والآلاف، وكان معهم مائة فرس ققتل من المشركين سبعون وأسر منهم سبعون  
 وانهمز سائرهم (لعلكم تشكرون) متعلق بنصركم أو باتقوا؛ والاول أظهر (إذ تقول للمؤمنين)  
 كان هذا القول يوم بدر، وقيل يوم أحد، فالعامل في إذ على الأول محذوف، وعلى الثاني بدل من إذ  
 غدوت (ألن يكفيكم) تقرير جوابه بلى، وإنما جابوب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله قل من رب  
 السموات والأرض قل الله، (ويأتوكم من فورهم) الضمير للمشركين، والفور السرعة: أي من ساعتهم وقيل  
 المعنى من سفرهم (بخمسة آلاف) بأكثر من العدد الذي يكفيكم ليزيد ذلك في قوتكم فإن كان هذا يوم

اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ \* لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ \* وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ \* وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ \* وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ \* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ \* وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُلُومِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \* وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمِن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* أُولَٰئِكَ جَزَاءُ وَّهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ \* هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ \* وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ \* إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ

بدر، فقد قالت فيه الملائكة وإن كان يوم أحد فقد شرط في قوله: إن تصبروا وتتقوا، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة (مسومين) بفتح الواو وكسرها أي معدين، أو معلين أنفسهم أو خيلهم، وكانت سبب الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء، وقيل كانت عمائمهم صفراء، وكانت خيلهم مجزوزة الأذنان وقيل كانوا على خيل بلق (وما جعله) الضمير عائد على الإنزال، أو الإمداد (ولتطمئن) معطوف على بشرى لأن هذا الفعل يتاويل المصدر، وقيل يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جملة (ليقطع) يتعلق بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر (ليس لك من الأمر شيء) جملة اعتراضية بين المعطوفين ونزلت لمساعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم (أو يتوب عليهم) معناه يسلمون (أضعافا مضاعفة) كانوا يزيدون كل ما حل عاما بعد عام (سارعوا) بغير واو استئناف، وبالواو عطف على ما تقدم (إلى مغفرة) أي إلى الأعمال متى تستحقون بها المغفرة (عرضها) قال ابن عباس: تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله: وقيل ليس العرض هنا خلاف الطول وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض (في السراء والضراء) في العسر واليسر (وهم يعلمون) حذف مفعوله وتقديره وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا (قد خلت من قبلكم سنن) خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم وقيل للكافرين تخويفا لهم (فانظروا) من نظر العين عند الجمهور وقيل هو بالفكر (ولاتهنوا) تقوية لقلوب المؤمنين (وأتمم الاعلون) إخبار بملوكة الإسلام (إن يمسسكم قرح) الآية معناها إن مسكم قتل أو جراح في أحد فقد مس الكفار مثله في بدر، وقيل قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه فإنهم

مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۗ  
 وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ \* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا  
 مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ \* وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ \* وَمَا  
 مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ  
 فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۗ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ  
 يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ \* وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ  
 مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ \* وَمَا

نالوا منكم ونلتهم منهم وذلك تسلية للمؤمنين بالتأسي ( نداولها ) تسلية أيضا عما جرى يوم أحد ( وليعلم )  
 متعلق بمحذوف تقديره أصابكم ما أصابهم يوم أحد ليعلم والمعنى ليعلم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة  
 (شهداء) من قتل من المسلمين يوم أحد (وليمحص الله) أى يظهر ، وقيل يميز ، وهو مقطوف على ما تقدم  
 من التعليقات لقصة أحد ، والمعنى أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين وأن نصر المؤمنين  
 على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين أى يهلكهم ( أم حسبتم ) أم هنا منقطعة مقدره بيل والهمزة  
 عند سيوبه ، وهذه الآية وما بعدها معاتبه لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أحد (تمنون الموت)  
 خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر فتمنوا حضور قتال الكفار مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليستدرکوا  
 ما فاتهم من الجهاد فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت ، وقيل إنما تمنوا الشهادة فى سبيل الله  
 (وما محمد إلا رسول) المعنى أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول كسائر الرسل قد بلغ الرسالة كما بلغوا فيجب  
 عليكم التمسك بدينه فى حياته وبعدهوته وسببها أنه صرخ صارخ يوم أحد . إن محمداً قد مات ، فتزلزل بعض  
 الناس ( أفان مات ) دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء ، ودخلت الفاء لترابط الجملة الشرطية بالجملة التى  
 قبلها والمعنى أن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو قتله لا يقتضى انقلاب أصحابه على  
 أعقابهم ، لأن شريعته قد تقررت وبراهينه قد صحت ، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو  
 مات صلى الله عليه وسلم ، أو قتل وقد علم أنه لا يقتل ولكن ذكر ذلك لمناصرخ به صارخ ووقع فى نفوسهم  
 (الشاكرين) قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : الثابتون على دينهم ( كتابا مؤجلا ) نصب على المصدر لأن  
 المعنى كتب الموت كتابا ، وقال ابن عطية نصب على التمييز (نؤته منها) فى ثواب الدنيا ، مقيد بالمشيئة بدليل  
 قوله سبحانه له فيها ما نشاء لمن نريد (وكأين من نبي قتل) الفعل مسند إلى ضمير النبي ومعه ربيون على هذا فى  
 موضع الحال ، وقيل إنه مسند إلى الربيين ، فيكون ربيون على هذا مفعولا لما لم يسم فاعله فعلى الأول  
 يوقف على قوله قتل ، و يترجح الأول : بما صرخ به المناصرخ يوم أحد : إن محمداً قد مات ، ف ضرب لهم المثل  
 بنبي قتل ، و يترجح الثانى بأنه لم يقتل قط نبي فى محاربة ( ربيون ) علماء مثل ربانيين ، وقيل جموع كثيرة ( فما

كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الْكَافِرِينَ \* فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْثُوكُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ فَتَقَلُّبُوا خَسِرِينَ \* بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ \*  
سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى  
الظَّالِمِينَ \* وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسِنْتُمْ إِذْ تَحْسِنْتُمْ يَا ذَهَبَ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ  
بَعْدِ مَا آرَأَيْتُمْ مَا يُحِبُّونَ مِنْكُمْ مِّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ  
عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ \* إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ

وهنوا) الضمير لريون على إسناد القتل للنبي ، وهو لم يق منهم على إسناد القتل إليهم (وما استكانوا) أى لم  
يذلوا للكفار قال بعض النحاة : الاستكان مشتق من السكون ، ووزنه افتعلوا مطلت فتحة الكاف فحدث  
عن مطلقها ألف وذلك كالإشباع ، وقيل إنه من كان يكون ، فوزنه استفعلوا ، وقوله تعالى فما وهنوا ما بعده :  
تعريض لما صدر من بعض الناس يوم أحد ( وثبت أقدامنا) أى فى الحرب (ثواب الدنيا) النصر (ثواب الآخرة) الجنة  
(إن تطيعوا الذين كفروا) هم المنافقون الذين قالوا فى قضية أحدهما قالوا ، وقيل مشركوا قريش وقيل اليهود (الرعب)  
قيل ألقى الله الرعب فى قلوب المشركين بأحد فرجعوا إلى مكة من غير سبب ، وقيل لما كانوا ببعض الطريق  
هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، فأمسكوا ، والآية تتناول جميع الكفار  
لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : نصرت بالرعب (ولقد صدقكم الله وعده) كان رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم قد وعد المسلمين عن الله بالنصر فصرهم الله أولا ، وانهمز المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا  
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قد أمر الرماة أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا فلما رأوا المشركين  
قد انهزموا طمعوا فى الغنيمة واتبعهم وخالفوا ما أمروا به من الثبوت فى مكانهم فانقلبت الهزيمة على المسلمين  
(إذ تحسنتهم) أى تقتلونهم قتلا ذريعا يعنى فى أول الامر (وتنازعتم) وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم  
كما أمروا ولم يثبت بعضهم (وعصيتهم) أى خالفتم ما أمرتم به من الثبوت ، وجاءت المخاطبة فى هذا لجميع المؤمنين وإن كان  
المخالف بعضهم وعظا للجميع ، وستر على من فعل ذلك وجواب إذ محذوف تقديره : لانهمتم (منكم من يريد الدنيا)  
الذين حرصوا على الغنيمة معه (ليبتليكم) معناه لينزل بكم منازل من القتل والتحصيص (ولقد عفا عنكم) إعلام  
بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم ، فعناه لقد أبقى عليكم ، وقيل هو عفو عن  
الذنب (إذ تصعدون) العامل فى إذ عفا ، فيوصل إذ تصعدون مع ما قبله ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمرة  
(ولا تلون) مبالغة فى صفة الانهزام (والرسول يدعوكم) كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول  
إلى عباد الله وهم يفرون (فى أخراكم) فى سقايتكم وفيه مدح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأخرى هى

فَأْتَبِكُمْ غَمًّا بَغِيًّا لَكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَلَمَّا قُتِلْتُمْ

موقف الأبطال (فأتابكم) أى جازاكم (غما بغيم) قيل أتابكم غما بسبب الغم الذى أدخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين، إذ عصيتم وتنازعتهم، وقيل أتابكم غما بمصلا بغم، وأحد الغمين: ما أصابهم من القتل والجراح والآخر ما أرفج به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (على ما فاتكم) من النصر والغنيمة (ولما أصابكم) من القتل والجراح والانهزام (أمنة نعاسا) قال ابن مسعود: نعسنا يوم أحد، والنعاس فى الحرب أمان من الله (يغشى طائفة منكم) هم المؤمنون المخلصون، غشيم النعاس تأمينالهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان، والمشركون (غير الحق) معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لا ينصرهم، وظن الجاهلية بدل وهو على حذف الموصوف تقديره ظن المودة الجاهلية، أو الفارقة الجاهلية (هل لنا من الأمر من شيء) قالها عبد الله بن أبى بن سلول، والمعنى ليس لنا رأى، ولا يسمع قولنا أولسنا على شيء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرا (يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك) يحتمل أن يريد الأقوال التى قالوها أو الكفر (لو كان لنا من الأمر شيء) قاله معشيب بن قشير، ويحتمل من المعنى ما احتمل قول عبد الله بن أبى (قل لو كنتم فى بيوتكم) الآية: رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله، ولا يؤخر، وأن من كتب عليه القتل لا ينجيه منه شيء (وليبتلى) يتعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلى (إن الذين تولوا) الآية: نزلت فيمن فر يوم أحد (استزلم) أى طلب منهم أن يزلوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم: أى أوقعهم فى الزلل (يبعض ما كسبوا) أى كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها: بأن مكن الشيطان من استزلالهم (عفى الله عنهم) أى غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرار (لا تكونوا كالذين كفروا) أى المنافقين (لإخوانهم) هى أخوة القرابة، لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج وكان أكثر القتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة (إذا ضربوا فى الأرض) أى سافروا وإتما قال إذا التى للاستقبال مع قالوا، لأنه على حكاية الحال الماضية (أو كانوا غزوا) جمع غاز وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين (لو كانوا عندنا) اعتقاد منهم فاسد لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَتَمَّ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٍ مِمَّا يَجْمَعُونَ \* وَلَئِنْ مَتَمَّ أَوْ قَتَلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ \* فَبِمَا  
رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتُمْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ  
فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ \* إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ  
فَنَ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ الْبَيِّنَاتِ بِمَا غَلَّ

قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم ويقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين (ليجعل) متعلق  
بقالوا . أى قالوا ذلك فكان حسرة في قلوبهم فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة (ذلك) إشارة إلى قولهم  
واعتقادهم الفاسد الذى أوجب لهم الحسرة ، لأن الذى يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة (والله  
يحيى ويميت) رد على قولهم واعتقادهم (وأن قتلتم) الآية إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا  
وماتوا في سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا (وأن ممت أو قتلتم) الآية إخبار أن من مات  
أو قتل فإنه يحشر إلى الله (فبما رحمة) ما زائدة للتأكيد لانفضوا أى تفرقوا (فاعف عنهم) فيما يختص بك  
واستغفر لهم فيما يختص بحق الله (وشاورهم) المشاورة مأور بها شرعا ، وإنما يشاور النبي صلى الله  
تعالى عليه وآله وسلم الناس في الرأى في الحروب وغيرها لافى الأحكام الشرعية ، وقال ابن عباس  
وشاورهم في بعض الأمر (فإذا عزمتم فتوكل على الله) التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها  
بعد حصولها ، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها ، وهو من أعلى المقامات ، لوجهين : أحدهما قوله  
إن الله يحب المتوكلين ، والآخر الضمان الذى فى قوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وقد يكون واجبا لقوله  
تعالى : وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، فجعله شرطا فى الإيمان ، والظاهر قوله جل جلاله ، وعلى الله  
فليتوكل المؤمنون ، فإن الأمر محمول على الوجوب

واعلم أن الناس فى التوكل على ثلاثة مراتب : الأولى أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله  
المأمون عنده الذى لا يشك فى نصيحتة له ، وقيامه بمصالحه ، والثانية : أن يكون العبد مع ربه كالطفل  
مع أمه فإنه لا يعرف سواها ، ولا يلجأ إلا إليها ، والثالثة أن يكون العبد مع ربه : كالميت بين يدي الغاسل ،  
قد أسلم نفسه إليه بالكلية ، فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية وصاحب  
الثانية له حظ من المراد والاختبار بخلاف صاحب الثالثة وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذى  
تكلمنا عليه فى قوله : وإلهم إله واحد ، فهى تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه ، فإن قيل : هل يشترط فى التوكل  
ترك الأسباب أم لا ؟ فالجواب : أن الأسباب على ثلاثة أقسام : أحدهما : سبب معلوم قطعاً قد أجراه الله  
تعالى : فهذا لا يجوز تركه ؛ كالأكل لدفع الجوع ، واللباس لدفع البرد . والثانى سبب مظنون : كالتيجارة وطالب  
المعاش ، وشبه ذلك ، فهذا لا يقدم فعله فى التوكل لأن التوكل من أعمال القلب ، لا من أعمال البدن ، ويجوز  
تركه لمن قوى عليه ، والثالث : سبب موهوم بعيد ، فهذا يقدم فعله فى التوكل ، ثم إن فوق التوكل التفويض  
وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية ، فإن المتوكل له مراد واختيار ، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه ،  
وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار ، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى ، فهو أكمل أدبا مع الله تعالى (وما

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوْفِي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ \* أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ \* هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ \* لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي ضَلَّلِيبِينَ \* أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مَّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانَ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا

كان لبي أن يغلّ) هو من الغلول وهو أخذ الشيء خفية من المغام وغيرها ، وقرئ بفتح الياء وضم الغين ، ومعناه تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول ، وسببها أنه فقدت من المغام قطيفة حمراء ، فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها ، وقرئ بضم الياء وفتح الغين ، أى ليس لأحد أن يغل نبيا : أى يخونه فى المغام ، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظورا من الأمر لشنعة الحال مع النبي لأن المعاصي تعظم بحضرة ، وقيل معنى هذه القراءة : أن يوجد غاللا كما تقول أحدث الرجل ، إذا أصبته محمدا ، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة ، إلى معنى فتح الياء (ومن يغلل يأت بما غل) وعيد لمن غل بأن يسوق يوم القيامة على رقبة الشيء الذى غل ، وقد جاء ذلك مفسرا فى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبة بعير لا ألفين أحدكم على رقبة فرس لا ألفين أحدكم على رقبة رفاع لا ألفين أحدكم على رقبة صامت لا ألفين أحدكم على رقبة إنسان ، فيقول يا رسول الله أغنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك (أمن اتبع) الآية : فقيل إن الذى اتبع رضوان الله . من لم يغلل ، والذى باء بالسخط من غل ، وقيل الذى اتبع الرضوان : من استشهد بأحد ، والذى باء بالسخط : المنافقون الذين رجعوا عن الغزو (وهم درجات) ذوا درجات ، والمعنى تفاوت بين منازل أهل الرضوان وأهل السخط أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان فإن بعضهم فوق بعض ، فكذلك درجات أهل السخط (لقد من الله) الآية إخبار بفضل الله على المؤمنين يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من أنفسهم) معناه فى الجنس واللسان ، فكونه من جنسهم يوجب الانس به ، وقلة الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم يوجب حسن الفهم عنه ، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ويكون ، هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنيين (أو لما أصابتكم مصيبة) الآية . عتاب للمسلمين على كلامهم فىمن أصيب منهم يوم أحد ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف ، والجملة معطوفة على ماتقدم من قصة أحد أو على محذوف (قد أصبتم مثلها) قتل يوم أحد من المسلمين سبعون ، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون ، وأسر سبعون (قل هو من عند أنفسكم) قيل معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين فأبوا إلا الخروج ، وقيل بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدم (يوم التقى الجمعان) أى جمع المسلمين والمشركين يوم أحد (وقيل لهم تعالوا) الآية : كان رأى

وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَكُمُ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ  
لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ \* الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا  
لَوْ آطَعُوا نَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ  
مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
الْمُؤْمِنِينَ \* الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ النَّارُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ \*  
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ \*

عبد الله بن أبي بن سلول أن لا يخرج المسلمون إلى المشركين ، فلما طلب الخروج قوم من المسلمين ، فخرج رسول  
الله صلى الله عليه وآله وسلم : غضب عبدالله ، وقال أطاعهم وعصانا ، فرجع ورجع معه ثلاثمائة رجل ، خمسين  
فمشى في أثرهم عبدالله بن عمر بن حزام الأنصاري ، وقال لهم ارجعوا قاتلوا في سبيل الله ، أو ادفعوا ، فقال له  
عبد الله بن أبي ما أرى أن يكون فقال ، لو علمنا أنه يكون قتال لكننا معكم (أو ادفعوا) أى كثروا السواد ،  
وإن لم تقاتلوا (الذين قالوا) بدل من الذين نافقوا ، أو لإخوانهم في النسب ، لأنهم كانوا من الأوس والخزرج  
(قل فادرموا) أى ادفعوا المعنى رد عليهم (بل أحياء) إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع  
بأرزاق الجنة بخلاف سائر الأموات من المؤمنين فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة  
(ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم لأنهم  
يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل ما نالوا من الشهادة (ألا خوف) في موضع المفعول أو بدل من  
الذين (يستبشرون) كرر ليدكر ما تعلق به من النعمة والفضل (للذين استجابوا) صفة للمؤمنين أو مبتدأ  
وخبره للذين أحسنوا الآية ، ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع المشركين  
بعد غزوة أحد ، فباغ بهم إلى حمراء الأسد وهى على ثمانية أميال من المدينة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وكانوا  
قد أصابهم جراحات وشدائد ، فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله بذلك (الذين قال لهم الناس) الآية : لما خرج  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد بعد أحد : باغ ذلك أبا سفيان فمر عليه ركب من عبدالقيس  
يريدون المدينة بالميرة فجعل لهم حمل بعير من زيب على أن يثبطوا المسلمين عن اتباع المشركين فخوفهم  
بهم ، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرجوا ، فالناس الأول ركب عبدالقيس ، والناس الثانى مشركو قريش  
وقيل نادى أبو سفيان يوم أحد : موعدنا بيدر في القابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن شاء الله  
فلما كان العام القابل : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر للبيعاد ، فأرسل أبو سفيان نعيم بن  
مسعود الأشجعي ليثبط المسلمين ، فعلى هذا الناس الأول نعيم ، وإنما قيل له الناس وهو واحد : لأنه من  
جنس الناس : كقولك ركبت الخيل إذا ركبت فرسا (فزادهم) الفاعل ضمير المفعول ، وهو إن الناس  
قد جمعوا لكم فآخشوهم ، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص ، فعناه هنا قوة يقينهم وثقتهم بالله (حسبنا

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۚ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسْرَعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ الْأَيُّحَلَّ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُذَادُوا ۚ إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ \* مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطَّلِعَ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رَّسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۚ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ \* لَقَدْ

الله ونعم الوكيل) كلمة يدفع بها ما يخاف ويكره وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حين التي في النار ، ومعنى حسبنا الله : كافينا وحده فلا نخاف غيره ، ومعنى ونعم الوكيل : ثناء على الله وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه ( فانقلبوا ) أى رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر ( واتبعوا رضوان الله بخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ) ( ذلكم الشيطان ) المراد به هنا أبو سفيان ، أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان أو إبليس ، وذلكم مبتدأ ، والشيطان خبره وما بعده مستأنف ، أو الشيطان نعت وما بعده خبر ( يخوف أوليائه ) أى يخوفكم أيها المؤمنون أوليائه وهم الكفار ، فالمفعول الأول محذوف ويدل عليه قوله : فلا تخافونهم ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس يخوفكم أوليائه ، وقيل المعنى يخوف المنافقين وهم أوليائه من كفار قريش ، فالمفعول الثانى على هذا محذوف ( ولا يحزنك ) تسلياً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاى حيث وقع مضارعاً من حزن الثانى ، وهو أشهر في اللغة من أحزن ( الذين يسارعون في الكفر ) أى يبادرون إلى أقواله وأفعاله وهم المنافقون والكفار ( إن الذين اشتروا ) الآية هم المذكورون قبل أو على العموم في جميع الكفار ( إنما نملئ لهم خيراً ) أى نملئهم أن مفعول يحسبن ، وما اسم أن فخفا أن تكتب منفصلة وخير خبر : إنما نملئ لهم ما هنا كناية والمعنى رد عليهم أى أن الإيلاء لهم ليس خيراً لهم إنما هو استدراج ليكتسبوا الإثم ( ما كان الله ليذر المؤمنين ) الآية : خطاب للمؤمنين ، والمعنى ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين ، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال التي تدل على الإيمان أو على النفاق ( وما كان الله ليطلعكم على الغيب ) أى ما كان الله ليطلعكم على ما في القلوب من الإيمان والنفاق أو ما كان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أو تغلبون ( ولكن الله يجتبي ) أى يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على ما شاء من غيبه ( الذين يبخلون ) يمنعون الزكاة وغيرها ( هو خيراً ) هو فضل وخيراً مفعول ثان ، والأول محذوف تقديره لا يحسبن البخل خيراً لهم ( سيطوقون ) أى يلزمون إثم ما بخلوا به ، وقيل يجعل ما بخلوا به حية يطوقها في عنقه يوم القيامة ( لقد سمع الله ) الآية : لما نزلت : من ذا الذي يقرض الله : قال بعض اليهود وهو

سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآنِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ  
 ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا  
 أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ  
 فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ  
 وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ  
 الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ  
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ  
 وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ  
 ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

فخاص ، أوحى بن أخطب أو غيرهما إنما يستقرض الفقير من الغنى ، فإله فقير ونحن أغنياء ، فنزلت هذه الآية ، وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن أوجه قلة فهمهم ، أو تحريفهم للمعاني ، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر ، وإن قالوه بغير اعتقاد : فهو استخفاف ، وعناد (سكنتب ما قالوا) أى تكلمته الملائكة فى الصحف (وقتلهم الأنبياء) أى قتل آباءهم للأنبياء ، وأسند إليهم لأنهم راضون به ، ومتبعون لمن فعله من آباءهم (الذين قالوا) صفة للذين ، وليس صفة للعبيد (حتى يأتينا بقربان) كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أو غيرها جعلوه فى مكان ، فنزل نار من السماء فتحرقه ، وإن لم تنزل فليس بمقبول ، فرسموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل (قل قد جاءكم رسل) الآية : رد عليهم بأن الرسل قد جاءتهم بمعجزات توجب الإيمان بهم ، وجاءهم أيضا بالقربان الذى تأكله النار ، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم ، فذلك يدل على أن كفرهم عناد ، فإنهم كذبوا فى قولهم إن الله عهد إلينا (فإن كذبوك فقد كذب) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي بغيره (فمن زحرج) أى نحى وأبعد (لتبلون) الآية : خطاب للمسلمين ، والبلاء فى الأنفس بالموت والأمراض ، وفى الأموال بالمصائب والإنفاق (ولتسمعن) الآية : سبها قول اليهود إن الله فقير ، وسبهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) قال ابن عباس هى لليهود : أخذ عليهم العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكتموه ، وهى عامة فى كل من علمه الله علما (الذين يفرحون بما أتوا) الآية : قال ابن عباس نزلت فى أهل الكتاب سألمهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألمهم عنه ، واستحمدوا إليه بذلك ، وفرحوا بما أتوا من كتابهم إياه ما سألمهم عنه ، وقال أبو سعيد الخدرى : نزلت فى المنافقين : كانوا إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقدمه خلاف رسول الله ، وإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا

فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝  
 إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا  
 وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقْنَا  
 عَذَابَ النَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخُلِ النَّارِ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي  
 لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَءَاتِنَا  
 مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ  
 عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ ءَانِي بَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي  
 وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا أَكْفِرُنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْتُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ  
 عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ۝ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ۝ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝  
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَّلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ  
 لِلَّابْرَارِ ۝ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يُشْتَرُونَ

إليه ، وأحبوا أن يحمدهوا بما لم يفعلوا (فلا تحسبنهم) باتناء وفتح الباء : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ،  
 وبالياء وضم الباء : أسند الفعل للذين يفرحون : أى لا يحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب ، ومن قرأ تحسبن  
 بالتاء : فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين يفرحون : مفعول به ، وبمفازة المفعول الثانى ،  
 وكرر فلا تحسبنهم : للتأكيد ، ومن قرأ لا يحسبن بالياء من أسفل ، فإنه حذف المفعولين ، لدلالة مفعولى  
 لا تحسبنهم عليهما (واختلاف الليل والنهار) ذكر فى البقرة (قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) أى يذكرون الله  
 على كل حال فكان هذه الهيات حصر لحال بنى آدم ، وقيل إن ذلك فى الصلاة : يصلون قياماً ، فان لم يستطيعوا  
 صلوا قعوداً ، فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم (ربنا) أى يقولون . ربنا ما خلقت هذا الغير فائدة بل خلقت  
 وخلقت البشر ، لينظروا فيه فيعرفونك (سمعنا منادياً) هو النبي صلى الله عليه وسلم (ما وعدتنا على رسلك)  
 أى على السنة رسلك (من ذكر وأنثى) من لبيان الجنس ، وقيل زائدة لتقدم النفي (بعضكم من بعض) النساء  
 والرجال سواء فى الأجور والخيرات (وأخرجوا من ديارهم) هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا  
 منها (ثواباً) منصوباً على المصدرية (لا يغرنك) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أى لا تظنوا أن حال الكفار  
 فى الدنيا دائماً قهتمو ذلك ، وأنزل لا يغرنك منزلة لا يحزنك (متاع قليل) أى تقلبهم فى الدنيا قليل بالنظر إلى  
 ما فاتهم فى الآخرة (نزلاً) منصوب على الحال من جنات أو على المصدرية (الأبرار) جمع بار وبار ، ومعناه  
 العاملون بالبر ، وهى غاية التقوى والعمل الصالح ، قال بعضهم الأبرار : هم الذين لا يؤذون أحداً (وإن من  
 أهل الكتاب) الآية : قيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة ، فإنه كان نصرانياً فأسلم ، وقيل فى عبد الله بن سلام

بَتَّيْتُ اللَّهُ ثَمْنَا قَلِيلًا أَوْلَيْتُكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا  
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝

## سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝

وغيره من أسلم من اليهود (لا يشترون) مدح لهم، وفيه تعريض لدم غيرهم من اشترى بآيات الله ثمنا قليلا (وصابروا) أى صابروا عدوكم فى القتال (ورابطوا) أقيموا فى الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد، وقيل هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله، أى معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية والأول أظهر، قال صلى الله عليه وآله وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وأما قوله فى انتظار الصلاة فذلكم الرباط فهو تشبيه بالرباط فى سبيل الله لعظم أجره، والمرابط عند الفقهاء هو الذى يسكن الثغور فى رباط فيها وهى غير موطنه، فأما سكانها دائما بأهلهم ومعايشهم فليسوا مرابطين، ولكنهم حماة، حكاه ابن عطية.

## سورة النساء

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى فى أول البقرة (من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (زوجها) هى حواء خلقت من ضلع آدم (وبث) نشر (تساءلون به) أى يقول بعضهم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا (والأرحام) بالنصب عطفًا على اسم الله أى اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور، وهو به، لأن موضعه نصب وقرئ بالخفض عطف على الضمير فى به، وهو ضعيف عند البصريين، لأن الضمير المنفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض (إن الله كان عليكم رقيبًا) إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف أصله علم وحال، ثم يثمر حالين: أما العلم: فهو معرفة العبد؛ لأن الله مطلع عليه، ناظر إليه يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله، وأما الحال فهى ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه، ولا يغفل عنه، ولا يكفى العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال: كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين: الحياة من الله، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصى والجد فى الطاعات، وكانت ثمرتها عند المقربين: الشهادة التى توجب التعظيم والإجلال لذى الجلال وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فقوله أن تعبد الله كأنك تراه: إشارة إلى الثمرة الثانية، وهى المشاهدة الموجبة للتعظيم: كمن يشاهد ملكا عظيما، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك: إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التى هى مقام المقربين، فأعلم أنه يراك فكأن من أهل الحياة الذى هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسر الإحسان

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا \* وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثِّيَ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ

أول مرة بالمقام الأعلى : رأى أن كثيرا من الناس قد يعجزون عنه ، فنزل عنه إلى المقام الآخر ، واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تتقدم قبلها المشاركة والمرابطة ، وتتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة ، فأما المشاركة : فهي اشتراط العبد على نفسه بالتزام الطاعة وترك المعاصي ، وأما المرابطة . فهي معاهدة العبد لربه على ذلك ، ثم بعد المشاركة والمرابطة أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره ، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه ، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله : حمد الله ، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشاركة ، ونقض عهد المرابطة . عاقب النفس عقابا بزجرها عن العودة إلى مثل ذلك ، ثم عاد إلى المشاركة والمرابطة وحافظ على المراقبة ، ثم اختبر بالمحاسبة ، فهكذا يكون حتى يلقي الله تعالى (وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ) خطاب للأوصياء وقيل للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير أمروا أن يورثوهم ، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء ، فالمراد أن يأتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم ، فيكون اليتيم على هذا حقيقة ، وقيل المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا فيكون اليتيم على هذا مجاز لأن اليتيم قد كبر (ولا تبدلوا الخيث بالطيب) كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله ، والدرهم الطيب بالزائف ، فهوا عن ذلك ، وقيل المعنى : لا تأكلوا أموالهم وهو الخيث ، وتدعوا مالكم وهو الطيب (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) المعنى نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم ، وقيل نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى ، ثم أباح ذلك بقوله وإن تخالطوهم فإخوانكم ، وإنما تمتدى الفعل يأل ؛ لأنه تضمن معنى الجمع والضم وقيل بمعنى مع (حوبا) أى ذنبا (فإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا) الآية ، قالت عائشة . نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال أوليائهم فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن في الصداق مكان ولا يتم عليهم ، فقيل لهم أقسطوا في مهورهن ، فن خاف أن لا يقسط فليتزوج بما طاب له من الاجنبيات اللاتي يوفهن حقوقهن ، وقال ابن عباس : إن العرب كانت تتحرج في أموال اليتامى ولا تتحرج في العدل بين النساء ، فنزلت الآية في ذلك : أى كما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى : كذلك خافوا النساء ، وقيل إن الرجل منهم كان يتزوج العشرة أو أكثر ، فاذا ضاق ماله أخذ من مال اليتيم ، فقيل لهم إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فاقصروا في النساء على ما طاب : أى ما حل ، وإنما قال ما ، ولم يقل من : لأنه أراد الجنس ، وقال الزمخشري لأن الإناث من العقلاء يجرى مجرى غير العقلاء ، ومنه قوله وماملكت أيمانكم (مثنى وثلاث ورباع) لا ينصرف للعدل والوصف ، وهى حال من ما طاب ، وقال ابن عطية بدل ، وهى عدله عن أعداد مكررة ، ومعنى التكرار فيها أن الخطاب لجماعة ، فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد ، فتكررت الأعداد بتكرار الناس ، والمعنى أنكحوا اثنتين أو ثلاث أو أربعا وفى ذلك منع لما كان فى الجاهلية من تزوج ما زاد على الأربع ، وقال قوم لا يعبا بقولهم : إنه يجوز الجمع بين تسع لأن مثنى وثلاث ورباع : يجمع فيه تسعة ، وهذا خطأ ، لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع ، ولو أراد الجمع لقال تصع ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقل بيانا ، وأيضا قد انعقد الإجماع

خَفِمَ إِلَّا تَعَدَلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَمْلُوكَتٍ أَيْمَنَكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى الْأَتَعُولُوا \* وَآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِنَ نَحْلَةً فِإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا \* وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا \* وَابْتَلُوا اليتيمَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِأَلِ اللَّهِ حَسِيبًا \* لِلرِّجَالِ

على تحريم ما زاد على الرابعة (فواحدة) أى إن خفتم أن لاتعدلوا بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع : فاقصروا على واحدة ، أو على ماملكت أيمانكم من قليل أو كثير . رغبة فى العدول وانتصاب واحدة بفعل مضمر تقديره فانكحوا واحدة ( ذلك أدنى الأتعولوا ) الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة ، والمعنى أن ذلك أقرب إلى أن لاتتعولوا ومعنى تعولوا : تملوا ، وقيل يكثروا عيالكم ( وآتوا النساء صدقاتهن ) خطاب الأزواج ، وقيل الأولياء ، لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته ، وقيل نهى عن الشغار ( نحلة ) أى عطية منكم لهم ، أو عطية من الله ، وقيل معنى نحلة أى شرعة وديانة ، وانتصابه على المصدر من معنى آتوهن أو على الحال من ضمير المخاطبين ( فإن طبن لكم ) الآية : إباحة الأزواج والأولياء على ما تقدم من الخلاف أن يأخذوا مادفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن والضمير فى منه يعود على الصداق أو على الإيتاء ( هنيئاً مريئاً ) عبارة عن التحليل ، ومبالغة فى الإباحة وهما صفتان من قولك هتو الطعام ومرؤ : إذا كان سائغاً لاتنغيص فيه ، وهما وصف للمصدر : أى أكل هنيئاً أو حال من ضمير الفاعل ، وقيل يوقف على فكلوه ويبدأ هنيئاً مريئاً على الدعاء ( ولا توتوا السفهات ) قيل هم أولاد الرجل وامراته : أى لاتتوتوهم أموالكم للبتير ، وقيل السفهات المحجورون ، وأموالكم . أموال المحجورين ، وأضافها إلى المخاطبين لانهم ناظرون عليها وتحتم أيديهم ( قياماً ) جمع قيمة ، وقيل بمعنى قياماً بألف . أى تقوم بها معاشكم ( وارزقوهم فيها واكسوهم ) قيل لأنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده ، وقيل فى المحجورين يرزقون ويكسون من أموالهم ( وقولوا لهم قولاً معروفاً ) أى ادعوا لهم بخير ، أو عدوهم وعدا جميلاً : أى إن شئتم دفننا لكم أموالكم ( وابتلوا اليتامى ) أى اختبروا رشدهم ( بلغوا النكاح ) بلغوا مبالغ الرجال ( فإن آنستم منهم رشداً ) الرشدهو المعرفة بمصالحه وتدير ماله ، وإن لم يكن من أهل الدين ، واشترط قوم الدين ، واعتبر مالك البلوغ والرشد ، وحينئذ يدفع المال واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده مالم يظهر سفه ، وقوله مخالف للقرآن ( وبداراً أن يكبروا ) ومعناه مبادرة لكبرهم أى أن الوصى يستغنى كل مال اليتيم قبل أن يكبر وموضع أن يكبر وانصب على المفعولية بداراً أو على المفعول من أجله تقديره مخافة أن يكبروا ( فليستعفف ) أمر الوصى الغنى أن يستعفف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئاً ( ومن كان فقيراً فليأكل كل بالمعروف ) قال عمر بن الخطاب المعنى أن يستسلف الوصى الفقير من مال اليتيم ، فإذا أيسر رده ، وقيل المراد أن يكون له أجره بقدر عمله وخدمته ، ومعنى بالمعروف من غير إسراف ، وقيل نسختها : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ( فأشهدوا عليهم ) أمر بالتحرز والحرص فهو

نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ  
 نَصِيبًا مَّفْرُوضًا \* وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا  
 مَعْرُوفًا. وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا  
 سَدِيدًا \* إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا \* يٰٓصِبِّمُ  
 اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً

ندب، وقيل فرض (للرجال نصيب) الآية: سببها أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء فنزلت الآية ليرث  
 الرجال النساء (نصيباً مفروضاً) منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله: فريضة من الله، وقال الزخمشري  
 منصوب على التخصيص، أعني بمعنى نصيباً (وإذا حضر القسمة) الآية: خطاب للوارثين أمروا أن يتصدقوا  
 من الميراث على قرابتهم، وعلى اليتامى وعلى المساكين، فقيل إن ذلك على الوجوب، وقيل على الندب وهو  
 الصحيح، وقيل نسخ بآية الموارث (وليخش الذين) الآية: معناها الأمر لأولياء اليتامى أن يحسنوا إليهم في  
 نظير أموالهم، فيخافوا الله، على أيتامهم. كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً، ويقدرُوا ذلك في أنفسهم  
 حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة، وقيل الذين يجلسون إلى المريض فيأمره أن يتصدق بماله حتى يحذف  
 بورثته، فأمرُوا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم، وحذف مفعول وليخش، وخافوا جواب  
 لو (قولا سديداً) على القول الأول ملاطفة الوصي لليتيم بالكلام الحسن، وعلى القول الثاني أن يقول للورث  
 لا تسرف في وصيتك وارفق بورثتك (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً قيل نزلت في الذين لا يورثون  
 الإناث، وقيل في الأوصياء، ولفظها عام في كل من أكل مال اليتيم بغير حق (إنما يأكلون في بطونهم ناراً)  
 أى أكلهم مال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار، وقيل يأكلون النار في جهنم (يوصيكم الله في أولادكم) هذه  
 الآية نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع، وقيل بسبب جابر بن عبد الله، إذ عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في مرضه ورفعت ما كان في الجاهلية من توريث النساء والأطفال، وقيل نسخت الوصية للوالدين والأقربين  
 وإنما قال يوصيكم بلفظ الفعل الدائم ولم يقل أوصاكم تنبيهاً على ماضى، والشروع في حكم آخر وإنما  
 قال يوصيكم الله بالاسم الظاهر، ولم يقل يوصيكم لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم  
 الأسماء وإنما قال في أولادكم ولم يقل في أبنائكم، لأن الابن يقع على الابن من الرضاة، وعلى ابن البنت،  
 وعلى ابن المتنى وليسوا من الورثة (للكر مثل حظ الأنثيين) هذا بيان للوصية المذكورة، فإن قيل: هلا  
 قال للأنثيين مثل حظ الذكر، أو للأثني نصف حظ الذكر؟ فالجواب: أنه بدأ بالذكر لفضله، ولأن  
 المقصد ذكر حظهم ولو قال للأنثيين مثل حظ الذكر، لكان فيه تفضيل للإناث (فإن كن نساء) إنما أُنث  
 ضمير الجماعة في كن، لأنه قصد الإناث، وأصله أن يعود على الأولاد، لأنه يشمل الذكور والإناث، وقيل  
 يعود على المتروكات، وأجاز الزخمشري أن تكون كأنامة والضمير مبهم ونساء تفسير (فوق اثنتين) ظاهره أكثر  
 من اثنتين، ولذلك أجمع على أن للثلاث فما فوقهن الثلثان، وأما البتتان فاختلف فيهما، فقال ابن عباس لهما النصف كالبت

فَلَهَا النِّصْفُ وَالْأَبَوِيَّةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ  
فَلِأُمَّهُ التُّلْثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دِينَءِ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ لَأَتَدْرُونَ  
أَيْهِمْ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ

الواحدة وقال الجمهور الثلثان، وتأولو فوق اثنتين أن المراد اثنتان فافوقهما، وقال قوم إن فوق زائدة كقوله فاضربوا فوق الأعناق وهذا ضعيف وقال قوم إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن وقيل بالقياس على الأخنتين (وإن كانت واحدة) بالرفع فاعل، وكان تامة، وبالنصب خبر كان، وقوله تعالى فلهما النصف نص على أن للبت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد لأن للذكر مثل حظ الأنثيين (إن كان له ولد) الولد يقع على الذكر والأنثى والواحد والاثنين والجماعة سواء كان للصلب، أو ولد ابن، وكلهم يرد الأبوين إلى السدس (وورثه أبواه فلأمه الثلث) لم يجعل الله للأم الثلث إلا بشرطين، أحدهما، عدم الولد، والآخر إحاطة الأبوين بالميراث، ولذلك دخلت الوار لعطف أحد الشرطين على الآخر، وسكت عن حظ الأب استغناء بمفهومه، لأنه لا يبق بعد الثلث إلا الثلثان ولا وارث إلا الأبوان، فاقضى ذلك أن الأب يأخذ بقية المال وهو الثلثان (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) أجمع العلماء على أن ثلاثة من الإخوة يردون الأم إلى السدس، واختلفوا في الإثنتين فذهب الجمهور أتهما يردانها إلى السدس، ومذهب ابن عباس أهما لا يردانها إليه، بل هما كالأخ الواحد ورجحه أن لفظ الإخوة لا يقع على الإثنتين لأنه جمع لا تثنية وأقل الجمع ثلاثة وقال غيره إن لفظ الجمع قد يقع على الإثنتين. كقوله وكنا لحكمهم شاهدين، وتسوروا المحراب، وأطراف النهار، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: الإثنان فما فوقهما جماعة، وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنتان فصاعداً، ومذهبه أن أقل الجمع اثنتان، فعلى هذا يحجب الأبوان من الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين أو لأب أو لأم أو مختلفين، وسواء كانا ذكراً أو أنثيين أو ذكر أو أنثى، فإن كان معهما أب: ورث بقية المال، ولم يكن للإخوة شيء عند الجمهور، فهم يجزون الأم، ولا يرثون، وقال قوم يأخذون السدس الذي حجبه عن الأم، وإن لم يكن أب ورثوا (من بعد وصية يوصى بها أو دين) قوله من بعد يتعلق بالاستقرار المضمرة في قوله (فإن نكحها ماترك) أي استقر له الثلثان من بعد وصية، ويمتنع أن يتعلق بترك، وفاعل يوصى الميت، وإنما قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة: اهتماماً بها، وتأكيدهم للأمر بها، ولتلايتها بها وآخر الدين: لأن صاحبه يتقاضاه، فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه وتخرج الوصية من الثالث، والدين من رأس المال بعد الكفن؛ وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين: ليدل على أهما قد يكونان وقد لا يكونان فدل ذلك على وجوب الوصية (أقرب لكم نفعاً) قيل بالإتفاق إذا احتجج إليه، وقيل بالشفاعة في الآخرة، ويحتمل أن يريد نفعاً بالميراث من ماله، وهو أليق بسياق الكلام (ولكم نصف ماترك أزواجكم) الآية خطاب الرجال وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهما إن كن أكثر من واحدة، ولا ينقص عن ميراث الزوج والزوجة وسائر السهام، إلا ما انفصه العول على مذهب جمهور العلماء، خلافاً لابن عباس،

لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يَوْصِيَنَّ بِهِنَّ أَوْ دِينَ وَلَهُنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تُوَصُّونَ بِهِنَّ أَوْ دِينَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مَضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ \* تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ \* وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَاءِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَمَسْكُوهِنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ

فإنه لا يقول بالمول فإن قيل : لم كرر قوله : من بعد وصية ، مع ميراث الزوج وميراث الزوجة ، ولم يذكره قبل ذلك لإمارة واحدة في ميراث الأولاد والأبوين ، فالجواب أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة ، والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج ، وكل واحدة قضية على انفرادها ، فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة بخلاف الأولى ، فإن الموروث فيها واحد ، ذكر حكم ما يرث منه أولاده وأبواه ، وهي قضية واحدة ، فلذلك قال فيها من بعد وصية مرة واحدة ( وإن كان رجل يورث كلاله ) الكلاله هي انقطاع عمود النسب وهو خلو الميت عن ولد ووالد ، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث ، أو على الورثة ، أو على القرابة ، أو على المال : بأن كانت على الميت ، فأعربها خبر كان ، ويورث في موضع الصفة أو يورث خبر كان ، وكلاله : حال من الضمير في يورث ، أو تكون كان تامة ، ويورث في موضع الصفة ، وكلاله حال من الضمير ، وإن كانت الورثة فهي مصدر في موضع الحال وإن كانت للقرابة فهي مفعول من أجله ، وإن كانت للمال فهي مفعول ليورث ، وكل وجه من هذه الوجوه على أن تكون كان تامة ، ويورث في موضع الصفة ، وأن تكون ناقصة ويورث خبرها ( وله أخ أو أخت ) المراد هنا الأخ للأُم والأخت للأُم بإجماع وقرأ سعد بن أبي وقاص : وله أخ أو أخت لأمه ، وذلك تفسير للمعنى ( فكل واحد منهما السدس ) إذا كان الأخ للأُم واحد فله السدس ، وكذلك إذا كانت الأخت للأُم واحدة ( فهم شركاء في الثلث ) إذا كان الإخوة للأُم اثنين فصاعدا : فلهما الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى ، لأن قوله شركاء . يقتضى التسوية بينهم ، ولاخلاف في ذلك ( غير مضار ) منصوب على الحال والعامل فيه يوصى ومضار اسم فاعل ، قال ابن عباس الضرار في الوصية من الكبائر ، ووجوه المضار كثيرة : منها الوصية لو ارث ، والوصية بأكثر من الثلث أو بالثلث فرارا عن وارث محتاج ، فإن علم أنه قصد بوصيته الإضرار رد ما زاد على الثلث اتفاقا ، واختلف هل يرد الثلث على قولين في المذهب ، والمشهور أنه ينفذ ( وصية من الله ) مصدره وأكد لقوله يوصيكم الله ويجوز أن ينتصب بغير مصدر ( تلك حدود الله ) إشارة إلى ما تقدم من الموارث وغيرها ( ومن يعص الله ورسوله ) الآية : تعلق بها المعتزلة في قولهم إن العصاة من المؤمنين يخلدون في النار ، وتأولها الأشعرية على أنها في الكفار ( يأتين الفاحشة ) هي هنا الزنا ( من نسائكم ) أو من المسلمات ؛ لأن المسلمة تحدد الزنا ،

الموتُ أو يجعل الله لهن سبيلاً \* والذان يأتينها منكم فتأذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيماً \* إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً \* وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبن ببعض ما آتيتوهن إلا أن يأتين بفاحشة

وأما الكافر أو الكافرة فاختلف هل يحد أو يعاقب (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) قيل إنما جعل شهادة الزنا أربعة تغليظاً على المدعى وسترأ على العباد، وقيل ليكون شاهدان على كل واحد من الزانين (فأمسكوهن في البيوت) كانت عقوبة الزنا الإمساك في البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا، وهو السب والتوبيخ، وقيل الإمساك للنساء والأذى للرجال فلا نسخ بينهما ورجحه ابن عطية بقوله في الإمساك من نسائكم، وفي الأذى منكم، ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم للمحصن وبالجلد لغير المحصن، واستقر الأمر على ذلك، وأما الجلد فمذكور في سورة النور، وأما الرجم فقد كان في القرآن ثم نسخ لفظه وبقى حكمه، وقد رجم صلى الله عليه وسلم معاذ الأسلمي وغيره (فأعرضوا عنهما) لما أمر بالأذى للزاني أمر بالإعراض عنه إذ اتاب، وهو ترك الأذى (إنما التوبة على الله) أي إنما يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشروطها فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء، وقال أبو المعالي يغلب ذلك على الظن ولا يقطع به (يعملون السوء بجهالة) أي بسفاهة وقلة تحصيل أداة المعصية، وليس المعنى أنه يجهل أن ذلك الفعل يكون معصية، قال أبو العالية: أجمع الصحابة على أن كل معصية فهي بجهالة، سواء كانت عمداً أو جهلاً (ثم يتوبون من قريب) قيل قبل المرض والموت. وقيل قبل السياق، ومعانية الملائكة، وفي هذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر (وليست التوبة) الآية: في الذين يصررون على الذنوب إلى حين لا تقبل التوبة، وهو معاينة الموت فإن كانوا كفاراً فهم مخلدون في النار بإجماع، وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم. فقوله أعتدنا لهم عذاباً أليماً: ثابت في حق الكفار ومنسوخ في حق العصاة من المسلمين، بقوله: إن الله لا يغفر أن يشرك به، وبغفر مادون ذلك لمن يشاء. فعذابهم مقيد بالمشيئة (لا يحل لكم أن ترثوا النساء) قال ابن عباس: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاءوا تزوجها أحدهم، وإن شاءوا تزوجوها من غيرهم، وإن شاءوا منعوها التزوج، فنزلت الآية في ذلك، فعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يورثن عن الرجال، كما يورث المال، وقيل الخطاب للأزواج الذين يسكنون المرأة في العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها، وقيل الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج (ولا تعضلوهن) معطوف على أن ترثوا، وأنهى والعصل المنع، قال ابن عباس: هي أيضاً في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج بعد موته، إلا أن قوله ما آتيتوهن على هذا معناه

مَبِينَةٌ وَعَاشِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا  
وَأِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا إِذَا تَاخَذْتُمُوهُنَّ بِهِتْنًا  
وَإِنَّمَا مَبِينًا \* وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا \* وَلَا تَنْكِحُوا  
مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا \* حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

ما آتاها الرجل الذي مات ، وقال ابن عباس : هي في الأزواج الذين يمسون المرأة ويسيتون عسرتها حتى  
تفتدى بصدقتها ، وهو ظاهر اللفظ في قوله ما آتيتموهن ، ويقويه قوله : وعاشروهن بالمعروف ، فإن الأظهر  
فيه أن يكون في الأزواج ، وقد يكون في غيرهم ، وقيل هي للأولياء (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) قيل  
الفاحشة هنا الزنا ، وقيل نشوز المرأة وبغضها في زوجها ، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صداق  
أو غير ذلك من مالها وهذا جائز على مذهب مالك في الخلع ، إذا كان الضرر من المرأة ، والزنا أصعب على  
الزوج من النشوز ، فيجوز له أخذ الفدية (إن كرهتموهن) الآية : معناها إن كرهتم النساء لوجه فاصبروا  
عليه ، فعسى أن يجعل الله الخير في وجه آخر ، وقيل الخير الكثير الولد ، والأحسن العموم ، وهذا معنى قوله  
صلى الله عليه وآله وسلم : لا يترك مؤمن مؤمنة ، إن سخط منها خلقا رضى آخر (وإن أردتم استبدال زوج)  
الآية : معناها المنع من أن يأخذ الرجل من المرأة فدية على الطلاق إن أراد أن يبدها بأخرى وعلى هذا جرى  
مذهب مالك وغيره في المنع من الفدية إذا كان الضرر وأرادت الفراق من الزوج ، فقال قوم إن هذه الآية  
منسوخة بقوله في البقرة فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، وقال قوم هي ناسخة ، والصحيح أنها غير ناسخة  
ولا منسوخة ، فإن جواز الفدية على وجه ومنعها على وجه ، فلا تعارض ولا نسخ (قنطارا) مثال على جهة  
المبالغة في الكثرة ، وقد استدلت به المرأة على جواز المغالاة في المهور حين نهى عمر بن الخطاب عن ذلك  
فقال عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ، ورجل أخطأ ، كل الناس أفتقه منك يا عمر (أفصى بعضكم إلى بعض)  
كناية عن الجماع (ميثاقا غليظا) قيل عقدة النكاح ، وقيل قوله فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وقيل  
الامر بحسن العشرة (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده فنزلت  
الآية تحريما لذلك ، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ماسفلوا ، سواء دخل بها أو لم يدخل ،  
فالنكاح في الآية بمعنى العقد ، وما نكح : يعنى النساء ، وإنما أطلق عليهن ما ، وإن كنتم يعقل : لأن المراد الجنس  
فإن زنى رجل بامرأة فاختلف هل يحرم تزوجها على أولاده أم لا : فخرمه أبو حنيفة ، وأجازاه الشافعي ، وفي المذهب  
قولان : واحتج من حرّمه بهذه الآية وحمل النكاح فيها على الوطء وقال من أجازاه إن الآية لا تتناولها  
إذ النكاح فيها بمعنى العقد (إلا ما قد سلف) أى إلا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك ، وانقطع بالإسلام فقد عني  
عنه فلا تأخذون به ، وبديل على هذا قوله : إن الله كان غفورا رحيما بعد قوله إلا ما قد سلف في المرأة الأخرى  
في الجمع بين الأختين قال ابن عباس كانت العرب تحرم كل ما حرّمته الشريعة إلا امرأة الأب ، والجمع بين  
الأختين ، وقيل المعنى : إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم ، وذلك غير ممكن ؛ فالمعنى المبالغة في التحريم  
(إنه كان فاحشة ومقتا) كان في هذه الآية تقتضى الدوام كقوله : إن الله كان غفورا رحيما ، وشبه ذلك وقال

لا ينكح  
أبها  
أختها  
والمرءة  
التي  
بين  
أبها  
وأختها

أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَّتِكُمْ وَخَلَّتِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتِكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتِكُم مِّن الرُّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ

المبرد هي زائدة وذلك خطأ لوجود خبرها منصوبا ، وزاد هذا المقت على ما وصف من الزنا في قوله تعالى إنه كافاحشة ومقتا وساء سيلا : دلالة على أن هذا أقبح من الزنا ( حرمت عليكم ) الآية . معناها تحريم ما ذكر من النساء ، والنساء المحرمات على التأييد ثلاثة أصناف ؛ بالنسب ، وبالرضاع ، وبالمصاهرة . فأما النسب فيحرم به سبعة أصناف ، وهي المذكورة في هذه الآية ، وضابطها أنه يحرم على الرجل فضوله ماسفلت ، وأصوله ماعلت ، وفصول أبويه ماسفلت وأول فصل من كل أصل متقدم على أبويه ( أمهاتكم ) يدخل فيه الوالدة والجدة من قبل الأم والأب ماعلون ( وبناتكم ) يدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت البنت ماسفلن ( وأخواتكم ) يدخل فيه الأخت الشقيقة ؛ أولاب أو لأم ( وعماتكم ) يدخل فيه أخت الوالد ، وأخت الجدة ماعلا ، سواء كانت شقيقة أولاب أو لأم ( وخالاتكم ) يدخل فيه أخت الأم وأخت الجدة ماعلت سواء كانت شقيقة أولاب أو لأم ( وبنات الأخ ) يدخل فيه كل من تناسل من الأخ الشقيق أولاب أو لأم ( وبنات الأخت ) يدخل فيه كل ما تناسل من الأخت الشقيقة أولاب أو لأم ( وأمهااتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ) ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهم الأم والأخت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، فاقضى ذلك تحريم الأصناف السبعة التي تحرم من النسب وهي الأم والبنت والأخت والعمة والحالة وبنت الأخ وبنت الأخت وتفصيل ذلك يطول ، وفي الرضاع مسائل لم نذكرها لأنها ليس لها تعلق بألفاظ الآية ( وأمهاات نسااتكم ) المحرمات بالمصاهرة أربع : وهن زوجة الأب ، وزوجة الابن ، وأم الزوجة ، وبنت الزوجة ، فأما الثلاث الأولى فتحرم بالعقد دخل بها أم لم يدخل بها ، وأما بنت الزوجة فلا تحرم إلا بعد الدخول بأها ، فإن وطئها حرمت عليه بنتها بالإجماع ، وإن تلذذ بها بمادون الوطء فخرمها مالك والجمهور وإن عقد عليها ولم يدخل بها : لم تحرم بنتها إجماعا ، وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب ( ورببااتكم اللاتي في حجوركم من نسااتكم ) الربيبة هي بنت امرأة الرجل من غيره : سميت بذلك لأنه يربها فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة ، وقوله اللاتي في حجوركم على غالب الأمر إذ أكثر أن تكون الربيبة في حجر زوج أمها ، وهي محرمة سواء كانت في حجره أم لا ، هذا عند الجمهور من العلماء ، إلا ماروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره ( اللاتي دخلتم بهن ) اشترط الدخول في تحريم بنت الزوجة ، ولم يشترط في غيرها ، وعلى ذلك جمهور العلماء إلا ماروى عن علي بن أبي طالب أنه اشترط الدخول في تحريم الجميع ، وقد انعقد الإجماع بعد ذلك ( وحلائل أبنائكم ) الحلائل جمع حليلة وهي الزوجة ( الذين من أصلابكم ) تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن يتبناه الرجل ، وهو أجنبي عنه كتزويج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة الكلبي الذي كان يقال له زيد بن محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ( وأن تجمعا بين الأختين ) يقتضى تحريم الجمع بين الأختين سواء كانتا شقيقتين أولاب أو لأم وذلك

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ  
 وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ  
 أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَمَنْ لَمْ  
 يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَأْمَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ

في الزوجتين ، وأما الجمع بين الأختين المملوكين في الوطء فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم ، وأما  
 أنه داخل في عموم لفظ الأختين ، وأجازه الظاهرية لأنهم قصرُوا الآية على الجمع بالنكاح ، وأما الجمع بين  
 الأختين في الملك دون وطء فجاز باتفاق ( إلا ما قد سلف ) المعنى ( إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع  
 بالإسلام فقد عفى عنكم فلا تؤاخذون به ، وهذا أرجح الأقوال حسبا تقدم في الموضوع الأول ( والمحصنات  
 من النساء ) المراد هنا ذوات الأزواج وهو معطوف على المحرمات المذكورة قبله ، والمعنى أنه لايجل نكاح  
 المرأة إذا كانت في عصمة الرجل ( إلا ما ملكت أيمانكم ) يريد السبايا في أشهر الأقوال ، والاستثناء متصل ،  
 والمعنى أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج ، ثم سميت : جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها ، وسبب ذلك  
 أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا من العدو هن أزواج من  
 المشركين فتأثم المسلمون من غشيانن ، فنزلت الآية مبيحة لذلك ، ومذهب مالك أن السبي يهدم النكاح  
 سواء سبي الزوجان الكافران معا أو سبي أحدهما قبل الآخر ، وقال ابن المواز : لا يهدم السبي النكاح ( كتاب  
 الله عليكم ) منصوب على المصدرية : أي كتب الله عليكم كتابا وهو تحريم ما حرم ؛ وهو عند الكوفيين منصوب  
 على الإغراء ( وأحل لكم ما وراء ذلكم ) معناه أحل لكم تزويج من سوى ما حرم من النساء ، وعطف أحل  
 على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله ، والفاعل هو الله أي كتب الله عليكم تحريم من ذكر ، وأحل لكم  
 ما وراء ذلكم ( أن تبتغوا ) مفعول من أجله ، أو بدل مما وراء ذلكم ، وحذف مفعوله وهو النساء ( محصنين )  
 هنا العفة ، ونصبه على الحال من الفاعل في تبتغوا ( غير مسافحين ) أي غير زناة ، والسفاح هو الزنا ( فما استمتعتم  
 به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ) قال ابن عباس وغيره . معناها إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب  
 إعطاء الأجر وهو الصداق كاملا وقيل إنها في نكاح المتعة وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث ، وكان جائزا في  
 أول الإسلام فنزلت هذه الآية في وجوب الصداق فيه ، ثم حرم عند جمهور العلماء ، فالآية على هذا منسوخة  
 بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة ، وقيل نسخها آية الفرائض لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه ، وقيل نسخها هو الذين  
 هم لفروجهم حافظون ، وروى عن ابن عباس جواز نكاح المتعة ، وروى أنه رجع عنه ( ولا جناح عليكم فيما  
 تراضيتن به ) من قال إن الآية المتقدمة في هور النساء فمعنى هذه جواز ما يتراضون به من حط النساء من الصداق  
 أو تأخيره بعد استقرار الفريضة ومن قال إن الآية في نكاح المتعة . فمعنى هذا جواز ما يتراضون به من زيادة  
 في مدة المتعة وزيادة في الأجر ( ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من  
 فتياتكم المؤمنات ) معناها إباحة تزويج الفتيات وهن الإماء للرجل إذا لم يجد طولا للمحصنات ، والطول هنا هو  
 السعة في المال والمحصنات هنا يراد بهن الحرائر غير المملوكات ومذهب مالك وأكثر أصحابه أنه لا يجوز

أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَخَدَّاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنْتُمْ فَإِنَّ أُنثِينَ بَفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبُرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم \* والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً \* يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً \* يأسأها الذين آمنوا

للحر نكاح أمة إلا بشرطين : أحدهما عدم الطول ؛ وهو ألا يجدا ما يتزوج به حرة ، والآخر خوف العنت وهو الزنا لقوله بعد هذا : ذلك لمن خشى العنت منكم ، وأجاز ابن القاسم نكاحهن دون الشرطين على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر ، وتفوقوا على اشتراط الإسلام في الأمة التي تزوج لقوله تعالى « من قياتكم المؤمنات ، إلا أهل العراق فلم يشترطوه ، وإعراب طولاً : مفعولاً بالاستطاعة وأن ينكح بدل منه وهو في موضع نصب بتقدير لأن ينكح ؛ ويحتمل أن يكون طولاً منصوباً على المصدر والعامل فيه الاستطاعة لأنها بمعنى يتقارب ، وأن ينكح على هذا مفعول بالاستطاعة أو بالمصدر ( والله أعلم بإيمانكم ) معناه أنه يعلم بواطن الأمور ولكم ظواهرها ، فإذا كانت الأمة ظاهرة الإيمان ، فنكاحها صحيح ، وعلم باطنها إلى الله ( بعضكم من بعض ) أي إماءكم منكم ، وهذا تأنيس بنكاح الإماء ، لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك ( فانكحوهن بإذن أهلهن ) أي بإذن ساداتهن المالكين لهن ( وآتوهن أجورهن ) أي صدقاتهن ، وهذا يقتضي أنهن أحق بصدقاتهن من ساداتهن ، وهو مذهب مالك ( بالمعروف ) أي بالشرع على ما تقتضيه السنة ( بمحصات غير مسافحات ) أي عفيفات غير زانيات ، وهو منصوب على الحال والعامل فيه فانكحوهن ( ولا متخذات أخدان ) جمع خدن وهو الخليل ، وكان من نساء الجاهلية من تتخذ خدناً تزني معه خاصة ، ومنهن من كانت لا ترد يد لأمس ( فإذا أحصن فإن أنثين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ) معنى ذلك أن الأمة إذا زنت بعد أن أحصنت فعليها نصف حد الحرة ، فإن الحرة تجلد في الزنا مائة جلدة ، والأمة تجلد خمسين ، فإذا أحصن يريد به هنا تزوجن ، والفاحشة هنا الزنا ، والمحصات هنا الحرائر ، والعذاب هنا الحد فاقترضت الآية حد الأمة إذا زنت بعد أن تزوجت ويؤخذ حد غير المتزوجة من السنة وهو مثل حد المتزوجة وهذا على قراءة أحصن بضم الهمزة وكسر الصاد ، وقرئ بفتحهما ، ومعناه أسلن ، وقيل تزوجن ( ذلك لمن خشى العنت منكم ) الإشارة إلى تزوج الأمة أي إنما يجوز لمن خشى على نفسه الزنا ، لا لمن يملك نفسه ( وأن تصبروا خير لكم ) المراد الصبر عن نكاح الإماء ، وهذا يندب إلى تركه ، وعلمته ما يؤدى إليه من استرقاق الولد ( يريد الله ليبين لكم ) قال الزمخشري أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في لا أبالك لتأكيد إضافة الأب ، وقال الكوفيون اللام مصدرية مثل أن ( ويهديكم سنن الدين من قبلكم ) أي يهديكم منهاج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم ( والله يريد أن يتوب عليكم ) كرر توطئة لفساد إرادة الذين يتبعون الشهوات ، وهم هنا الزناة عند مجاهد ، وقيل المجرس لنكاحهم ذات المحارم ، وقيل عام في كل

لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا \* وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَاءَ مَنْ مَاتَهُنَّ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا \* وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَا وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ

متبع شهوة وهو أرجح ( يريد الله أن يخفف عنكم ) يقتضى سياق الكلام التخفيف الذى وقع فى إباحة نكاح الإماء وهو مع ذلك عام فى كل ماخفف الله عن عباده ، وجعل دينه يسرا ( وخلق الإنسان ضعيفا ) قيل معناه لا يصبر على النساء ، وذلك مقتضى سياق الكلام ، واللفظ أعم من ذلك ( لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) يدخل فيه القمار والغصب والسرقة وغير ذلك ( إلا أن تكون تجارة ) استثناء منقطع والمعنى لكن إن كانت تجارة فكلوها ، وفى إباحة التجارة دليل على أنه يجوز للإنسان أن يشتري بدرهم سلعة تساوى مائة ، والمشهور لإمضاء البيع ، وحكى عن ابن وهب أنه يرد إذا كان الغبن أكثر من الثلث وموضع أن نصب ، وتجارة بالرفع فاعل تكون رهي تامة ، وقرئ بالنصب خبر تكون وهى ناقصة ( عن تراض منكم ) أى اتفاق وبهذا استدل المالكية على تمام البيع بالعقد دون التفرق وقان الشافعى : إنما يتم بالتفرق بالأبدان ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا ( ولا تقتلوا أنفسكم ) قال ابن عطية ، أجمع المفسرون أن المعنى : لا يقتل بعضهم بعضا ، قلت ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه ، وقد حملها عمرو بن العاص على ذلك ، ولم ينكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ سمعه ( ومن يفعل ذلك ) إشارة إلى القتل ، لأنه أقرب مذكور ، وقيل إليه وإلى أكل المال بالباطل ، وقيل إلى كل ما تقدم من المنهيات من أول السورة ( إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ) اختلف الناس فى الكبائر ماهى ، فقال ابن عباس : الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب ، وقال ابن مسعود الكبائر هى الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى أول هذه الآية ، وقال بعض العلماء : كل ما عصى الله به ، فهو كبيرة ، وعندها بعضهم سبعة عشر ، وفى البخارى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اتقوا السبع الموبقات : الإشراف بالله والسحر ، وقتل النفس ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، فلا شك أن هذه من الكبائر للنص عليها فى الحديث ، وزاد بعضهم عليها أشياء ، وورد فى الأحاديث النص على أنها كبائر ، وورد فى القرآن أو فى الحديث وعيد عليها ، فمنها عقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، واليمين الغموس والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والنهبة ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن مكر الله ، ومنع ابن السبيل الماء والإلحاد فى البيت الحرام ، والنميمة ، وترك التحرز من البول والغلول واستطالة المرء فى عرض أخيه ، والجور فى الحكم ( نكفر عنكم سيئاتكم ) وعدبغفران الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر ( مدخلا كريما ) اسم مكان وهو هنا الجنة ( ولا تتمنوا ) الآية : سبها أن النساء قلن ليتنا استويننا مع الرجال فى الميراث وشاركناهم فى الغزو ، فنزلت نهيا عن ذلك لأن فى تمنيمهم رد على حكم الشريعة ، فدخل فى النهى تمنى مخالفة الأحكام الشرعية كلها ( للرجال نصيب مما اكتسبوا ) الآية : أى من الأجر والحسنات ، وقيل من الميراث ،

اللَّهِ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا \* وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ  
نَصِيحَتَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا \* الرَّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ  
وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَاصْلَحُوا لِقَابِ اللَّهِ قَاتِلْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ  
فَعُظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا  
وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ

ويرده لفظ الاكتساب (ولكل جعلنا موالى) الآية: في معناه وجهان: أحدهما لكل شيء من الاموال جعلنا موالى يرثونه، فما ترك على هذا بيان لكل، والآخر لكل أحد جعلنا موالى يرثون مما ترك الوالدان والاقربون، فما ترك على هذا: يتعلق بفعل مضمر، والموالى هنا الورثة والعصبة (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيحتهم) اختلف هل هي منسوخة أو محكمة فالذين قالوا إنها منسوخة قالوا معناها الميراث بالخلف الذى كان فى الجاهلية، وقيل بالمؤاخاة التى آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين أصحابه، ثم نسخها. وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض، فصار الميراث للأقارب والذين قالوا إنها محكمة: اختلفوا، فقال ابن عباس هى فى المؤازرة والنصرة بالخلف لافى الميراث به، وقال أبو حنيفة: هى فى الميراث، وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر، على أن يتوارثا صح ذلك، وإن لم تكن بينهما قرابة (الرجال قوامون على النساء) قوام بناء مبالغة من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه، قال ابن عباس: الرجال أمراء على النساء (بما فضل الله) الباء للتعليل، وما مصدرية، والتفضيل بالإمارة والجهاد، وملك الطلاق وكال العقل وغير ذلك (وبما أنفقوا) هو الصداق والنفقة المستمرة (فالصالحات قاتت) أى النساء الصالحات فى دينهن مطيعات لأزواجهن أو مطيعه لله فى حق أزواجهن (حافظات للغيب) أى تحفظ كلما غاب عن علم زوجها فيدخل فى ذلك صيانة نفسها وحفظ ماله وبيته وحفظ أسرارها (بما حفظ الله) أى بحفظ الله ورعايته، أو بأمره للنساء أن يطعن الزوج ويحفظنه، فما مصدرية أو بمعنى الذى (واللاتى تخافون نشوزهن) قيل الخرف هنا اليقين (فعظوهن وأهجروهن فى المضاجع واضربوهن) هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهى على مراتب: بالوعظ فى النشوز الخفيف والهجران فيما هو أشد منه، والضرب فيما هو أشد ومتى انتهت عن النشوز بوجه من التأديب: لم يتعد إلى ما بعده والهجران هنا هو ترك مضاجعتها، وقيل ترك الجماع إذا ضاجعها، والضرب غير مبرح (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى إذا أطاعت المرأة زوجها فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب (وإن خفتم شقاق بينهما) الشقاق الشر والعداوة وكان الأصل إن خفتم شقاق بينهما، ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريق الاتساع لقوله تعالى: بل مكر الليل والنهار، وأصله مكر بالليل والنهار (فابغوا حكما) الآية. ذكر تعالى الحكم فى نشوز المرأة، والحكم فى طاعتها، ثم ذكر هنا حالة أخرى، وهى ما إذا ساء ما بين الزوجين ولم يقدر على الإصلاح بينهما، ولا علم من الظالم منهما، فيبعث حكمان مسلمان لينظرا فى أمرهما، وينفذ ما ظهر لهما من تظليق وخلع

كَانَ عَلِيًّا خَيْرًا هَ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ  
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ  
كَانَ مُخْتَلًا خُورًا \* الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا  
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا \* وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ  
يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا \* وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ  
وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا \* إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا \*  
فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا \* يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا

من غير إذن الزوج ، وقال أبو حنيفة ليس لها الفراق إلا إن جعل لها ، وإن اختلفا لم يلزم شيء إلا باتفاقهما  
ومشهور مذهب مالك أن الحاكم هو الذي يبعث الحكيم ، وقيل يبعثها الزوجان ، وجرت عادة القضاة  
أن يبعثوا امرأة أمينة ، ولا يبعثوا حكيم ، قال بعض العلماء هذا تغيير لحكم القرآن والسنة الجارية ( من  
أهله وحكام أهلها ) يجوز في المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين ، والأكمل أن يكونا من أهلها  
كأذكر الله ( إن يريد إصلاحا يوفق الله بينهما ) الضمير في يريد للحكيم ، وفي بينهما للزوجين على الأظهر ، وقيل  
الضميران للزوجين ، وقيل للحكيم ( والجار ذى القربى والجار الجنب ) قال ابن عباس الجار ذى القربى هو القريب  
النسب والجار الجنب هو الأجنبي ، وقيل ذى القربى القريب المسكن منك ، والجنب البعيد المسكن عنك ، وحد  
الجوار عند بعضهم أربعون ذراعا من كل ناحية ( الصاحب بالجنب ) قال ابن عباس الرفيق فى السعى ، وقال  
على بن أبى طالب الزوجة ( مختالا ) اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلاء وهو الكبر وإعجاب المرء بنفسه ( خورا )  
شديد الفخر ( الذين يبخلون ) بدل من قوله مختالا أو نصب على الذم أو رفع بخبر ابتداء مضمرا أو مبتدأ وخبره محذوف  
تقديره يعذبون ، والآية فى اليهود : نزلت فى قوم منهم كحى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت كانوا يقولون  
للأنصار لا تنفقوا أموالكم فى الجهاد والصدقات وهى مع ذلك عامة من فعل هذه الأفعال من المسلمين ( والذين  
ينفقون ) عطف على الذين يبخلون ، وقيل على الكافرين ، والآية فى المنافقين الذين كانوا ينفقون فى الزكاة والجهاد  
رياء ومصانعة ، وقيل فى اليهود ، وقيل فى مشركى مكة الذين أنفقوا أموالهم فى حرب المسلمين ( قرينا ) أى ملازما  
له يغويه ( وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ) الآية : استدعاء لهم كملاطفة أو توبيخ على ترك الإيمان  
والإنفاق ، كأنه يقول أى مضرة عليهم فى ذلك ( ميثقال ذرة ) أى وزنها ، وهى النملة الصغيرة ، وذلك تمثيل  
بالقليل تنبيها على الكثير ( وإن تك حسنة ) بالرفع فاعل وتك تامة ، وبالنصب خبر على أنها ناقصة واسمها  
مضمرفها ( يضاعفها ) أى يكثرها واحد البربعشر إلى سبعمائة أو أكثر ( ويؤت من لده ) أى من عنده تفضلا  
وزيادة على ثواب العمل ( فكيف إذا جئنا ) تقديره كيف يكون الحال إذا جئنا ( بشهيد ) هو نبيهم يشهد عليهم  
بأعمالهم ( وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ) أى تشهد على قومك ، ولما قرأ ابن مسعود هذه الآية على رسول الله

الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

صلى الله عليه وآله وسلم ذرفت عيناه (لو تسوى بهم الأرض) أى يتمنون أن يدفنوا فيها، ثم تسوى بهم كما تسوى بالموتى وقيل يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض كقوله ويقول الكافر باليتى كنت ترابا، وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة (ولا يكتُمون الله حديثا) استئناف إخبار أنهم لا يكتُمون يوم القيامة عن الله شيئا فإن قيل كيف هذا مع قولهم هو الله ربنا، أكننا مشركين؟ فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الكتم لا ينفعهم لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم فكأنهم لم يكتُموا، والآخر أنهم طوائف مختلفة، ولهم أوقات مختلفة، وقيل إن قوله: ولا يكتُمون عطف على تسوى أى يتمنون أن لا يكتُموا إلاهم إذا كتموا افتضحوا (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) سببها أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها، ثم قاموا إلى الصلاة وأتهم أحدهم فحفظ في القراءة فغناها النهى عن الصلاة في حال السكر قال بعض الناس: هى منسوخة بتحريم الخمر، وذلك لا يلزم لأنها ليس فيها ما يقتضى إباحة الخمر وإنما هى نهى عن الصلاة فى حال السكر وذلك الحكم الثابت فى حين إباحة الخمر وفى حين تحريمها، وقال بعضهم معناها: لا يكتُمون سكر يمنع قرب الصلاة، إذ المرء مأمور بالصلاة فكأنها تقتضى النهى عن السكر وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ (حتى تعلموا ما تقولون) حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون ما تقرؤون ويظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول فأخذ بعض الناس من ذلك أن السكران لا يلزم طلاقه ولا إقراره (ولا جنبا إلا عابرى سبيل) عطف ولا جنبا على موضع وأنتم سكارى إذ هو فى موضع الحال والجنب هنا غير الطاهر بإنزال أو إيلاج وهو واقع على جماعة بدليل استثناء الجمع منه واختلف فى عابرى سبيل فقيل إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا: نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا فى السفر فيصلح بالتييم دون اغتسال، فمقتضى الآية: إباحة التيمم للجنب فى السفر، ويؤخذ إباحة التيمم للجنب فى الحضر من الحديث، وقيل عابرى السبيل المأز فى المسجد، والصلاة هما يراد بها المسجد، لأنه موضع الصلاة فمضى الآية على هذا النهى أن يقرب المسجد للجنب إلا خاطرا عليه وعلى هذا أخذ الشافعى بأنه يجوز للجنب أن يمر فى المسجد، ولا يجوز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود (وإن كنتم مرضى أو على سفر) الآية سببها عدم الصحابة الماء فى غزوة المريسيع فأبيح لهم التيمم لعدم الماء ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه: أحدها عدمه فى السفر، والثانى عدمه فى المرض، فيجوز التيمم فى هذين الوجهين بإجماع، لأن الآية نص فى المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما، لقوله: وإن كنتم مرضى أو على سفر، ثم قال فلم تجدوا ماء. الوجه الثالث: عدم الماء فى الحضر دون مرض، فأخلف الفقهاء فيه، فذهب أبو حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم، لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر، ومذهب مالك والشافعى أنه يجوز فيه التيمم فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السنة وإن قلنا إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها، وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر فى أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الأحداث دون مرض ولا سفر ثم قال بعد ذلك كله: فلم تجدوا ماء فيرجع قوله فلم تجدوا ماء إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث فى غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء فى غير مرض ولا سفر، فيكون فى الآية حجة لمالك والشافعى، ويجوز التيمم أيضا فى مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة وإن قلنا إن السنة تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا  
بُيُوتِهِمْ وَأَيْدِيَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَفْوًا غُفُورًا \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَلَةَ

على أن يتناول قوله إن كنتم مرضى أن معناه مرضى لا تقدرُونَ على مس الماء، وحد المرض الذى يجوز فيه التيمم عند مالك، هو أن يخاف الموت أو زيادة المرض أو تأخر البرء، وعند الشافعى خوف الموت لا غير، وحد السفر الغيبة عن الحضر كان مما تقصر فيه الصلاة أم لا (أوجاه أحد منكم) فى أو هنا تأويلان: أحدهما أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها، والآخر أنها بمعنى الواو، فعلى القول بأنها على بابها يكون قوله فلم تجدوا ماء راجعا إلى المريض والمسافر، وإلى من جاء من الغائط، وإلى من لامس، سواء كانا مريضين أو مسافرين، أم حسبما ذكرنا قبل هذا، فيقتضى ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، وهو مذهب مالك والشافعى، فيكون فى الآية حجة لهما، وعلى القول بأنها بمعنى الواو يكون قوله «فلم تجدوا ماء» راجعا إلى المريض والمسافر، فيقتضى ذلك أنه لا يجوز التيمم إلا فى المرض والسفر مع عدم الماء، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر، والراجح أن تكون أو على بابها لوجهين: أحدهما أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها وذلك ضعيف، والآخر إن كانت على بابها: كان فيها فائدة لإباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو لم تعط هذه الفائدة، وحجة من جعلها بمعنى الواو أنه لو جعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليها، وهذا لا يلزم، لأن العطف بأوهنا للتنويع والتفصيل ومعنى الآية كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أو على سفر وأحدثتم فى غير مرض ولا سفر (الغائط) أصله المكان المنخفض، وهو هنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين، وهو العذرة والريح، والبول، لأن من ذهب إلى الغائط يكون منه هذه الأحداث الثلاث، وقيل إنما هو كناية عن العذرة وأما البول والريح، فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة، وكذلك الودى والمذى (أو لامستم النساء) اختلف فى المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال: أحدها أنها الجماع ومادونه من التقبيل واللمس باليد وغيرها، وهو قول مالك، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذى هو دون الجماع على تفصيل فى المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم، والقول الثانى أنها مادون الجماع، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس، ولا يجوز التيمم للجنب وقد قال بذلك عمر بن الخطاب ويؤخذ جوازه من الحديث والثالث أنها الجماع فعلى هذا يجوز التيمم للجنب ولا يكون مادون الجماع ناقضا للوضوء وهو مذهب أبى حنيفة (فلم تجدوا ماء) هذا يفيد وجوب طلب الماء وهو مذهب مالك خلافا لأبى حنيفة فإن وجده بشمن فاختلف هل يجوز له التيمم أم لا وإن وهب له فاختلف هل يلزم قبوله أم لا (فتيمموا) التيمم فى اللغة القصد وفى الفقه الطهارة بالتراب وهو منقول من المعنى اللغوى (صعيدا طيبا) الصعيد عند مالك هو وجه الأرض كان ترابا أو رملا أو حجارة فأجاز التيمم بذلك كله وهو عند الشافعى التراب لا غير والطيب هنا الطاهر واختلف فى التيمم بالمعادن كالذهب وبالملح وبالتراب المنقول كالمجوعول فى طبق، وبالأجر، وبالجص المطبوخ، وبالجدار، وبالنبات الذى على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف فى معنى الصعيد (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) لا يكون التيمم إلا فى هذين العضوين، ويقدم الوجه على اليدين لظاهر

وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ \* وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا \* مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا \* إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ \* وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ

الآية ، وذلك على الندب عندمالك ، ويستوعب الوجه بالمسح ، وأما اليدان فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين ، ولفظ الآية محتمل ، لأنه لم يحد ، وقد احتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق ، فيحمل على المقيد ، وهو تحديدها في الوضوء بالمرفقين (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود هنا وفي الموضع الثاني قال السهيلي : فالموضع الأول نزل في رفاعه بن زيد بن تابوت ، وفي الثاني نزل في كعب بن الأشرف (يشترون الضلالة) عبارة عن إثارة الكفر على الإيمان فالشراء مجاز كقوله «اشتروا الضلالة بالهدى» ، وفي تكرار قوله كفى بالله مبالغة (من الذين هادوا) من راجعة إلى الذين أوتوا نصيبا ، أو إلى أعدائكم ، فهي بيان ، وقال الفارسي : هي ابتداء كلام تقديره . من الذين هادوا قوم وقيل هي متعلقة بنصير اعلى قول الفارسي (يحرفون الكلم) يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى ، وقيل الكلم هنا التوراة ، وقيل كلام النبي صلى الله عليه وسلم (غير مسمع) معناه لا سمعت (راعنا) ذكر في البقرة (سمعنا وأطعنا) عوض من قولهم سمعنا وعصينا ، واسمع عوض من قولهم اسمع غير مسمع ، وانظرنا عوض من قولهم راعنا ، وهو النظر أو الانتظار ، فهذه الأشياء الثلاثة في مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم على قولها لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الآخر عوضا عن تلك : لكان خيرا لهم ، فإن هذه ليس فيها سوء أدب (مصداقا) ذكر في البقرة (أن نطمس وجوها) قال ابن عباس طمسها : أن تزال العيون منها ، وترد في القفا ، فيكون ذلك ردا على الدبر ، وقيل طمسها محو تخطيط صورها من أنف أو عين أو حاجب حتى تصير كالآدابار في خلوها عن الحواس (أو نلعنهم) أي نمسخهم كما مسخ أصحاب السبت ، وقد ذكر في البقرة ، أو يكون من اللعن المعروف ، والضمير يعود على الوجوه ، والمراد أصحابها ، أو على الذين أوتوا الكتاب على الالتفات (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد وهي المبينة لما تعارض فيها من الآيات ، وهي الحججة لأهل السنة ، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة ، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله ، إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم ، وحجتهم هذه الآية ، فإنها نص في هذا المعنى ، ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بدسواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبار ومرجئة المعتزلة أنهم يعذبون على الكبار ولا بد ، ويرد على الطائفتين قوله «ويغفر ما دون ذلك» ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان ، ويرد عليهم قوله : لمن يشاء ، فإنه

أَنفُسُهُمْ بَلِ اللَّهُ يَرْكِي مِنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا \* أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا  
 مُبِينًا \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجُبِّ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا  
 هَؤُلَاءِ آهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا \* أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجْدَ لَهُ نَصِيرًا \*  
 أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا \* أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ  
 ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَهُم مَّلَكًا عَظِيمًا \* فَهُمْ مِّنْ ءَامِنٍ بِهِ وَمِنَهُمْ مَّنْ صَدَّعَهُ

تخصيص لبعض العصاة ، وقد تأملت المعتزلة الآية على مذهبهم ، فقالوا لمن يشاء ، وهو التائب لاخلاف أنه لا يعذب ، وهذا التأويل بعيد ، لأن قوله « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، في غير التائب من الشرك وكذلك قوله ويغفر مادون ذلك لمن يشاء في غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وأخرها على نسق واحد ، وتأولتها المرجئة على مذهبهم ، فقالوا لمن يشاء : معناه لمن يشاء أن يؤمن ، وهذا أيضا بعيد ، لا يقتضيه اللفظ وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد فحملها المعتزلة على العصاة وحملها المرجئة على الكفار ، وحملها أهل السنة على الكفار ، وعلى من لا يغفر الله له من العصاة غير التائبين ، فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آية الوعد وآية الوعيد ، بل يجمع بين معانيها ، بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تتعارض ، وتحليل المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره : غفر له بإجماع ، وإن مات على كفره : لم يغفر له ، وخلد في النار بإجماع ، وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له ، وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه (الذين يزكون أنفسهم) هم اليهود لعنهم الله ، وتزكيتهم قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقيل مدحهم لأنفسهم (فتيلا) القتل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة ، وقيل ما يخرج بين أصبعيك وكفيك إذا فتلتها ، هو تمثيل وعبرة عن أقل الأشياء فيدل على الأكثر بطريق الأولى (يفترون) دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل (يؤمنون بالجبت والطاغوت) قال ابن عباس : الجبت هو حي بن أخطب ، والطاغوت كعب بن الأشرف ، وقال عمر بن الخطاب : الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، وقيل الجبت الكاهن ، والطاغوت الساحر ، وبالجملة هما كل ما عبد وأطيع من دون الله (ويقولون للذين كفروا) الآية : سبها أن حي بن أخطب وكعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود ، قالوا لكفار قريش أتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه (أم لهم نصيب من الملك) الهمة للاستفهام مع الإنكار (نقيرا) التقير هي النقرة في ظهر النواة وهو تمثيل ، وعبرة عن أقل الأشياء والمراد وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك ، وأنهم حينئذ يدخلون بالنقير الذي هو أقل الأشياء ويخجلون بما هو أكثر منه من باب أولى (أم يحسدون الناس) وصفهم بالحسد مع البخل ، والناس هنا يراد بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمة ، والفضل النبوة ، وقيل النصر والعزة ، وقيل الناس العرب والفضل كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة) المراد بآل إبراهيم ذريته من بني إسرائيل وغيرهم من آتاه الله الكتاب التي أنزلها والحكمة

وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَلْبًا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا \* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا \* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمْنَةَ إِلَىٰ آهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتِ الْمُنَافِقِينَ يُصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا \* فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ

التي علمها ، والمقصود بالآية الرد على اليهود في حسدهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعناها إلزام لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم فلا شيء يخصون محمداً صلى الله عليه وسلم بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم (ملكاً عظيماً) الملك في آل إبراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان (فمنهم من آمن به) الآية : قيل المراد من اليهود من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بالقرآن المذكور في قوله تعالى : مصدقاً لما معكم ، أو بما ذكر من حديث إبراهيم ، فهذه ثلاثة أوجه في ضميره ، وقيل منهم أى من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ، ومنهم من كفر : كقوله تعالى : فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (كلما نضجت جلودهم) الآية قيل تبدل لهم جلود بعد جلود أخرى إذ نفوسهم هي المعذبة وقيل تبدل الجلود تغيير صفاتها بالنار ، وقيل الجلود السراويل وهو بعيد (أزواج مطهرة) ذكر في البقرة (ظلال ظليل) صفة من لفظ الظل للتأكيد : أى دائماً لا تنسخه الشمس وقيل نفي الحر والبرد (إن الله يأمركم) الآية : قيل هي خطاب للولاية وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم حين أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ولفظها عام ، وكذلك حكمها (وأولوا الأمر) هم الولاية ، وقيل العلماء نزلت في عبد الله بن حذافة بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سرية (فردوه إلى الله والرسول) الرد إلى الله هو النظر في كتابه ، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو سؤاله في حياته والنظر في سنته بعد وفاته (إن كنتم) يجتمل أن يكون هذا الشرط راجعاً إلى قوله فردوه أو إلى قوله أطيعوا ، والأول أظهر لأنه أقرب إليه (وأحسن تأويلاً) أى ما لا وعاقبة وقيل أحسن نظراً منكم (الذين يزعمون) الآية : نزلت في المنافقين ، وقيل في منافق ويهودى كان بينهما خصومة فتحاكى إلى كعب بن الأشرف اليهودى وقيل إلى كاهن (رأيت المنافقين) وضع الظاهر موضع المضمر ليذمهم بالنفاق ، ودل ذلك على أن الآية المتقدمة نزلت في المنافقين (فكيف إذا أصابتهم مصيبة) الآية : أى كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم (ثم جاؤك

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا \* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا \* فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا \* وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا \* وَإِذًا لَآتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا \* وَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا \* وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا \* ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفُرُوا ثَبَاتٍ أَوْ انفُرُوا جَمِيعًا

يحلِفون بالله) يحتمل أن يكون هذا معطوفا على ما قبله أو يكون معطوفا على قوله يصعدون ، ويكون قوله فكيف إذا أصابتهم اعتراضا (فأعرض عنهم) أى عن معاقبتهم ، وليس المراد بالأعراض القطيعة لقوله وعظهم (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية : وعد بالمغفرة لمن استغفر ، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة ومعنى جاؤك أتوك تائبين معتردين من ذنوبهم يطلبون أن تستغفر لهم الله ( فلا وربك) لاهنا مؤكدة للنفي الذى بعدها (شجر بينهم) أى اختلطوا واخلتفوا فيه ، ومعنى الآية أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ونزلت بسبب المنافقين الذين تخاصموا ، وقيل بسبب خصام الزبير مع رجل من الأنصار فى الماء وحكمها عام (ولو أنا كتبنا عليهم) الآية : معناها لو فرض عليهم ما فرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها لقلّة انقيادهم إلا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقا ، وقد روى أن من هؤلاء القليل أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس (إلا قليل) بالرفع بدل من المضمرة وقرأ ابن عامر وحده بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا (ما يوعظون به) من اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته والانقياد له (وأشدّ تثبيتا) أى تخفيفا لإيمانهم (وإذا آتيناهم) جواب لسؤال مقدر عن حالهم لو فعلوا ذلك (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) ثواب على الطاعة أى هم معهم فى الجنة ، وهذه الآية مفسرة لقوله تعالى وصراط الذين أنعمت عليهم ، والصديق فعيل من الصدق ، ومن التصديق ، والمراد به المبالغة ، والصديقون أرفع الناس درجة بعد الأنبياء ، والشهداء المقتولون فى سبيل الله ومن جرى مجراه من سائر الشهداء كالغريق وصاحب الهدم حسبما ورد فى الحديث أنهم سبعة (وحسن أولئك رفيقا) الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة والرفيق يقع على الواحد والجماعة كالحليط ، وهو مفرد بين به الجنس ، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التى ينال بها مرافقة هؤلاء (ذلك الفضل) الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر فى الجنة ، والفضل صفة أو خبر (خذوا حذركم) أى تحرزوا من عدوكم واستعدوا له (فانفروا ثبات) أى اخرجوا للجهاد جماعات متفرقين

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا \* وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ  
 فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْمِئْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا \* فليقتل  
 في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه  
 أجرًا عظيمًا \* وما لكم لا تقتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون  
 ربنا أخرجنا من ههنا القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا \*  
 الذين آمنوا يقتلون في سبيل الله والذين كفروا يقتلون في سبيل الطاغوت فقتلوا أولياء الشيطان  
 إن كيد الشيطان كان ضعيفا \* ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة  
 فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا  
 القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلا \*  
 أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن

وذلك كناية عن السرايا ، وقيل لأن الثبته مافوق العشرة ، ووزنها فعلة بفتح العين ولاهما محذوفة (أو انفروا  
 جميعا) أي مجتمعين في الجيش الكشيف غيرهم في الخروج إلى الغزو في قلة أو كثرة (وإن منكم لمن ليبطئن) الخطاب  
 للمؤمنين ، والمراد بمن المنافقين وعبر عنهم بمنكم إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين ، ويقولون آمنا ، واللام  
 في لمن للتأكيد ، وفي ليبطئن جواب قسم محذوف ، ومعناه يبطئ غيره يبطئه عن الجهاد ويحمله على التخلف  
 عن الغزو ، وقيل يبطئ يتخلف هو عن الغزو ويتناقل (فإن أصابتكم مصيبة) أي قتل وهزيمة والمعنى أن  
 المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا وشهدا معناه حاضرا معهم (وإن أصابكم فضل من الله) أي نصر  
 وغنيمة ، والمعنى أن المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون معهم (كأن لم تكن بينكم  
 وبينه مودة) جملة اعتراض بين العامل ومعموله فلا يجوز الوقف عليها وهذه المودة في ظاهر المنافق لافي اعتقاده  
 (الذين يشرون) أي يبيعون (فيقتل أو يغلب) ذكر الحالتين للمقاتل ووعد بالأجر على كل واحدة منهما  
 (وما لكم لا تقاتلون) تحريض على القتال ، وما مبتدأ والجار والمجرور خبر ولا تقاتلون في موضع  
 الحال ، والمستضعفين هم الذين حبسهم مشركوا قريش بمكة ليفتنوهم عن الإسلام ، وهو عطف على اسم الله  
 أو مفعول معه (القرية الظالم أهلها) هي مكة حين كانت للمشركين (يقاتلون في سبيل الله) وما بعده  
 إخبار قصد به تقوية قلوب المسلمين وتحريضهم على القتال (الذين قيل لهم كفوا أيديكم) الآية : قيل  
 هي في قوم من الصحابة كانوا قد أمروا بالكف عن القتال قيل أن يفرض الجهاد ، فتمنوا أن يؤمروا  
 به ، فلما أمروا به كرهوه ، لاشكا في دينهم ، ولكن خوفا من الموت ، وقيل هي في المنافقين وهو أليق في  
 سياق الكلام (متاع الدنيا قليل) وما بعده تحقير للدنيا فضمن الرد عليهم في كراهتهم للموت (في بروج مشيدة)

تصهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً \*  
 ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا \*  
 من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفیظا ۝ ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك  
 بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكیلا \*  
 أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا \* وإذا جاءهم أمر من الأمن  
 أو الخوف أذاعوا به ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلهم يستنبطونه منهم ولولا فضل الله

أى فى حصون منیعة ، وقيل المشیدة المطولة وقيل المبذبة بالشید وهو الجص ( إن تصبهم حسنة ) الحسنة هنا النصر والغنیمة وشبه ذلك من المحبوبات ، والسیئة الهزيمة والجوع وشبه ذلك ، والضمیر فى تصبهم وفى یقول للذین قیل لهم كفوا أیدیكم ، وهذا یدل على أنها فى المناقین ، لأن المؤمنین لا یقولون للنبی صلی الله علیه وسلم إن السیئات من عنده ( قل كل من عند الله ) رد على من نسب السیئة إلى رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ، وإعلام أن السیئة والحسنة والخیر والشر من عند الله أى بقضائه وقدره ( فما لهؤلاء القوم ) تویح لهم على قلة فهمهم ( ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ) خطاب للنبي صلی الله علیه وآله وسلم والمراد به كل مخاطب على الإطلاق فدخل فيه غيره من الناس ، وفيه تأويلان : أحدهما نسبة الحسنة إلى الله والسیئة إلى العبد تأدبا مع الله فى الكلام ، وإن كان كل شىء منه فى الحقيقة ، وذلك كقوله علیه الصلاة والسلام ، والخیر كله بیديك والشر ليس إليك وأیضا فنسبة السیئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه ، لقوله : وما أصابكم من مصیبة فمما كسبت أیدیكم ، فهى من العبد بتسببه فیها ، ومن الله بالخلق والاختراع ، والثانى : أن هذا من كلام القوم المذکورین قبل ، والتقدير یقولون كذا ، فمعناها كعنى التى قبلها ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) هذه الآیة من فضائل رسول الله صلی الله علیه وعلى آله وسلم ، وإنما كانت طاعته كطاعة الله لأنه یأمر وينهى عن الله ( ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفیظا ) أى من أعرض عن طاعتك ، فما أنت علیه بحفیظ تحفظ أعماله ، بل حسابه وجزاؤه على الله ، وفى هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال ( ویقولون طاعة ) أى أمرنا وشأننا طاعة لك ، وهى فى المناقین یأحاج ( بیت طائفة منهم غیر الذى تقول ) بیت أى تدبر الأمر باللیل ، والضمیر فى تقول للمخاطب ، وهو النبی صلی الله تعالى علیه وعلى آله وسلم أو للطائفة ( فأعرض عنهم ) أى لاتماقهم ( أفلا یتدبرون القرآن ) حض على التفکر فى معانیه لتظهر أدلته وبراهینه ( اختلافا كثيرا ) أى تناقضا كما فى كلام البشر أو تماوتا فى الفصاحة لكن القرآن منزه عن ذلك ، فدل على أنه كلام الله ، وإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا فى شىء من القرآن ، فالواجب أن یتهم نظره ویسأل أهل العلم ویطالع تألیفهم ، حتى یعلم أن ذلك لیس باختلاف ( وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ) قیل هم المناقون وقیل قوم من ضعفاء المسلمین كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش أو غیر ذلك أذاعوا به أى تكلموا به

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَا تَتَّبِعُوا الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا \* فَقَتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى  
اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا \* مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ  
مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا \* وَإِذَا حُجِّمَتْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا  
بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وشهروه قبل أن يعلموا صحته ، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين مع ما في ذلك من العجلة وقلة التثبت ،  
فأنكر الله ذلك عليهم (ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أى لو ترك  
هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذى بلغهم ورده إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم  
وإلى أولى الأمر ، وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم ، لعلمه القوم الذين يستنبطونه أى يستخرجونه من  
الرسول وأولى الأمر فالذين يستنبطونه على هذا طائفة من المسلمين يسألون عنه الرسول صلى الله تعالى عليه  
وآله وسلم وأولى الأمر وحرف الجر في قوله يستنبطونه منهم لا بتداه الغاية وهو يتعلق بالفعل والضمير  
المجرور يعود على الرسول وأولى الأمر ، وقيل الذين يستنبطونه هم أولوا الأمر ، كما جاء في الحديث عن عمر  
رضى الله عنه أنه سمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه ، فدخل عليه ، فقال : أطلقت نساءك ؟  
فقال لا ، فقام على باب المسجد ، فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلق نساءه ، فأنزل الله هذه  
القصة ، قال وأنا الذى استنبطته ، فعلى هذا يستنبطونه هم أولوا الأمر ، والضمير المجرور يعود عليهم ، ومنهم  
ليان الجنس ، واستنباطه على هذا هو سؤالهم عنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالنظر والبحث ، واستنباطه  
على التأويل الأول وهو سؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام وأولى الأمر (ولولا فضل الله  
عليكم ورحمته ) أى هداه وتوفيقه ، أو بعثه للرسول ، وإنزاله للكتب ، والخطاب في هذه الآية للمؤمنين  
(إلا قليلا) أى إلا اتباعا قليلا فالاستثناء من المصدر ، والمعنى لو لافضل الله ورحمته لا تتبعتم الشيطان إلا فى أمور  
قليلة كنتم لا تتبعونه فيها ، وقيل إنه استثناء من الفاعل فى اتبعتم أى إلا قليلا منكم وهو الذى يقتضيه اللفظ وهم  
الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان كورقة بن نوفل ، والفضل والرحمة على بعث الرسول وإنزال  
الكتاب ، وقيل إن الاستثناء من قوله أذاعوا به (لا تكلف إلا نفسك) لما تناقل بعض الناس عن القتال  
قيل هذا للنبي صلى الله عليه وسلم أى إن أوردك فقاتل وحدك فإنما عليك ذلك (وحرص المؤمنين) أى ليس عليك  
فى شأن المؤمنين إلا التحريض (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) قيل عسى من الله واجبة ، والذين  
كفروا هنا قريش وقد كلفهم الله بهزيمتهم فى بدر وغيرها وبفتح مكة (وأشد تنكيلا) أى عقابا وعذابا  
(شفاة حسنة) هى الشفاة فى مسلم لتفرج عنه كربة ، أو تدفع مظلة أو يجلب إليه خيرا والشفاة السيئة بخلاف  
ذلك وقيل الشفاة الحسنة هى الطاعة والشفاة السيئة هى المعصية ، والأول أظهر ، والكفل هو النصيب (مقيتا)  
قيل قديرا ، وقيل حفيظا ، وقيل الذى يقيت الحيوان أى يرزقهم القوت (فحيوا بأحسن منها أو ردها) معنى  
ذلك الأمر برد السلام والتخيير بين أن يرد بمثل ما سلم عليه أو بأحسن منه والأحسن أفضل مثل أن يقال له

لَارِيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا \* فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أْتَرِيدُونَ  
 أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا \* وَذُؤَالُو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً  
 فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا نَحْنُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا  
 تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَاءَ وَلَا نَصِيرًا \* إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ  
 صُدُورُهُمْ أَوْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُغْلَبُونَ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلْتُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ  
 وَالْقَوْمَ إِلَيْكُمْ أَلَّيْمًا فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا \* سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا

سلام عليك فيرد السلام ويزيد الرحمة والبركة، ورد السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي، وقال بعض الناس هو فرض عين، واختلف في الرد على الكفار، فقيل يرد عليهم لعموم الآية، وقيل لا يرد عليهم، وقيل يقال لهم عليكم، حسبما جاء في الحديث، وهو مذهب مالك ولا يبتدئون بالسلام (ليجمعنكم) جواب قسم محذوف، وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدى بإلى (ومن أصدق) لفظه استفهام، ومعناه لأحد أصدق من الله (فما لكم في المنافقين فتنين) ما استفهامية بمعنى التوبيخ، والخطاب للمسلمين، ومعنى فتنين: أي طائفتين مختلفتين، وهو منصوب على الحال، والمراد بالمنافقين هنا ما قال ابن عباس أنها نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجاراتهم، فاختلف المسلمون هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا؟ أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنين وقال زيد بن ثابت نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أحد فاختلف الصحابة في أمرهم، ويرد هذا قوله: حتى يهاجروا (أركسهم) أي أضلهم، وأهلكهم (وذؤالو تكفرون) الضمير للمنافقين أي تمنوا أن تكفروا (نخذوهم) يريد به الأسر (إلا الذين يصلون) الآية: استثناء من قوله نخذوهم وأقتلوهم ومعناها أن من وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفار المعاهدين وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة فحكمه كحكمهم في المسألة وترك قتاله وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالقتال في أول سورة براءة، قال السهيلي وغيره: الذين يصلون هم بنو مدلج بن كنانة إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق بنو خزاعة فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعنى يصلون إلى قوم: ينتهون إليهم، ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة وقيل معنى يصلون أي ينتسبون وهذا ضعيف جدا بدليل قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش، وهم أقاربه وأقارب المؤمنين فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين (أو جاؤكم حصرت صدورهم) عطف على يصلون أو على صفة قوم وهي: بينكم وبينهم ميثاق، والمعنى يختلف باختلاف ذلك، والأول أظهر، وحصرت صدورهم: في موضع الحال بدليل قراءة يعقوب حصرت، ومعناه ضاقت عن القتال وكرهته، ونزلت الآية في قوم جاؤا إلى المسلمين، وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين وكرهوا أيضا أن يقاتلوا قومهم وهم أقاربهم الكفار فأمر الله بالكف عنهم ثم نسخ أيضا ذلك بالقتال (فإن اعتزلوكم) أي إن سلموكم فلا تقاتلوهم، والسلم هنا الانقياد (ستجدون آخرين)

قَوْمَهُمْ كُلَّ مَارِدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فخذوهم  
 واقتلوهم حيث ثقتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً . وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً  
 إلا خطأً ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من  
 قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثق فدية مسلمة إلى

الآية : نزلت في قوم مخادعين وهم من أسد وخطافان كانوا إذا أتوا المدينة أسلوا وعاهدوا ليا من المسلمين  
 فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا ليا من قومهم والفتنة هنا الكفر على الأظهر ، وقيل الاختبار  
 (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً) نزلت بسبب قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد وكان الحارث  
 يعذبه على الإسلام ، ثم أسلم وهاجر ولم يعلم عياش بإسلامه فقتله ، وقيل إن الاستثناء هنا منقطع ، والمعنى  
 لا يحل لمؤمن أن يقتل مؤمناً بوجه ، لكن الخطأ قد يقع ، والصحيح أنه متصل والمعنى لا ينبغي لمؤمن ولا  
 يليق به أن يقتل مؤمناً إلا على وجه الخطأ من غير قصد ولا تعد إذ هو مغلوب فيه ، وانتصاب خطأ على أنه  
 مفعول من أجله أو حال أو صفة لمصدر محذوف (ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية) هذا بيان  
 ما يجب على القاتل خطأ فأوجب الله عليه التحرير والدية ، فأما التحرير ففي مال القاتل . وأما الدية ففي مال  
 عاقلته ، وجاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيان الآية إذ لفظها يحتمل ذلك أو غيره ، وأجمع الفقهاء  
 عليه ، واشترط مالك في الرقبة التي تعتق أن تكون مؤمنة ليس فيها عقد من عقود الحرية ، سالمة من العيوب  
 أما إيمانها فنص هنا ، ولذلك أجمع العلماء عليه هنا ، واختلفوا في كفارة الظهار وكفارة اليمين ، وأما  
 سلامتها من عقود الحرية فيظهر من قوله تعالى فتحرير رقبة ، لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير بها  
 وأما سلامتها من العيب ، فزعموا أن إطلاق الرقبة يقتضيه وفي ذلك نظر ولم يبين في الآية بمقدار الدية وهي عند مالك  
 مائة من الإبل على أهل الإبل ، وألف دينار شرعية على أهل الذهب واثنا عشر ألف درهم شرعية على أهل  
 الورق ، وروى ذلك عن عمر بن الخطاب (مسلمة إلى أهله) أي مدفوعة إليهم ، والأهل هنا الورثة ، واختلف  
 في مدة تسليمها ، فقيل هي حالة عليهم ، وقيل يؤديونها في ثلاث سنين ، وقيل في أربع ، ولفظ التسليم مطلق  
 وهو أظهر في الحلول لولا ما جاء من السنة في ذلك (إلا أن يصدقوا) الضمير يعود على أولياء المقتول أي  
 إذا أسقطوا الدية سقطت ، وإذا أسقطها المقتول سقطت أيضا عند مالك والجمهور ، خلافا لأهل الظاهر ،  
 وحجتهم عود الضمير على الأولياء ، وقال الجمهور إنما هذا إذالم يسقطها المقتول (فإن كان من قوم عدو لكم  
 وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) معنى الآية : أن المقتول خطأ إن كان مؤمناً وقومه كفاراً أعداء وهم المحاربون  
 فانما في قتله التحرير خاصة دون الدية فلا تدفع لهم لئلا يتقوا بها على المسلمين ، ورأى ابن عباس أن ذلك  
 إنما هو فيمن آمن وبقى في دار الحرب لم يهاجر وخالفه غيره ورأى مالك أن الدية في هذا البيت  
 المال فالآية عنده منسوخة ، (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) الآية : معناها أن المقتول خطأ  
 إن كان قومه كفاراً معاهدين ففي مثله تحرير رقبة والدية إلى أهله لأجل معاهدتهم ، والمقتول على هذا  
 مؤمن ، ولذلك قال مالك لا كفارة في قتل الذمي ، وقيل إن المقتول في هذه الآية كافر ، فعلى هذا تجب

أَهْلَهُ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ ءَلَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعندَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِتْنَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

الكفارة في قتل الذمي ، وقيل هي عامة في المؤمن والكافر ، ولفظ الآية مطلق إلا أن قيده قوله وهو مؤمن في الآية التي قبلها وقرأ الحسن هنا وهو مؤمن ( فمن لم يجد فصيام شهرين ) أي من لم يجد العتق ولم يقدر عليه فصيام الشهرين المتتابعين عوض منه ( توبة من الله ) منصوب على المصدرية ومعناه رحمة منه وتخفيفا ( ومن يقتل مؤمنا متعمداً جزاؤه جهنم خالداً فيها ) الآية : نزلت بسبب مقيس بن صباة كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطأ ، ثم قتل رجلاً من القوم الذين قتلوا أخاه وارتد مشركاً ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله ، والمتعمد عند الجمهور هو الذي يقصد القتل بجديدة أو حجراً أو عصاً أو غير ذلك ، وهذه الآية معطلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول لا يتخذ عصاة المؤمنين في النار واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار لقوله خالداً فيها وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه: أحدها أن قالوا إنها في الكافر إذا قتل مؤمناً ، والثاني قالوا معنى المتعمد هنا المستحل للقتل ، وذلك يؤول إلى الكفر ، والثالث قالوا الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدي ، وإنما هو عبارة عن طول المدة ، والرابع أنها منسوخة بقوله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وأما المعتزلة فحملوها على ظاهرها ، ورأوا أنها ناسخة لقوله : ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، واحتجوا على ذلك بقول زيد بن ثابت نزلت الشديدة بعد الهينة وبقول ابن عباس ، الشرك والقتل من مات عليهما خلد ، وبقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل ذنب عسى الله أن يغفره ، إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل المؤمن متعمداً ، وتقضى الآية وهذه الآثار أن للقتل حكماً يخصه من بين سائر المعاصي ، واختلف الناس في القاتل عمداً إذا تاب ، هل تقبل توبته أم لا ؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف في القاتل إذا اقتصر منه هل يسقط عنه العقاب في الآخرة أم لا ؟ والصحيح أنه يسقط عنه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أصاب ذنباً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ، وبذلك قال جمهور العلماء ( ضربتم في سبيل الله ) أي سافرتهم في الجهاد ( فتبينوا ) من البيان وقرئ بالثاء المثناة من الثبات والتفعل فيها بمعنى الاستفعال ، أي اطلبوا بيان الأمر وثبوتها ( ألقى إليكم السلم ) بغير ألف أي انقاد وألقى بيده ، وقرئ السلام بمعنى التحية ، ونزلت في سرية لقيت رجلاً فسلم عليهم ، وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فحمل عليه أحدهم فقتله ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان القاتل علم بن جثامة والمقتول عامر بن الأعبط ، وقيل القاتل أسامة بن زيد والمقتول مرداس بن سبيك ( تبتغون عرض الحياة الدنيا ) يعني الغنيمة ، وكان للرجل المقتول غنم ( فعند الله مغانم كثيرة ) وعد تزويد في غنيمة من أظهر الإسلام ( كذلك كنتم من قبل ) قيل معناه كنتم كفاراً فهداكم الله للإسلام ، وقيل كنتم تخفون إيمانكم من قومكم ( فمن الله عليكم ) بالعزة والنصر حتى أظهرتموه ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين ) الآية :

خَيْرًا لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى  
الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا \* دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ  
ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا  
فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَصِيرًا \* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ  
حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا \* فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا \* وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ  
الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ  
تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكُفْرَانَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا \* وَإِذَا كُنْتَ

معناها تفضيل المجاهدين على من لم يجاهد وهم القاعدون (غير أولى الضرر) لما نزلت الآية : قام ابن أم مكتوم  
الاعمى ، فقال يا رسول الله هل من رخصة فأني ضير البصر ، فنزل غير أولى الضرر وقرئ غير بالحركات  
الثلاث ، بالرفع صفة للقاعدين ، وبالنصب على الاستثناء أو الحال ، وبالخفض صفة للمؤمنين (درجة) قيل  
هي تفضيل على القاعدين من أهل العذر والدرجات على القاعدين بغير عذر ، وقيل إن الدرجات مبالغة وتأكيد  
الدرجة (الحسنى) الجنة (أجرا) منصوب على الحال من درجات أو المصدرية من معنى فضل ، وانتصب درجات  
على البدل من الأجر أو بفعل مضمر ، وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلها : أى غفر لهم ورحمهم مغفرة  
ورحمة (إن الذين توفاهم الملائكة) الآية نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا ، فلما كان يوم بدر خرجوا  
مع الكفار فقتلوا منهم قيس بن الفاكه والحارث بن زمة ، وقيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف  
ويحتمل أن يكون توفاهم ماضيا أو مضارعا ، وانتصب ظالمى على الحال (قالوا فيم كنتم) أى فى أى شىء كنتم  
فى أمر دينكم (قالوا كنا مستضعفين فى الأرض) اعتذار عن التويع الذى وبجهم به الملائكة : أى لم تقدر واعلى  
الهجرة وكان اعتذارا بالباطل (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) رد عليهم ؛ وتكذيب لهم فى اعتذارهم (إلا  
المستضعفين) الذين كان استضعافهم حقا ، قال ابن عباس : كنت أنا وأبى وأمى بمن عنى الله بهذه الآية (مراغما)  
أى متحولا وموضعا يرغم عدوه بالذهاب إليه (وسعة) أى اتساع فى الأرض وقيل فى الرزق (فقد وقع أجره  
على الله) أى ثبت وصح (ومن يخرج من بيته) الآية حكمها على العموم ونزلت فى ضمرة بن القيس وكان من  
المستضعفين بمكة ، وكان مريضا فلما سمع ما أنزل الله فى الهجرة قال أخرجونى فهى له فراش فوضع عليه  
وخرج فمات فى الطريق ، وقيل نزلت فى خالد بن حزام ، فإنه هاجر إلى أرض الحبشة فنهشته حية فى الطريق  
فمات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة  
إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) اختلف العلماء فى تأويلها على خمسة أقوال : أولها أنها فى قصر الصلاة الرباعية

فِيهِمْ فَأَقَمَتْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقِمَنَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ

إلى ركعتين في السفر ، ولذلك لا يجوز إلا في حال الخوف على ظاهر الآية ، وهو قول عائشة وعثمان رضي الله عنهما ، الثاني أن الآية تقتضي ذلك ولكن يؤخذ القصر في السفر دون الخوف من السنة ، ويؤيد هذا حديث يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب إن الله يقول إن خفتهم وقد آمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قصر في السفر وهو آمن ، الثالث أن قوله إن خفتهم راجع إلى قوله : وإذا كنت فيهم الآية التي بعد ذلك والواو زائدة وهذا بعيد ، الرابع أنها في صلاة الخوف على قول من يرى أن تصلي كل طائفة ركعة خاصة ، قال ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة الخامس أنها في صلاة المسابقة ، فالقصر على هذا هو من هيئة الصلاة كقوله : فإن خفتهم فرجالاً أو ركبانا وإذا قلنا إنها في القصر في السفر ، فظاهرها أن القصر رخصة ، والإتمام أفضل وهو مذهب الشافعي ، وقال مالك القصر أفضل ، وقيل إنها سواء ، وأوجب أبو حنيفة القصر ، وليس في لفظ الآية ما يدل على مقدار المسافة التي تقصر فيها الصلاة ؛ لأن قوله إذا ضربتم في الأرض معناه السفر مطلقاً ، ولذلك أجاز الظاهرية القصر في كل سفر طويل أو قصير ، ومذهب مالك والشافعي أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلاً ؛ واحتجوا بآثار عن عمر وابن عباس ، وكذلك ليس في الآية ما يدل على تخصيص القصر بسفر القرية أو السفر المباح دون سفر المعصية فإن لفظها مطلق في السفر ، ولذلك أجاز أبو حنيفة القصر في سفر القرية وفي المباح وفي سفر المعصية ، ومنعه مالك في سفر المعصية ، ومنعه ابن حنبل في المعصية ، وفي المباح . وللقصر أحكام لا تتعلق بالآية فاضربنا عن ذكرها ، والمراد بالفتنة في هذه الآية القتال أو التعرض بما يكره (وإذا كنت فيهم) الآية في صلاة الخوف ، وظاهرها يقتضي أنها لا تصلي بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه شرط كونه فيهم ، وبذلك قال أبو يوسف ، وأجازها الجمهور بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته ، وقد فعلها الصحابة بعده صلى الله عليه وآله وسلم ، واختلف الناس في صلاة الخوف على عشرة أقوال ، لا اختلاف الأحاديث فيها ، ولسنا نضطر إلى ذكرها فإن تفسيرها لا يتوقف على ذلك ، وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع (فلتقم طائفة منهم معك) يقسم الإمام المسلمين على طائفتين فيصلى بالأولى نصف الصلاة ، وتقف الأخرى تحرس ثم يصلى بالثانية بقية الصلاة وتقف الأولى تحرس ، واختلف هل تتم كل طائفة صلاتها وهو مذهب الجمهور ، أم لا؟ وعلى القول بالإتمام : اختلف هل يتمونها في أثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك (ولياخذوا أسلحتهم) اختلفوا في المأمور بأخذ الأسلحة ، فقيل الطائفة المصلية وقيل الحارسة والأول أرجح ، لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى : وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة : جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم ، وإلا لم يكن لأخذ الأسلحة معنى إذا لم يدفعوا بها من قاتلهم (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) الضمير في قوله فإذا سجدوا للصلين ، والمعنى إذا سجدوا معك في الركعة الأولى ، وقيل إذا سجدوا في ركعة القضاء ، والضمير في قوله فليكونوا من ورائكم : يشمل

وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْلَبُونَ  
عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ  
مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا \* فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ  
فَازْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
كِتَابًا مَوْقُوتًا \* وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمِنُونَ كَمَا تَأْمِنُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ  
اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \* إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ  
اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِتِينَ خَصِيًّا \* وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَلَا يُجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ

أن يكون للذين سجدوا : أى إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراكم ، وعلى هذا إن كان السجود فى الركعة الأولى فيقتضى ذلك أنهم يقومون للحراية بعد انقضاء الركعة الأولى ، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم أولاً يقضونها ، وإن كان السجود فى ركعة القضاء ، فيقتضى ذلك أنهم لا يقومون للحراية إلا بعد القضاء ، وهو مذهب مالك والشافعى ، ويحتمل أن يكون الضمير فى قوله : فليكونوا للطائفة الأخرى أن يقفوا وراء المصلين يحرسونهم (ولتأت طائفة أخرى) يعنى الطائفة الحارسة (ود الذين كفروا) الآية : إخبار عما جرى فى غزوة ذات الرقاع ، من عزم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم ، فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بذلك ، وشرعت صلاة الخوف حذرا من الكفار ، وفى قوله : ميلة واحدة : مبالغة أى مفاضلة لا يحتاج منها إلى ثانية (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر) الآية : نزلت بسبب عبد الرحمن ابن عوف ، كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس ، فرخص الله فى وضع السلاح فى حال المرض والمطر ، ويقاس عليهما كل عذر يحدث فى ذلك الوقت (إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا) إن قيل : كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين ؟ فالجواب أن الأمر بالحذر من العدو : يقتضى توهم قوتهم وعزتهم ، وفى ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين ، قال ذلك الزمخشري وإما يصح ذلك إذا كان العذاب المهين فى الدنيا ، والأظهر أنه فى الآخرة (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله) الآية : أى إذا فرغتم من الصلاة ، فاذكروا الله بألسنتكم ، وذكر القيام والقعود على الجنب ليعم جميع أحوال الإنسان ، وقيل المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قيا ما فإن لم تقدرُوا فاقعدوا ، فإن لم تقدرُوا فعلى جنوبكم (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) أى إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة ( كتابا موقوتا) أى محدودا بالآوقات وقال ابن عباس : فرضا مفروضا (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) أى لا تضعفوا فى طلب الكفار (إن تكونوا تأمنون) الآية : معناها . إن أصابكم ألم من القتال فكذلك يصيب الكفار ألم مثله ، ومع ذلك فإنكم ترجون إذا قاتلتموهم : النصر فى الدنيا ، والأجر فى الآخرة ؛ وذلك تشجيع للمسلمين (لتحكم بين الناس بما أراك الله) يحتمل أن يريد بالوحي أو بالاجتهاد ، أو بهما ، وإذا تضمنت الاجتهاد ، ففيها دليل على إثبات النظر والقياس

أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا \* يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ  
يَبْتَغُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا \* هَآئِنَّمَا هُوَ لَكُمْ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا \* وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ  
ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \*  
وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ  
وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضَلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَيْكَ مَا لَمْ تُكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا \* لِأَخِيرٍ فِي كَثِيرٍ مِنْ تَجْوِبِهِمْ  
إِلَّا مِنْ أَمْرِ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ  
أَجْرًا عَظِيمًا \* وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ

خلافًا لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم (ولا تكن للخائنين خصيما) نزلت هذه الآية وما بعدها في قصة طعنة  
ابن الأبيرق إذ سرق طعاما وسلاحا لبعض الأنصار ، وجاء قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا إنه  
بريء ونسيوا السرقة إلى غيره ، وظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم صادقون ، فجادل عنهم ليدفع  
ما نسب إليهم حتى نزل القرآن فافضحوا ، فالخائنون في الآية : هم السراق بنو الأبيرق ، وقال السهيلي هم بشر وبشير  
ومبشرو أسيد ، ومعناها لا تكن لأجل الخائنين مخاصما للغيرهم (واستغفر الله) أى من خصامك عن الخائنين ، على أنه  
صلى الله عليه وسلم إنما تكلم على الظاهر وهو يعتقد براءتهم (إذ يبيتون) أى يدبرون ليلا وإنما سمي التديير قولاً ، لأنه  
كلام النفس ، وربما كان معه كلام باللسان (ومن يكسب خطيئة أو إثماً) قيل إن الخطيئة تكون عن عمد ، وعن  
غير عمد ، والإثم لا يكون إلا عن عمد ، وقيل هما بمعنى ، وكرر لاختلاف اللفظ (ثم يرم به بريئاً) كان القوم  
قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) هم الذين جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
وأبرؤا ابن الأبيرق من السرقة وهذه الآية وإن كانت إنما نزلت بسبب هذه القصة ، فهي أيضاً تتضمن أحكام  
غيرها ، وبقية الآية تشرىف للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتقدير نعم الله عليه (لأخير في كثير من نجواهم) إن  
كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفى ، فالاستثناء الذى بعدها منقطع ، وقد يكون متصلاً على حذف مضاف  
تقديره إلا نجوى من أمر ، وإن كانت النجوى بمعنى الجماعة فالاستثناء متصل (ومن يشاقق الرسول) (ومن يشاقق الرسول)  
أى يعاديه ، والشقاق هو العداوة ، ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق ، لأنه ارتد وسار إلى المشركين ومات  
على الكفر ، وهى عامة فيه وفى غيره (ويتبع غير سبيل المؤمنين) استدلل الأصوليون بها على صحة إجماع المسلمين  
وأنه لا يجوز مخالفته ، لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين ، وفى ذلك نظر (نوله ماتولى) أى تركه مع

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا \* إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ \* وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا \* إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا \* لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا أَخَذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا \* وَلَا ضَلْهَمَ وَلَا مَنِينَهُمْ وَلَا مَرْنَمَهُمْ فَلْيَتَكَنَّ الْإِنْعَامَ وَلَا مَرْنَمَهُمْ فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا \* يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا آغورا \* أولئك ما أولاهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا \* والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا \* ليس بآمانيتكم ولا آمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا \* ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا \* ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا وأخذ الله إبراهيم خيلا \* والله مافي

اختياره السادس (إن الله لا يغفر أن يشرك به) قد تقدم الكلام على نظيرتها (إن يدعون من دونه إلا إنانا) الضمير في يدعون للكفار ، ومعنى يدعون يعبدون ، واختلف في الإناث هنا ، فقيل هي الأصنام ، لأن العرب كانت تسمى الأصنام بأسماء مؤنثة : كاللات والعزى ، وقيل المراد الملائكة لقول الكفار إنهم إناث وكانوا يعبدونهم فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد ، وقيل المراد الأصنام ، لأنها لا تفعل فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث (إلا شيطانا مريدا) يعنى إبليس ، وإنما قال إنهم يعبدونه ، لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال ، والمريد هو الشديد العتق والإضلال (لعنه الله) صفة للشيطان (وقال لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا) الضمير للشيطان : أى فرضته لنفسى من قولك فرض للجدد وغيرهم ، والمراد بهم أهل الضلال (ولا ضلهم) أى أعدم الآمانى الكاذبة (فليبتكن آذان الأنعام) أى يقطعونها ، والإشارة بذلك إلى البحيرة وشبهها (فليغيرن خلق الله) التغيير هو الخضاء وشبهه وقد رخص جماعة من العلماء في خضاء البهائم ، إذا كان فيه منفعة ، ومنعه بعضهم لظاهر الآية ، وقيل التغيير هو الوشم وشبهه ، ويدل على هذا الحديث الذى لعن فيه الواشيات ، والمستوشمات ، والمتفجمات للحسن ، والمغيرات خلق الله (محيصا) أى معدلا ومهربا (وعدا الله حقا) مصدران : الأول مؤكّد للوعد الذى يقتضيه قوله سندخلهم جنات ، والثانى مؤكّد لوعد الله (ليس بآمانيتكم) الآية : اسم ليس مضمّر تقديره الأمر وشبهه ، والخطاب للمسلمين ، وقيل للشركيين أى لا يكون ما تمنون ، ولا ما يمتنى أهل الكتاب ، بل يحكم الله بين عباده ، ويجازيهم بأعمالهم (من يعمل سوءا يجز به) وعيد حتم في الكفار ، ومقيد بمشيئة الله في المسلمين (ومن يعمل من الصالحات) دخلت من التبعية رفقاً بالعباد ، لأن الصالحات على الكمال لا يطبقها البشر (وهو مؤمن) تقييد باشتراط الإيمان ، فإنه لا يقبل عمل إلا به (نقيرا) هو النقرة التى في ظهر نواة التمرة ، والمعنى تمثيل بأقل الأشياء (واتبع ملة إبراهيم) أى دين

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۖ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۗ وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ مُحْسِنًا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۗ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمَلْعَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

الإسلام (حنيفا) حال من المتبع أو من إبراهيم (واتخذ الله إبراهيم خليلا) أى صفا ، وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة ، وفي ذلك تشريف لإبراهيم ، وترغيب في اتباعه (ويستفتونك في النساء) أى يسألونك عما يجب عليهم في أمر النساء (وما يتلى عليكم) عطف على اسم الله أى يفتيكم الله ، والمتلو عليكم في الكتاب يعنى القرآن (في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقاربه بدون ما تستحقه من الصداق ، فقوله ما كتب لهن يعنى ما تستحقه المرأة من الصداق ، وقوله وترغبون أن تنكحوهن: يعنى للجاهلن وما لهن من غير توفية حقوقهن ، ففهم الله عز وجل عن ذلك أول السورة في قوله : وإن خفت أن لا تقسطوا في اليتامى الآية ، وهذه الآية هي التي تليت عليهم في يتامى النساء ، والمستضعفين من الولدان : عطف على يتامى النساء ، والذي يتلى في المستضعفين من الولدان وهو قوله : يوصيكم الله في أولادكم ، لأن العرب كانت لا تورث البنت ولا الابن الصغير ، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) عطف على المستضعفين أى والذي يتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط ، ويجوز أن يكون منصوبا تقديره : ويأمركم أن تقوموا ، أو الخطاب في ذلك للأولياء ، والأوصياء ، أو للقبضة وشبههم ، والذي تلى عليهم في ذلك هو قوله : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية ، وقوله : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلى غير ذلك (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا) معنى الآية إباحة الصلح بين الزوجين ، إذا خافت النشوز أو الإعراض ، وكما يجوز الصلح مع الخوف كذلك يجوز بعد وقوع النشوز أو الإعراض وقد تقدم معنى النشوز ، وأما الإعراض فهو أخف ، ووجوه الصلح كثيرة منها أن يعطيها الزوج شيئا أو تعطيه هى أو تسقط حقها من النفقة أو الاستمتاع أو غير ذلك ، وسبب الآية أن سودة بنت زمعة لما كبرت خافت أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له أمسكنى في نسائك ولا تقسم لى وقد وهبت يومى لعائشة (والصلح خير) لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما ، وقيل معناه صلح الزوجين خير من فراقهما فخير على هذا التفصيل ، واللام في الصلح للعهد (وأحضرت الأنفس الشح) معناه أن الشح جعل حاضرا مع النفوس لا يغيب عنها لأنها جبلت عليه والشح هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه ، وشح المرأة من هذا هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع ، وشح الزوج هو منع الصداق والتضييق في النفقة وزهده في المرأة لكبر سنها أو قبح صورتها (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) معناه العدل التام الكامل في الأقوال

رَحِيمًا \* وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
 وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا \* وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ إِنَّ يَشَاءُ  
 يُذْهِبَكُمْ أَيَّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا \* مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ  
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ  
 أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُلُوا وَإِنْ  
 تَلَوْتُمْ أَوْ لَعَنْتُمْ أَوْ عَرِضْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

والأفعال والمحبة وغير ذلك فرفع الله ذلك عن عباده ، فإنهم لا يستطيعون ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلوتواخذني بما لا أملك يعني ميله بقلبه وقيل إن الآية  
 نزلت في ميله صلى الله عليه وسلم بقلبه إلى عائشة ومعناها اعتذار من الله تعالى عن عباده (فتدروها كالمعلقة)  
 أى لا ذات زوج ولا مطلقة (وإن يتفرقا) الآية : معناها إن تفرق الزوجان بطلاق أغنى الله كل واحد  
 منهما من فضله عن صاحبه ، وهذا وعد بخير وتأنيس (ولقد وصينا) الآية : إخبار أن الله وصى الأولين  
 والآخرين بأن يتقوه (ويأت بآخرين) أى يقوم غيركم ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت ضرب يده  
 على كتف سلمان الفارسي ، وقال : هم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) الآية : تقتضى الترغيب في طلب  
 ثواب الآخرة ، لأنه خير من ثواب الدنيا ، وتقتضى أيضا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده ،  
 فإن ذلك بيده لا بيد غيره ، وعلى أحد هذين الوجهين ، يرتبط الشرط بجوابه ، فالتقدير على الأول ، من كان  
 يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة ، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ، وعلى الثانى من كان يريد ثواب الدنيا  
 فيطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (كونوا قوامين بالقسط) أى مجتهدين في إقامة العدل (شهد الله) معناه  
 لوجه الله ولمرضاته (ولو على أنفسكم) يتعلق بشهد وشهادة الإنسان على نفسه هى إقراره بالحق ، ثم ذكر الوالدين  
 والأقربين ، إذ هم مظنة للتعصب والميل : إقامة الشهادة على الأجنيين من باب أولى وأحرى (إن يكن غنيا أو  
 فقيرا) جواب إن محذوف على الأظهر أى إن يكن المشهود عليه غنيا ، فلا تمتنع من الشهادة تعظيما له ، وإن كان  
 فقيرا فلا تمتنع من الشهادة عليه اتفاقا فإن الله أولى بالغنى والفقير ، أى بالنظر إليهما (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا)  
 أن مفعول من أجله ، ويحتمل أن يكون المعنى من العدل ، فالتقدير إرادة أن تعدلوا بين الناس ، أو من العدل ،  
 فالتقدير كراهة أن تعدلوا عن الحق (وإن تلوا أو تعرضوا) قيل : إن الخطاب للحكام ، وقيل للشهود ،  
 واللفظ عام فى الوجهين ، واللى هو تحريف الكلام أى تلوا عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحق أو  
 تعرضوا عن صاحب الحق ، أو عن المشهود له بالحق ، فإن الله يجازيكم فإنه خير بما تعملون ، وقرئ إن  
 تلوا بضم اللام من الولاية : أى إن وليتم إقامة الشهادة ، أو أعرضتم عنها (آمنوا بالله) الآية خطاب للمسلمين :

الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا \* إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا لَمْ يَكُنِ  
اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا \* بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا \* الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ  
مَنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا \* وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ  
ءَايَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ  
جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا \* الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ  
نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا \* إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا  
قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا \* مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ  
هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ  
أَوْلِيَاءَ مَنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ أَرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا \* إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ

معناه الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل ما ذكر ، أو يكون أمراً بالدوام على الإيمان ، وقيل  
خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين : معناه الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد صلى الله عليه  
وسلم ، وقيل خطاب للمنافقين معناه الأمر بأن يؤمنوا بألسنتهم وقلوبهم (إن الذين آمنوا ثم كفروا) الآية ،  
قيل هي في المنافقين لترددهم بين الإيمان والكفر ، وقيل في اليهود والنصارى لأنهم آمنوا بأنبيائهم ثم كفروا  
بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والأول أرجح ؛ لأن الكلام من هنا فيهم ، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد  
صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ارتد ، ثم عاد إلى الإيمان ، ثم ارتد وازداد كفراً (لم يكن الله ليغفر لهم)  
ذلك فيمن علم الله أن يموت على كفره ، وقد يكون إضلالهم عقاباً لهم بسوء أفعالهم (وقد نزل عليكم في الكتاب  
الآية : إشارة إلى قوله : وإذا رأيت الذين يخرضون في آياتنا فأعرض عنهم وغيرها ، وفي الآية دليل على  
وجوب تجنب أهل المعاصي ، والضمير في قوله معهم يعود على ما يدل عليه سياق الكلام من الكافرين  
والمنافقين (الذين يتربصون بكم) صفة للمنافقين : أى ينتظرون بكم دوائر الزمان (لم نستحوذ عليكم) أى  
نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحماية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) قال على بن أبى طالب  
وغيره : ذلك في الآخرة ، وقيل السبيل هنا الحججة البالغة (يخادعون الله) ذكر في البقرة (وهو خادعهم)  
تسمية للعقوبة باسم الذنب ، لأن وبال خداعهم راجع عليهم (مذبذبين) أى مضطربين مترددين ، لا إلى المسلمين  
ولا إلى الكفار (سلطاناً مبيناً) أى حجة ظاهرة (إن المنافقين في الدرك الأسفل) أى في الطبقة السفلى من

مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۚ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا \* مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ  
 شَاكِرًا عَلِيمًا \* لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا \* إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا  
 أَوْ مَخْضُوه أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا  
 بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أُولَٰئِكَ  
 هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا \* وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ  
 أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ  
 السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىَٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا  
 الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُسْلِمُونَ سُلْطَانًا مُّبِينًا ۚ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ  
 بِمِشْقَاهِمُ وَقلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا \* فَمَا نَقْضِهِم

جهنم ، وهى سبع طبقات وفى ذلك دليل على أنهم شر من الكفار (إلا الذين تابوا) استثناء من المنافقين ،  
 والتوبة هنا الإيمان الصادق فى الظاهر والباطن (ما يفعل الله بعذابكم) المعنى أى حاجة ومنفعة لله بعذابكم  
 وهو الغنى عنكم ، وقدم الشكر على الإيمان ، لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها ثم يؤمن بالمنعم فكان  
 الشكر سبباً للإيمان : متقدم عليه ، ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان ، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدا  
 واهتماما به ، والشاكر اسم الله ذكر فى اللغات (إلا من ظلم) أى لإلاجه المظلوم فيجوز له من الجهر أن  
 يدعو على من ظلمه ، وقيل أن يذكر ما فعل به من الظلم ، وقيل أن يرد عليه بمثل مظالمه إن كان شتمه (إن  
 تبدوا خيرا أو تخفوه) الآية : ترغيب فى فعل الخير سرا وعلانية ، وفى العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار  
 لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار ، وأكذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة (إن الذين يكفرون)  
 الآية : فى اليهود والنصارى ، لأنهم آمنوا بأنبيائهم ، وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيره ، ومعنى التفريق  
 بين الله ورسوله الإيمان به والكفر برسوله ، وكذلك التفريق بين الرسل هو الكفر ببعضهم والإيمان  
 ببعضهم ، فحكم الله على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيقى الكامل (والذين آمنوا) الآية : فى أمة محمد صلى الله  
 عليه وسلم لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله (يسألك أهل الكتاب) الآية ، روى أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم  
 لن تؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة ، وقيل كتاب إلى فلان ، وكتاب إلى  
 فلان بأنك رسول الله ، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت ، فذكر الله سؤالهم من موسى ، وسوء أديهم معه  
 تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتأسى بغيره ، ثم ذكر أفعالهم القبيحة ليبين أن كفرهم إنما هو عناد ،  
 وقد تقدم فى البقرة ذكر طلبهم الرؤيا ، واتخاذهم العجل ، ورفع الطور فوقهم ، واعتدائهم فى السبت وغير

مِشَقَّتُهُمْ وَكُفْرَهُمْ بَيَّاتٌ اللَّهُ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلَهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا \* وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا \* وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَنِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا \* وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا \* فَبُظِّلِمَنَّ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ

ذلك بما أشير إليه هنا (فبما نقضهم ميثاقهم) مازائدة للتأكيد، والباء تتعلق بمحذوف تقديره بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا، أو تتعلق بقوله حرما عليهم، ويكون فبظلم على هذا بدلا من قوله فيما نقضهم (بهتنا عظيمًا) هو أن رموا مريم بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهد (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم) عند الله في جملة قبائحهم قولهم إنا قتلنا المسيح لأنهم قالوا افتخاروا وجرأة مع أنهم كذبوا في ذلك، ولزمهم الذنب، وهم لم يقتلوه لأنهم صلبوا الشخص الذي ألقى عليه شبهه، وهم يعتقدون أنه عيسى، وروى أن عيسى قال للحواريين أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل ويكون رفيق في الجنة، فقال أحدهم أنا فألقى عليه شبه عيسى فقتل على أنه عيسى، وقيل بل دل على عيسى يهودي، فألقى الله شبه عيسى على اليهودي فقتل اليهودي ورفع عيسى إلى السماء حيا، حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال (رسول الله) إن قيل: كيف قالوا فيه رسول الله، وهم يكفرون به ويسبونونه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها أنهم قالوا ذلك على وجه التهمك والاستهزاء، والثاني أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه كأنهم قالوا رسول الله عندكم أو بزعمكم، والثالث أنه من قول الله لا من قولهم فيوقف قبله، وفائدة تعظيم ذنبهم وتقييح قولهم إنا قتلناه (وما قتلوه وما صلبوه) رد عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضا في قولهم إنه صلب حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك والعجب كل العجب من تناقضهم في قوله إنه إله أو ابن إله ثم يقولون إنه صلب (ولكن شبه لهم) فيه تأويلان: أحدهما ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحواري أو على اليهودي، والآخر أن معناه شبه لهم الأمر أي خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله بأنهم قتلوا رجلا آخر وصلبوه ومنعوا الناس أن يقربوا منه، حتى تغير بحيث لا يعرف، وقالوا للناس هذا عيسى، ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمدين للكذب (وإن الذين اختلفوا فيه لني شك منه) روى أنه لما رفع عيسى وألقى شبهه على غيره فقتلوه، قالوا إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، فاختلفوا، فقال بعضهم هو هو، وقال بعضهم ليس هو، فأجمعوا أن شخصا قتل، واختلفوا من كان (إلا اتباع الظن) استثناء منقطع لأن العلم بتحقيق الظن تردد، وقال ابن عطية: هو متصل إذ الظن والعلم يجمعهما جنس المعتقدات، فإن قيل: كيف وصفهم بالشك وهو تردد بين احتمالين على السواء ثم وصفهم بالظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟ فالجواب أنهم كانوا على الشك، ثم لاح لهم أمارات فظنوا، قاله الزمخشري، وقد يقال الظن بمعنى الشك وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك (وما قتلوه يقينا) أي ما قتلوه قتلا يقينا فأعراب يميناء على هذا صفة لمصدر محذوف، وقيل هي مصدر في موضع الحال: أي ما قتلوه متيقنين، وقيل هو تأكيد للنبي الذي في قوله ما قتلوه أي يتيقن نبي قتله، وهو على هذا منصوب على المصدرية (بل رفعه الله إليه) أي إلى سمائه وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) فيها تأويلان:

أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدَّ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ  
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا  
أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ  
أَجْرًا عَظِيمًا ۚ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۗ  
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ  
وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ  
إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا

أحدهما أن الضمير في موته لعيسى ، والمعنى أنه كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض  
قبل أن يموت عيسى وتصير الأديان كلها حينئذ دينا واحدا ، وهودين الإسلام ، والثاني أن الضمير في موته  
للكتاب الذي تضمنه قوله وإن من أهل الكتاب التقدير : وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمن بعيسى ،  
ويعلم أنه نبي قبل أن يموت هذا الإنسان ، وذلك حين معاينة الموت ، وهو إيمان لا ينفعه ، وقد روى هذا  
المعنى عن ابن عباس وغيره ، وفي مصحف أبي بن كعب قبل موتهم ، وفي هذه القراءة تقوية للقول الثاني ،  
والضمير في به لعيسى على الوجهين ، وقيل هو لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (ويصدهم) يحتمل أن يكون  
بمعنى الإعراض فيكون كثيرا صفة لمصدر محذوف تقديره صدأ كثيرا ، أو بمعنى صدهم لغيرهم ، فيكون  
كثيرا مفعولا بالصد ، أى صدوا كثيرا من الناس عن سبيل الله (لكن الراسخون في العلم منهم) هو عبد الله  
ابن سلام ، ومخبرق ، ومن جرى مجراهم (والمقيمين) منصوب على المدح بإضمار فعل ، وهو جازئ كثيرا في  
الكلام ، وقالت عائشة هو من لحن كتاب المصحف ، وفي مصحف ابن مسعود : والمقيمون ، على الأصل  
(إننا أوحينا إليك) الآية : رد على اليهود الذين سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليهم كتابا من  
السماء ، واحتجاج عليهم بأن الذى أتى به وحى : كما أتى من تقدم من الأنبياء بالوحى من غير إنزال الكتاب  
من السماء ، ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحججة (ورسلا قد قصصناهم)  
منصوب بفعل مضمراى أرسلنا رسلا (وكلم الله موسى تكليما) تصريح بالكلام مؤكدا بالمصدر ، وذلك دليل  
على بطلان قول المعتزلة إن الشجرة هى التى كلمت موسى (رسلا مبشرين) منصوب بفعل مضمراى على البدل  
(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) أى بعثهم الله ليقطع حجة من يقول لو أرسل إلى رسولا لآمنت  
(لكن الله يشهد) الآية : معناها أن الله يشهد بأن القرآن من عنده ، وكذلك تشهد الملائكة بذلك ، وسبب  
الآية : إنكار اليهود للوحى ، فجاء الاستدراك على تقدير أنهم قالوا لن نشهد بما أنزل إليك ، فقيل لكن الله  
يشهد بذلك ، وفي الآية من أدوات البيان التردد ، وهو ذكر الشهادة أولا ، ثم ذكرها في آخر الآية (أنزله

ضَلَّالًا بَعِيدًا \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا \* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَهْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا \* لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا \* فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا \* فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا \* يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَّةِ إِنْ أَمْرٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ

بعلمه ) في هذا دليل لأهل السنة على إثبات علم الله ، خلافا للمعتزلة في قولهم إنه عالم بلا علم ، وقد تأولوا الآية بتأويل بعيد (يا أيها الناس) خطاب عام ، لأن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بعث إلى جميع الناس (فآمنوا خيرا لكم) انتصب خبرا هنا ، وفي قوله انتها خيرا لكم بفعل مضمر لا يظهر تقديره إيتوا خيرا لكم هذا مذهب سيويه ، وقال الخليل: انتصب بقوله آمنوا وانتهوا على المعنى ، وقال الفراء فآمنوا إيمانا خيرا لكم فنصبه على النعت لمصدر محذوف ، وقال الكوفيون هو خبر كان المحذوفة تقديره يكن الإيمان خيرا لكم (وإن تكفروا فإن الله ما في السموات والأرض) أي هو غنى عنكم لا يضره كفركم (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) هذا خطاب للنصارى لأنهم غلوا في عيسى حتى كفروا ، فلفظ أهل الكتاب عموم يراد به الخصوص في النصارى ، بدليل ما بعد ذلك والغلو هو الإفراط وتجاوز الحد (وكلمته) أي مكون عن كلمته التي هي كن من غير واسطة أب ولا نطفة (وروح منه) أي ذوروح من الله ، فمن هنا لا بداء الغاية ، والمعنى من عند الله ، وجعله من عند الله لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم (ولا تقولوا ثلاثة) نهى عن التثليث ، وهو مذهب النصارى وإعراب ثلاثة خبر مبتدأ مضمر (له ما في السموات وما في الأرض) برهان على تنزيهه تعالى عن الولد ، لأنه مالك كل شيء (لن يستنكف) لن يأتيك كذلك ، ومعناه حيث وقع (ولا الملائكة) فيه دليل لمن قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء ، لأن المعنى لن يستنكف عيسى ومن فوقه (قد جاءكم برهان) هو القرآن ، وهو أيضا النور المبين ، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج ، وبالنور

مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجُلًا  
وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ بَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \*

## سورة المائدة

مدينة إلا آية ٣ فنزلت بعرفات في حجة الوداع : وآياتها ١٢٠ نزلت بعد الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا بَتَلَىٰ  
عَلَيْكُمْ غَيْرَ مَحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ  
الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْقَلْبَسِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ

النبي صلى الله عليه وسلم ، لانه سماه سراجا (يستفتونك) أى يطلبون منك الفتيا ، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طلبا للكلالة ، ويفتيكم أيضا طلب لها ، فيكون من باب الإعمال وإعمال العامل الثانى على اختيار البصريين أو يكون يستفتونك مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه ، والأول أظهر ، وقد تقدم معنى الكلالة فى أول السورة والمراد بالأخت والأخ هنا : الشقائق ، والذين للأب إذا عدم الشقائق ، وقد تقدم حكم الإخوة للأُم فى قوله وإن كان رجلا يورث كلاله الآية (إن امرؤ هلك) ارتفع بفعل مضمرة عند البصريين ، ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام المواريث (أن تضلوا) مفعول من أجله تقديره كراهية أن تضلوا : -

## سورة المائدة

(أوفوا بالعقود) قيل إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك ، وقيل ماعقده مع ربه من الطاعات : كالحج والصيام وشبه ذلك ، وقيل ماعقده الله عليهم من التحليل والتحرير فى دينه ذكر بجملة ثم فصل بعد ذلك فى قوله : أحلت لكم وما بعده (بهيمة الأنعام) هى الإبل والبقر والغنم ، وإضافة البهيمة إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه ؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها ، قال الزمخشري : هى الإضافة التى بمعنى من حكاهم من حديد أى البهيمة من الأنعام ، وقيل هى الوحش : كالظباء ، وبقر الوحش والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لا تقع إلا على الإبل والبقر والغنم ، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ماعدا الإنسان (إلا ما بتلى عليكم) يريد الميتة وأخواتها (غير محلى الصيد) نصب على الحال من الضمير فى لكم (وأتم حرم) حال من محلى الصيد ، وحرم جمع حرام وهو المحرم بالحج ، فالاستثناء يالا من البهائم المحللة ، والاستثناء بغير من القوم المخاطبين (لا تحلوا شعائر الله) قيل هى مناسك الحج ، كان المشركون يحجون ويعتصرون ، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم ، فقيل لهم : لا تحلوا شعائر الله : أى لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم وقيل هى الحرم ، وإحلالة الصيد فيه ، وقيل هى ما يحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك ، وإحلالة فعله (ولا الشهر الحرام) قيل هو جنس الأشهر الحرام الأربعة ، وهى رجب وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وقيل أشهر الحج ، وهى : شوال ، وذو القعدة وذو الحجة ، وإحلالها هو القتال فيها وتغيير حالها (ولا الهدى) هو ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام ويذبح تقربا إلى الله فنهى الله أن يستحل بأن يغار عليه

فَأَصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ  
وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ  
الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ وَمَا

أو يصد عن البيت (ولا القلائد) قيل هي التي تعلق في أعناق الهدى ، فهي عن التعرض لها ، وقيل أراد ذوات القلائد من الهدى وهي البدن وجددها بالذكر بعد دخولها في الهدى اهتما ماها وتأكيدا لامرها (ولا آمين البيت الحرام) أي قاصدين إلى البيت لحج أو عمرة ونهى الله عن الإغارة عليهم أو صدمهم عن البيت ونزلت الآية على ما قال السهيلي بسبب الحكم البكري واسمه شريح بن ضبيعة أخذته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر ، وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء : عام في المسلمين والمشركين ، ثم نسخ النهي عن قتال المشركين بقوله : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وبقوله فلا يقرب المسجد الحرام ، وبقوله : ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) الفضل : الربح في التجارة ، والرضوان : الرحمة في الدنيا والآخرة (وإذا حملتم فاصطادوا) أي إذا حملتم من إحرامكم بالحج فاصطادوا إن شئتم ، فالامر هنا بإباحة ياجماع (ولا يجرم منكم شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا) معنى لا يجرم منكم لا يكسبنكم ، يقال جرم فلان فلانا هذا الأمر إذا أكسبه إياه وحمله عليه ، والشَنَاٰنُ : هو البغض والحقد ، ويقال بفتح النون وإسكانها ، وأن صدوكم : مفعول من أجله ، وأن تعتدوا : مفعول ثانٍ ليجرم منكم ، ومعنى الآية : لا تحملنكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام ، ونزلت عام الفتح حين ظفر المسلمون بأهل مكة فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام الحديبية ، فهام الله عن قتلهم ، لأن الله علم أنهم يؤمنون (وتعاونوا على البر والتقوى) وصية عامة ، والفرق بين البر والتقوى أن البر عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات ، وفي كل ما يقرب إلى الله . والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات فالبر أعم من التقوى (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) الفرق بينهما أن الإثم كل ذنب بين العبد وبين الله أو بينه وبين الناس ، والعدوان على الناس (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) تقدم الكلام عليها في البقرة (والمنخنقة) هي التي تخنق بجبل وشبهه (الموقوذة) هي المضروبة بعصا وحجر وشبهه ، والمتردية هي التي تسقط من جبل أو شبه ذلك ، والنطيحة هي التي نطحتها بهيمة أخرى (وما أكل السبع) أي أكل بعضه ، والسبع كل حيوان مفترس : كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر (إلا ما ذَكَرْتُمْ) قيل إنه استثناء منقطع ، وذلك إذا أريد بالمنخنقة وأخواتها : مامات من الاختناق والوقذ والتردية والنطح وأكل السبع والمعنى حرمت عليكم هذه الأشياء ، لكن ما ذَكَرْتُمْ من غيرها ، فهو حلال ، وهذا قول ضعيف لأنها إن ماتت بهذه الأسباب ، فهي ميتة فقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها ، وقيل إنه استثناء متصل ، وذلك إن أريد بالمنخنقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته ، والمعنى على هذا : إلى ما أدركت ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال ، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلتها أم لا ، وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب ، فذكاتها جائزة باتفاق (وما ذبح على النصب) عطف على المحرمات المذكورة ، والنصب

ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ  
وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي  
مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمُ  
مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ

حجارة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها ، وليست بالأصنام لأن الأصنام مصورة والنصب غير مصورة وهي الأَنْصاب ، والمفرد نصاب ، وقد قيل إن النصب بضمين مفرد ، وجمعه أنصاب (وأن تستقسموا بالأزلام) عطف على المحرمات أيضا ، والاستقسام . هو طلب ما قسم له ، والأزلام هي السهام . واحدها زلم بضم الزاي وفتحها ، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها افعل ، وعلى الآخر لا تفعل ، والثالث مهمل ، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرا جعلها في خريطة ، وأدخل يده وأخرج أحدها ، فإن خرج له الذي فيه افعل : فعل ما أراد ، وإن خرج له الذي فيه لا تفعل تركه ، وإن خرج المهمل أعاد الضرب (ذلكم فسق) الإشارة إلى تناول المحرمات المذكورة كلها ، أو إلى الاستقسام بالأزلام ، وإنما حرمه الله وجعله فسقا : لأنه دخول في علم الغيب الذي انفرد الله به فهو كالكهانة وغيرها مما يرام به الاطلاع على الغيوب (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم أي يئسوا أن يغلبوه ويطلبوه ، ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع ، فذلك هو اليوم المذكور لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين ، ويحتمل أن يكون الزمان الحاضر لا اليوم بعينه (اليوم أكملت لكم دينكم) هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام (فمن اضطر) راجع إلى المحرمات المذكورة قبل هذا ، أباحها الله عند الاضطرار (في مخصصة) في مجاعة (غير متجانف لإثم) هذا بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم في البقرة (فإن الله غفور رحيم) قام مقام فلا جناح عليه ، وتضمن زيادة الوعد (يسألونك ماذا أحل لهم) سبها أن المسلمين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل لهم من المأكول وقيل لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، سأله ماذا يحل لنا من الكلاب فبرلت مبينة للصيد بالكلاب (قل أحل لكم الطيبات) هي عند مالك الحلال ، وذلك مما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة وعند الشافعي الحلال المستلذ ، فحرم كل مستقذر كالخنافس وشبهها لأنها من الخبائث (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات على حذف مضاف تقديره وصيد ما علمتم ، أو مبتدأ وخبره فكلوا مما أمسكن عليكم وهذا أحسن ، لأنه لا خلاف فيه ، والجوارح هي الكلاب ونحوها مما يصطاد به وسميت جوارح لأنها كواسب لأهلها ، فهو من الجرح بمعنى الكسب ولا خلاف في جواز الصيد بالكلاب ، واختلف فيمن سواها ومذهب الجمهور الجواز للأحاديث الواردة في البازات وغيرها ، ومنع بعض ذلك لقوله مكليين ، فإنه مشتق من الكلب الكلب ونزلت الآية بسبب عدى بن حاتم ، كان له كلاب يصطاد بها ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل من الصيد (مكليين) أي معلمين للكلاب الاصطياد ، وقيل معناه أصحاب كلاب وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل في علمتم ويقتضى قوله علمتم ومكليين أنه لا يجوز الصيد إلا بجوارح معلم ، لقوله وما علمتم وقوله مكليين على القول الأول لتأكيد ذلك بقوله : تعلمونهن ، وحد التعليم

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ  
وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا  
ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ

عند ابن القاسم أن يعلم الجراح الإشلاء والزجر ، وقيل الإشلاء خاصة ، وقيل الزجر خاصة ، وقيل أن يجب  
إذا دعي (تعلمونهم مما علمكم الله) أى تعلمونهم من الحيلة فى الاصطياد وتأتى تحصيل الصيد ، وهذا جزء  
مما علمه الله الإنسان ، فمن للتبعض ، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية والجملة فى موضع الحال أو استئناف  
(فكلوا مما أمسكن عليكم) الأمر هنا للإباحة ويحتمل أن يريد مما أمسكن ، سواء أكلت الجوارح منه أو لم  
تأكل ، وهو ظاهر إطلاق اللفظ ، وبذلك أخذ مالك ، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكل منه ، وبذلك  
فسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : فإن أكل منه فلا تأكل ؛ فإنه إنما أمسك على نفسه ، وقد  
أخذ بهذا بعض العلماء ، وقد ورد فى حديث آخر إذا أكل فكل ، وهو حجة لمالك (واذكروا اسم الله عليه)  
هذا أمر بالتسمية على الصيد ، ويجرى الذبح مجراه ، وقد اختلف الناس فى حكم التسمية ، فقال الظاهرية إنها واجبة حملا  
للأمر على الوجوب ، فإن تركت التسمية عمدا أو نسيانا ، لم تؤكل عندهم وقال الشافعى أنها مستحبة ، حملا للأمر على  
الندب وتؤكل عنده ، سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا ، وجعل بعضهم الضمير فى عليه عائداً على الأكل فليس فيها  
على هذا أمر بالتسمية على الصيد ومذهب مالك أنه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل ، وإن تركت نسيانا أكلت  
فهى عنده واجبة مع الذكر ، ساقطة مع النسيان (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) معنى حل : حلال ،  
والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى ، واختلف فى نصارى بنى تغلب من العرب ، وفيمن كان مسلماً ثم ارتد  
إلى اليهودية أو النصرانية ، هل يحل لنا طعامهم أم لا ، ولفظ الآية يقتضى الجواز لأنهم من أهل الكتاب ،  
واختلف فى المجوس والصابئين ، هل هم أهل كتاب أم لا ؟ وأما الطعام ، فهو على ثلاثة أقسام أحدها الذبائح  
وقد اتفق العلماء على أنها مرادة فى الآية ، فأجازوا كل ذبائح اليهود والنصارى ، واختلفوا فيما هو محرم عليهم  
فى دينهم ، هل يحل لنا أم لا على ثلاثة أقوال : الجواز ، والمنع ، والكراهة ، وهذا الاختلاف مبنى على هل هو  
من طعامهم أم لا فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه جاز ، وإن أريد به ما يحل لهم منع ، والكراهة توسط بين القولين  
القسم الثانى ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز لنا باتفاق ، والثالث ما فيه محاولة : كالخبز ، وتعصير  
الزيت ، وعقد الخبث وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه ، فمنعه ابن عباس لأنه رأى أن طعامهم هو  
الذبائح خاصة ، ولأنه يمكن أن يكون نجسا ، وأجازه الجمهور ، لأنه رأوه داخلين فى طعامهم ، هذا إذا كان  
استعمال النجاسة فيه محتملا ، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخبز والخبز والميتة ، فلا يجوز أصلا  
وقد صنف الطرطوشى فى تحريم جبن النصارى ، وقال إنه ينجس البائع والمشتري والآلة ، لأنهم يعقدونه  
بأنفحة الميتة ، ويجرى مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه فى ظروف الميتة (وطعامكم حل لهم) هذه إباحة  
للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم (والمحصنات) عطف على الطعام المحلل ، وقد تقدم أن الإحصان  
له أربعة معان : الإسلام ، والتزوج والعفة ، والحرية . فأما الإسلام فلا يصح هنا لقوله من الذين أوتوا  
الكتاب ، وأما التزوج فلا يصح أيضا لأن ذات الزوج لا تحل لغيره ، ويحتمل هنا العفة والحرية ، فمن حمله

فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ  
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

على العفة أجاز نكاح المرأة الكتائية سواء كانت حرة أو أمة ، ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتائية الحرة ومنع الأمة ، وهو مذهب مالك ، ولا تعارض بين هذه الآية . وبين قوله «ولا تنكحوا المشركات» لأن هذه في الكتائيات ، والآخرى في المشركات ، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك ، وقيل بالعكس ، وقد تقدم معنى «فأتوهن أجورهن» ، ومعنى الأخدان (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) الآية : نزلات في غزوة المريسيع ، حين انقطع عقد عائشة رضي الله عنها ، فأقام الناس على التماسه وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فنزلت الرخصة في التيمم ، فقال أسيد بن حضير ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر ، ولذلك سميت الآية آية التيمم ، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ، ثابتا بالسنة ، وقوله إذا قمتم إلى الصلاة معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضؤوا ويقتضى ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة ، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة ومذهب الجمهور أنه لا يجب ، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال : الأول أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد ، والثاني أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب ، والثالث أن تقديرها إذا قمتم محدثين فإنما يجب على من أحدث ، والرابع أن تقديرها إذا قمتم من النوم (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) ذكر في هذه الآية أربعة أعضاء اثنين محدودين ، وهما اليدين والرجلان واثنين غير محدودين وهما الوجه والرأس أما المحدودان فتغسل اليدين إلى المرفقين ، والرجلان إلى الكعبين وجوبا بإجماع ، فإن ذلك هو الحد الذي جعل الله لهما ، واختلف هل يجب غسل المرفقين مع اليدين ، وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا ، وذلك مبنى على معنى إلى ، فمن جعل إلى بمعنى مع في قوله إلى المرافق وإلى الكعبين أوجب غسلهما ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما ؛ واختلف في الكعبين ، هل هما اللذان عند معقد الشراك أو العظامان الناتان في طرف الساق ، وهو أظهر لأنه ذكرهما بلفظ التثنية ، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر المرافق ، لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد وأما غير المحدودين ، فاتفق على وجوب إيعاب الوجه . وحدته طولاً من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية ، وحدته عرضاً من الأذن إلى الأذن وقيل من العذار إلى العذار ، وأما الرأس ، فذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه ، ومذهب كثير من العلماء جواز الاقتصار على بعضه ، لما ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح على ناصيته ، ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزئ على أقوال كثيرة (وامسحوا برؤوسكم) اختلف في هذه الباء فقال قوم إنها للتبعية وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس ، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية وقال القرافي إنها باه الاستعانة التي تدخل على الآلات وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤوسكم ، وهذا ضعيف لأن الرأس على هذا مامسح لا ممسوح ، وذلك خلاف المقصود ، وقيل إنها زائدة وهو ضعيف ، لأن هذا ليس موضع زيادتها والصحيح عندي أنها باه الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله لأن المسح تارة يتعدى بنفسه ، وتارة بحرف الجر : كقوله : فامسحوا بوجوهكم ، وكقوله «فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» ( وأرجلكم إلى الكعبين ) قرئ وأرجلكم بالنصب عطفاً على الوجوه والأيدي فيقتضى ذلك وجوب غسل الرجلين ، وقرئ بالخفض

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا  
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ  
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا  
نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ \*  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ كُورُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ \* وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ  
نَقِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا  
حَسَنًا لَّا أَكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا أَدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ  
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ \* فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا

فعله بعضهم على أنه عطف على قوله برؤسكم ، فأجاز مسح الرجلين ، روى ذلك عن ابن عباس ، وقال الجمهور لا يجوز مسحهما بل يجب غسلهما وتأولوا قراءة الحفص بثلاثة تأويلات أحدها أنه خفض على الجوار لا على العطف والآخر أنه يراد به المسح على الخفين ، والثالث أن ذلك منسوخ بالسنة . والفرق بين الغسل والمسح أن المسح إمرار اليدين بالبلل الذي يبقى من الماء ، والغسل عندما لك إمرار اليد بالماء ، وعند الشافعي إمرار الماء ، وإن لم يبدك باليد (وإن كنتم مرضى أو على سفر) تقدم الكلام على نظيرتها في النساء (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أي من ضيق ولا مشقة كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دين الله يسر ، وبقى الآية بفضل من الله على عباده ورحمة وفي ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها (وميثاقه الذي واثقكم به) هو ما وقع في بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وكل موطن قال المسلمون فيه سمعنا وأطعنا (كونوا قوامين) تقدم الكلام على نظيرتها في النساء (ولا يجرمنكم) أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم) في سبها أربعة أقوال : الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بني النضير من اليهود ، فهم أن يصبوا عليه صخرة يقولونه بها ، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان ويقوى هذا القول ما ورد في الآيات بعد هذا في غدر اليهود ، والثاني أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سل السيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجده في سفر وهو وحده وقال له من يمنعك مني قال الله فأغمت السيف وجلس واسمه غورث بن الحارث الغطفاني ، والثالث أنها فيهم به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخرف ، والرابع أنها على الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين (اثني عشر نقيبا) هو كبير القوم القائم بأمرهم (إني معكم)

حَظًّا مَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \*  
وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوهُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ  
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ  
اللَّهُ مِنَ اتِّبَاعِ رِضْوَانِهِ سَبِيلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \*  
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ  
مَرْيَمَ وَامَةٌ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ \* وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ  
خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ \*  
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ  
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ \* يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ

أى بصرى ، والخطاب لبني إسرائيل ، وقيل للقباه (بحرفون الكلم) اختلف هل أريد تحريف الالفاظ أو المعانى  
(ولانزال تطلع على خائنة منهم) أى على خيانة فهو مصدر كالعاقبة ، وقيل على طائفة خائنة ، وهو إخبار بأمر  
مستقبل (فاعف عنهم) منسوخ بالسيف والحزبية (ومن الذين قالوا إنا نصارى) أى ادعوا أنهم أنصار الله ،  
وسموا أنفسهم بذلك ثم كفروا بالله ووصفوه بما لا يليق به ، وتعلق من الذين أخذنا ميثاقهم والضمير عائد  
على النصارى (فأغرينا) أى أبتنا وألصقنا ، وهو مأخوذ من الإغراء (يا أهل الكتاب) فى الموضوعين يعم  
اليهود والنصارى وقيل لأنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة فأنهم كانوا يذكرون رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة كفروا به (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى  
الآية دلالة على صحة نبوته لأنه بين لهم ما أخفوه مما فى كتبهم ، وهى أى لم يقرأ كتبهم (ويعفو عن كثير) أى  
يتركه ولا يفضحكم (فيه نور وكتاب مبين) محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قل فمن يملك من الله شيئا) الآية:  
رد على الذين قالوا إن الله هو عيسى ، وهم فرقة من النصارى (يخلق ما يشاء) إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد  
(وقالت اليهود والنصارى) أى قالت كل فرقة عن نفسها إنهم أبناء الله وأحباؤه والبنوة هنا بنوة الحنان والرأفة ،  
وقال الزمخشري المدنى : نحن أشياع أبناء الله عندهم ، وهما المسيح وعزير كما يقول حشم الملوك نحن الملوك (فلم يعذبكم)  
رد عليهم ، لأنهم قد اعترفوا أنهم يدخلون النار أيام معدودات ، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب

المقدسة التي كتب الله لكم ولا تتردوا على أدباركم فتقلبوا خسرين \* قالوا يَمْوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ  
وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ \* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ  
عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِونَ وَعَلَىٰ اللَّهُ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالَوا  
يَمْوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبِ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي  
لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ \* قَالَ فَإِنَّهَا مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ

حبيبه ، ففي ذلك بشارة لمن أحبه الله (وجعلكم ملوكا) قيل جعل منكم ملوكا أى أمراء ، وقيل الملك من له  
مسكن وامرأة وخادم (مالم يؤت أحداً من العالمين) قيل يعنى المن والسلمى والغمام وغير ذلك من  
الآيات ، وعلى هذا يكون العالمين خاصا بأهل زمانهم ، لأن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أوتيت  
من آياته مثل ذلك وأعظم ، وقيل المراد كثرة الأنبياء ، فعلى هذا يكون عاما ، لأن الأنبياء فى بنى إسرائيل  
أكثر منهم فى سائر الأمم (الأرض المقدسة) أرض بيت المقدس ، وقيل الطور ، وقيل دمشق (التي كتب  
الله لكم) أى قضى أن تكون لكم (ولا تتردوا على أدباركم) يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة  
والرجوع إلى الطريق الذى جاموا منه فإنه روى أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة  
خافوا من الجبارين الذين فيها ، وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر (قوما جبارين)  
هم العمالقة (قال رجلان) هما يوشع وكالب (يخافون) أى يخافون الله ، وقيل يخافون الجبارين ، ولكن الله  
أنعم عليهما بالصبر والثبوت اصدق إيمانها (ادخلوا عليهم الباب) أى باب المدينة (فاذهب أنت وربك) إفراط  
فى العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضى الكفر والاستهانة بالله ورسوله. وأين هؤلاء من الذين قالوا لرسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما  
مقاتلون (لا أملك إلا نفسي وأخي) قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بنى إسرائيل ويبدل جهده فى  
طاعة الله ويعتذر إلى الله وإعراب أخى عطف على نفسى لأن أخاه هارون كان يطيعه ، وقيل عطف على الضمير  
فى لا أملك : أى لا أملك أنا إلا نفسي ولا يملك أخى إلا نفسه ، وقيل مبتدأ ، وخبره محذوف أى أخى لا يملك إلا  
نفسه (فافرق بيننا) أى فارق بيننا وبينهم فهو من الفرقة ، وقيل افصل بيننا وبينهم بحكم (قال فإنها محرمة عليهم أربعين  
سنة) الضمير فى قال لله تعالى ، وحرم الله على جميع بنى إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة وتركهم فى هذه  
المدة يتيهون فى الأرض أى فى أرض التيه وهو ما بين مصر والشام حتى مات كل من قال . إنا لن ندخلها . ولم  
يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب ومات هرون فى التيه ومات موسى بعده فى التيه أيضا . وقيل  
إن موسى وهارون لم يكونا فى التيه ، لقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، وخرج يوشع بنى إسرائيل  
بعد الأربعين سنة ، وقاتل الجبارين ، وفتح المدينة ، والعامل فى أربعين : محرمة على الأصح ، فيجب وصله معه  
وقيل العامل فيه يتيهون فعلى هذا يجوز الوقف على قوله محرمة عليهم ، وهذا ضعيف لأنه لا حامل على تقديم  
المعمول هنا مع أن القول الأول أكمل معنى لأنه بيان لمدة التحريم والتيه (يتيهون) أى يتحIRON ، وروى

فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ • وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا  
وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ • لَئِن بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا  
بِأَسْطَ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ \* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ  
أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ • فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* فَبَعَثَ  
اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا  
الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ \* مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ

أنهم كانوا يسرون الليل كله ، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه (فلا تأس) أي لا تحزن  
والخطاب لموسى ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويراد بالفاسقين من كان في عصره من اليهود (نبأ ابني آدم) هما  
قاييل وهابيل (اذقربا قربانا) روى أن قاييل كان صاحب زرع فقرب أرذل زرعه ، وكان هابيل صاحب غنم فقرب  
أحسن كبش عنده ، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلي ، فإذا نزلت نار من السماء  
وأكلت القربان فذلك دليل على القبول والإفلا قبول ، فنزلت النار فأخذت كبش هابيل ورفعته وتركت زرع  
قاييل فحسده قاييل فقتله (إنما يتقبل الله من المتقين) استدلت بها المعتزلة وغيرهم على أن صاحب المعاصي لا يتقبل عمله ،  
وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك (لئن بسطت إلى يدك) الآية ، قيل معناها لئن بدأتني  
بالمقاتلة لم أبدأك به ، وقيل إن بدأتني بالمقاتلة لم أبدأك ، ثم اختلف على هذا القول هل تركه لدفاعه عن نفسه  
تورعا وفضيلة ؟ وهو الأظهر والأشهر ، وكان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد ، وأما في  
شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) الإرادة هنا ليست بإرادة  
حبة وشهوة ، وإنما هو تخيير في أهون الشرين كأنه قال إن قتلتني ، فذلك أحب إلي من أن أقتلك كما ورد  
في الآثار كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما قوله يا ثمى وإثمك فعناه يا ثمى قتلتي لك لو قتلتك ،  
ويا ثمى قتلتك لي ، وإنما يحمل القاتل الإثمين ، لأنه ظالم ، فذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : المتسابان ما قالا  
فهو على البادئ ، وقيل يا ثمى : أي تحمل عنى سائر ذنوبي ، لأن الظالم يجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم ، ويأثمك  
أي في قتلك لي ، وفي غير ذلك من ذنوبك (وذلك جزاء الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام هابيل ، أو استنفا من  
كلام الله تعالى (فبعث الله غرابا) الآية : روى أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر ، ثم جعل القاتل  
يبحث عن التراب ويورى الميت ، وقيل بل كان غرابا واحدا يبحث ويلقى التراب على هابيل (سوءة أخيه)  
أي عورته وخصت بالذكر ، لأنها أحق بالستر من سائر الجسد الضمير في أخيه عائده على ابن آدم ، ويظهر  
من هذه القصة أن هابيل كان أول من دفن من بني آدم (قال يا ويلتا) أصله يا ويلتي ، ثم أبدل من الياء ألف  
وفتخت التاء وكذلك يا أسنى . ويا حسرتي (فأصبح من النادمين) على ما وقع فيه من قتل أخيه ، واختلف في قاييل  
هل كان كافرا أو عاصيا ، والصحيح أنه لم يكن في تلك المدة كافرا لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان ، وأصبح

نَفْسًا بغيرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ \* إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ

هنا وفي الموضوع عبارة عن جميع الأوقات لاختصاصه بالصباح (من أجل ذلك) يتعلق بكتبتنا، وقيل بالنادمين، وهو ضعيف (كتبتنا على بني إسرائيل) أي فرضنا عليهم أو كتبناه في كتبهم (بغير نفس) معناه من غير أن يقتل نفسا يجب عليه القصاص (أو فساد في الأرض) يعني الفساد الذي يجب به القتل كالحرابة (فكأنما قتل الناس جميعا) تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات إحداها القصاص، فإن القصاص في قاتل الواحد والجميع سواء. الثانية انتهاك الحرمة والإقدام على العصيان، والثالثة الإثم والعذاب الأخرى قال مجاهد: وعد الله قاتل النفس بجهنم والخلود فيها، والغضب واللعنة والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك، وهذا الوجه هو الأظهر، لأن القصد بالآية: تعظيم قتل النفس والتشديد فيه لينزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كشواب إحياء الجميع لتعظيم الأمر والترغيب فيه وإحيائها هو إنقاذها من الموت كإنقاذ الحريق أو الغريق وشبه ذلك وقيل بترك قتلها، وقيل بالعفو إذا وجب القصاص (ولقد جاءتهم) الضمير لبني إسرائيل. والمعنى تقييح أفعالهم، وفي ذلك إشارة إلى ما هموا به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية: سببها عند ابن عباس أن قوما من اليهود كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنتقضوا العهد وقطعوا السبيل، وقال جماعة نزلت في نفر من عكل وعريثة أسلموا ثم إنهم قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم وأخذوا إبله ثم حكمها بعد ذلك في كل محارب، والمحاربة عند مالك هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد، وقال أبو حنيفة لا يكون المحارب إلا خارج البلد، وقوله: يحاربون الله: تغليظ ومبالغة، وقال بعضهم تقديره: يحاربون رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وذلك ضعيف، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر بعد ذلك وقيل يحاربون عباد الله وهو أحسن (ويسعون في الأرض فسادا) بيان للحرابة وهي على درجات أذناها إخافة الطريق ثم أخذ المال ثم قتل النفس (أن يقتلوا أو يصلبوا) الصلب مضاف إلى القتل وقيل يقتل ثم يصاب ليراه أهل الفساد فينزعروا، وهو قول أشهب، وقيل يصلب حيا، ويقتل على الخشبة، وهو قول ابن القاسم (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف) معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد: قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ، وقطع الرجل من المفصل، وذلك في الحرابة وفي السرقة (أو ينفوا من الأرض) مشهور مذهب مالك أن ينفي من بلد إلى بلد آخر، ويسجن فيه إلى أن تظهر توبته، وروى عنه مطرف أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك قال أبو حنيفة، وقيل ينفي إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه، ومذهب مالك أن الإمام مخير في المحارب بين أن يقتله ويصلبه، أو يقتله ولا يصلبه أو يقطع يده ورجله، أو ينيقه، إلا أنه قال إن كان قتل فلا بد من قتله، وإن لم يقتل، فالأحسن أن يأخذ

تَقَدَّرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا  
فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مِثْلَ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ  
مُعِيمٌ \* وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* فَمَنْ تَابَ  
مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

فيه بأيسر العقاب ، وقال الشافعي وغيره : هذه العقوبات مرتبة فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ولم يصلب ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله ، ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا نفي ، وحجة مالك عطف هذه العقوبات بأول التي تقتضى التخيير (خزى في الدنيا) هو العقوبة ، وعذاب الآخرة النار وظاهر هذا أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفارة للمحارب ، بخلاف سائر الحدود ، ويحتمل أن يكون الخزى في الدنيا لمن عوقب فيها ، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) قيل هي في المشركين وهو ضعيف ، لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها ، وقيل هي في المحاربين من المسلمين وهو الصحيح ، وهم الذين جازتهم العقوبات المذكورة ، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه ، فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله : فاعلموا أن الله غفور رحيم واختلف يطالب بما عليه من حقوق الناس في الدماء والأموال أولا ؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة على حد الحرابة التي سقطت عنه بالتوبة ، ووجه إسقاطها إطلاق قوله غفور رحيم (وابتغوا إليه الوسيلة) أى ما يتوسل به ويتقرب به إليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك (ليفتدوا به) إن قيل لم وحد الضمير وقد ذكر شيئين وهما مافى الأرض ومثله ؟ فالجواب أنه وضع المفرد في موضع الاثنين ، وأجرى الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قال ليفتدوا بذلك ، أو تكون الواو بمعنى مع (عذاب مقيم) أى دائم ، وكذلك نعيم مقيم (والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما) عموم الآية يقتضى قطع كل سارق إلا أن الفقهاء اشتراطوا في القطع شروطا خصصوا بها العموم ، فمن ذلك من اضطره الجوع إلى السرقة لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له ، وكذلك من سرق مال والده أو سيده ، أو من سرق من غير حرز ، أو سرق أقل من النصاب ، وهو عند مالك ربع دينار من الذهب ، أو ثلاثة دراهم من الفضة ، أو ما يساوى أحدهما ، وأدلة التخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية ، وقد قيل إن الحرز مأخوذ من هذه الآية ، لأن ما أهمل بغير حرز أو ائتمن عليه ، فليس أخذه سرقة وإنما هو اختلاس أو خيانة ، وإعراب السارق عند سيبويه مبتدأ ، وخبره محذوف : كأنه قال فيما يتلى عليكم السارق والسارقة ، والخبر عند المبرد وغيره فاقطعوا أيديهما ، ودخلت الفاء لتضمنها معنى الشرط (فمن تاب من بعد ظلمه) الآية : توبة السارق هو أن يندم على ما مضى ، ويقلع فيما يستقبل ، ويرد ما سرق إلى من يستحقه ، واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم ، هل يسقط عنه القطع وهو مذهب الشافعي لظاهر الآية ؟ أو لا يسقط عنه وهو مذهب مالك لأن الحدود عنده

يُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ  
 فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ  
 لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوْهُ  
 فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لِمَ فِي  
 الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم  
 بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ  
 يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ

لا تسقط بالتوبة إلا عن المحارب للنص عليه (يعذب من يشاء) قدم العذاب على المغفرة لأنه قابل بذلك تقدم  
 السرقة على التوبة (يا أيها الرسول) الآية : خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية (من الذين قالوا  
 آمنا بأفواههم) هم المنافقون (ومن الذين هادوا) يحتمل أن يكون عطفًا على الذين قالوا آمنا ، ثم يكون سماعون  
 استئناف إخبار عن الصنفين المنافقين واليهود ، ويحتمل أن يكون من الذين هادوا : استئنافًا منقطعًا ما قبله ، وسماعون  
 راجع إليهم خاصة (سماعون لقوم آخرين) أى سماعون كلام قوم آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي صلى الله عليه  
 وسلم لإفراط البعوضة والجاهرة بالعداوة ، فقوله لم يأتوك صفة لقوم آخرين ، والمراد بالقوم الآخرين يهود خبير ،  
 والسماعون للكذب بنو قريظة (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أى يبدلونه من بعد أن يوضع في موضعه ، وقصدت به  
 وجوهه القويمة ، وذلك من صفة اليهود (يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه) نزلت بسبب أن يهوديا زنى يهودية  
 فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود عن حد الزانى عندهم فقالوا انجلدهما ونحّم وجوههما . فقال لهم رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم إن في التوراة الرجم ، فأنكروا ذلك ، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرأوها ، فجعل أحدهم يده  
 على آية الرجم ، فقال له عبدالله بن سلام ارفع يدك فرفع ، فإذا آية الرجم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 باليهودى واليهودية فرجما ، فعنى قولهم إن أوتيتهم هذا فخذوه : إن أوتيتهم هذا الذى ذكرتم من الجلد والتحميم  
 فخذوه واعملوا به ، وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بغيره فاحذروا (فتنته) أى ضلالته فى الدنيا أو  
 عذابه فى الآخرة (فى الدنيا خزى) الذلة والمسكنة والجزية (سماعون للكذب) إن كان الأول فى اليهود فكررها  
 هنا تأكيداً ، وإن كان الأول فى المنافقين واليهود فهذا فى اليهود خاصة (أكلون للسخت) أى للحرام من الرشوة  
 والربا وشبه ذلك (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) هذا تخيير للنبي صلى الله عليه وسلم فى أن يحكم بين اليهود أو يتركهم  
 وهو أيضاً يتناول الحاكم ، وقيل لأنه منسوخ بقوله : وأن أحكم بينهم بما أنزل الله (وكيف يحكمونك) الآية : استبعاد  
 لتحكمهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم لا يؤمنون به ، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التى يدعون الإيمان بها ،  
 فعنى ثم يتولون من بعد ذلك أى يتولون عن اتباع حكم الله فى التوراة من بعد كون حكم الله فيها موجودا  
 عندهم ومعلوما فى قضية الرجم وغيرها (وما أولئك بالمؤمنين) يعنى أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه

بِالْمُؤْمِنِينَ \* إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا الَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ  
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا  
بِأَيْتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ \* وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ  
بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ  
فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* وَقَفِينَا عَلَى آثَرِهِمْ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

السلام ، وهذا إلزام لهم لأن من خالف كتاب الله وبذله فدعواه الإيمان به باطلة (النبيون الذين أسلموا) هم  
الأنبياء الذين بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ومعنى أسلموا هنا أخلصوا لله وهو صفة مدح أريد به  
التعريض باليهود لأنهم بخلاف هذه الصفة ، وليس المراد هنا الإسلام الذي هو ضد الكفر ؛ لأن الأنبياء  
لا يقال فيهم أسلموا على هذا المعنى ، لأنهم لم يكفروا قط ، وإنما هو كقول إبراهيم عليه السلام : أسلمت  
لرب العالمين ، وقوله تعالى فقل أسلمت وجهي لله (للذين هادوا) متعلق بيحكم أى يحكم الأنبياء بالتوراة للذين  
هادوا ، ويحملونهم عليها ، ويتعلق بقوله فيه هدى ونور (بما استحفظوا) أى كلفوا حفظه ، والباء هنا سببية  
قاله الزمخشري ، ويحتمل أن تكون بدلا من المجرور في قوله يحكم بها (فلا تخشوا الناس) وما بعده خطابا لليهود ،  
ويحتمل أن تكون وصية للمسلمين يراد بها التعريض باليهود ، لأن ذلك من أفعالهم (ومن لم يحكم بما أنزل الله  
فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس نزلت الثلاثة في اليهود : الكافرون ، والظالمون ، والفاسقون ، وقد روى في  
هذا أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال جماعة هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين  
وغيرهم ، إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان ، وقال الشافعي : الكافرون  
في المسلمين ، والظالمون في اليهود ، والفاسقون في النصارى (وكتبنا عليهم فيها) كتبنا بمعنى الكتابة في الألواح ،  
أوبمعنى الفرض والإلزام ، والضمير في عليهم لبنى إسرائيل ، وفي قوله فيها للتوراة (أن النفس بالنفس) أى تقتل  
النفس إذا قتلت نفسا ، وهذا إخبار عمافي التوراة وهو حكم في شريعتنا بإجماع ، إلا أن هذا اللفظ عام ، وقد خصص  
العلماء منه أشياء ، فقال مالك : لا يقتل مؤمن بكافر للحديث الوارد في ذلك ولا يقتل حر بعبد ، لقوله الحر بالحر  
والعبد بالعبد ، وقد تقدم الكلام على ذلك في البقرة (والعين بالعين) وما بعده حكم القصاص في الأعضاء ، والقراءة  
بنصب العين وما بعده عطف على النفس ، وقرئ بالرفع ولها ثلاثة أوجه : أحدها العطف على موضع النفس  
لأن المعنى قلنا لهم النفس بالنفس والثاني العطف على الضمير الذي في الخبر وهو بالنفس ، والثالث أن يكون  
مستأنفا مرفوعا بالابتداء (والجروح قصاص) بالنصب عطف على المنصوبات قبله ، وبالرفع على الأوجه الثلاثة  
التي في رفع العين ، وهذا اللفظ عام يراد به الخصوص في الجراح التي لا يخاف على النفس منها (فمن تصدق به  
فهو كفارة له) فيه تأويلان : أحدهما من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه ، فذلك كفارة له  
يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه ، والثاني من تصدق وعفا فهو كفارة للقاتل والجراح بعفو الله عنه  
في ذلك لأن صاحب الحق قد عفا عنه ، فالضمير في له على التأويل الأول يعود على من التي هي كناية عن

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى  
 وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ \* وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
 الْفَاسِقُونَ \* وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم  
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنَاجِيَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ  
 لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا  
 كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ \* وَأَن أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ  
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ  
 لَفَاسِقُونَ \* أَحْكُمِ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

المقتول أو المجرح ، أو الولي ، وعلى الثاني يعود على القاتل أو الجارح وإن لم يجر له ذكر ولكن سياق  
 الكلام يقتضيه ، والأول أرجح لعود الضمير على المذكور ، وهو من ، ومعناها واحد على التأويلين ، والصدقة  
 بمعنى العفو على التأويلين ، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا ، وترغيب في العفو ، والتأويل الثاني :  
 بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عفى عنه (مصدقاً لما بين يديه) قد تقدم معنى مصدق في البقرة ،  
 ولما بين يديه : يعني التوراة ، لأنها قبله ، والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل ، لأنها قبله ، ومصدقاً : عطف على  
 موضع قوله فيه هدى ونور ، لأنه في موضع الحال (ومهيماً) ابن عباس شاهداً ، وقيل مؤتمناً (عما جاءك من  
 الحق) تضمن الكلام معنى لا تنصرف أو لا تنحرف ، ولذلك تعدى بعن (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)  
 ابن عباس سبيلاً وسنة ، والخطاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو الأمم ، والمعنى أن الله جعل لكل  
 أمة شريعة يتبعونها ، وقد استدلل بها من قال إن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا ، وذلك في الأحكام والفروع ،  
 وأما الاعتقاد ، فالدين فيها واحد لجميع العالم ، وهو الإيمان بالله ، وتوحيده وتصديق رسله ، والإيمان بالدار  
 الآخرة (فاستبقوا الخيرات) استدلل به قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها ، وهذا متفق عليه  
 في العبادات كلها ، إلا الصلاة ففيها خلاف ، فذهب الشافعي أن تقديمها في أول وقتها أفضل ، وعكس  
 أبو حنيفة ، وفي مذهب مالك خلاف وتفصيل ، وانفقوا أن تقديم المغرب أفضل (وأن أحكم بينهم) عطف  
 على الكتاب في قوله : وأنزلنا إليك الكتاب ، أو على الحق في قوله : بالحق ، وقال قوم إن هذا وقوله قبله  
 فاحكم بينهم ناسخ لقوله : فاحكم بينهم أو أعرض عنهم : أي ناسخ للتخيير الذي في الآية ، وقيل إنه ناسخ  
 للحكم بالتوراة ، ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود ، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم  
 فأبى من ذلك ، ونزلت الآية تقضى أن يحكم بينهم (أحكم الجاهلية يبعون) توبيخ لليهود ، وقرئ بالياء إخبار عنهم ،  
 وبالتالي خطأ بهم (قوم يوقنون) قال الرمحشري اللام لليبان : أي هذا الخطاب لقوم يوقنون ، فإنهم الذين يتدين لهم أنه  
 لا أحسن من الله حكماً (بأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) سببها هو الالة عبد الله بن أبي بن سلول يهود

اليهود والنصرى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين \* فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين \* ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبط أعمالهم فأصبحوا خاسرين \* يسأها الذين آمنوا من رتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه آذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجهدون

بنى قينقاع ، وخلع عبادة بن الصامت الحلف الذى كان بينه وبينهم ، ولفظها عام ، وحكمها باق ، ولا يدخل فيه معاملتهم فى البيع والشراء وشبهه ( فإنه منهم ) تغليظ فى الوعيد ، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه ومن خالفهم فى اعتقادهم وأحبهم فهو منهم فى المقت عند الله ، واستحقاق العقوبة ( فترى الذين فى قلوبهم مرض ) هم المنافقون والمراد هنا عبد الله بن أبى سلول ومن كان معه ( يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ) كان عبد الله بن أبى يوالى اليهود ويستكثرهم ، ويقول لى رجل أخشى الدوائر ( فسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ) الفتح هنا هو ظهور النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، والأمر من عنده : هو هلاك الأعداء بأمراض عنده لا يكون فيه تسبب مخلوق ، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود ( فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ) الضمير فى فيصبحوا للنافقين والذى أسروه هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين وإضمار العداوة للمسلمين ( يقول الذين آمنوا ) قرئى يقل بغير واو استثناف وإخبار ، وقرئى بالواو والرفع وهو عطف جملة على جملة ، وبالواو والنصب عطفاً على أن يأتي الله ، أو عطفاً على فيصبحوا ( هؤلاء الذين أقسموا ) الإشارة إلى المنافقين ، لأنهم كانوا يملفون أنهم مع المؤمنين ، وانتصب جهد أيمانهم على المصدر المؤكد ( حبطت أعمالهم ) يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين ، أو من كلام الله ، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبر ( من يرتد منكم عن دينه ) خطاب على وجه التحذير والوعيد ، وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه ، ثم وقع فارتد فى حياة رسول صلى الله عليه وسلم بنو حنيفة قوم مسيلية الكذاب ، وبنو مدج قوم الأسود العنسى الذى ادعى النبوة ، وقتل فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد ، ثم كثر المرتدون ، وفشا أمرهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت القبائل التى ارتدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع قبائل بنو فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وكندة ، وبنو بكر بن وائل ، وبعض بنى تميم ، ثم ارتدت غسان فى زمان عمر بن الخطاب ، وهم جيلة بن الأيهم الذى تنصر من أجل اللطمة ( فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه ) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ، وقال هم قوم هذا يعنى أباموسى الأشعري ، والإشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن ، لأن الأشعريين من أهل اليمن ، وقيل المراد أبى بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ويقوى ذلك ما ظهر من أبى بكر الصديق رضى الله عنه من الجد فى قتالهم ، والعزم عليه حين خالفه فى ذلك بعض الناس ، فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا عليه فنصرهم الله على أهل الردة ، ويقوى ذلك أيضاً

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ  
 وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا  
 مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّؤْمِنِينَ \* وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى  
 الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ \* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن  
 ءَأْمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ \* قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً

أن الصفات التي وصف بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر، ألا ترى قوله: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين  
 وكان أبو بكر ضعيفاً في نفسه قويماً في الله، وكذلك قوله: ولا يخافون لومة لائم: إشارة إلي من خالف أبا بكر ولا مه  
 في قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه (أذلة على المؤمنين) كقوله أشداه على الكفار رحماً بينهم، وإنما تعدى أذلة بعلي،  
 لأنه تضمن معنى العطف والحنو، فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلى الشرط؟ فالجواب: أنه محذوف تقديره من  
 يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم يقاتلونهم (إنما وليكم الله) ذكر الولي بلفظ المفرد لإفراد  
 الله تعالى بهما ثم عطف على اسمه تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبعية، ولو قال إنما  
 أولياؤكم لم يكن في الكلام أصل وتبع (وهم راكعون) قيل نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه سأله  
 سائل وهو راكع في الصلاة، فأعطاه خاتمه، وقيل هي عاقبة، وذكر الركوع بعد الصلاة لأنه من أشرف  
 أعمالها، فالواو على القول الأول والواو الحال، وعلى الثاني للعطف (فإن حزب الله) هذا من إقامة الظاهر مقام  
 المضمر: معناه فإنهم هم الغالبون (والكفار) بالنصب عطف على الذين اتخذوا، وقرئ بالخفض عطف على  
 الذين أوتوا الكتاب، ويعضده قراءة ابن مسعود: ومن الكفار، ويراد بهم المشركون من العرب (وإذا  
 ناديتم إلى الصلاة) الآية: روى أن رجلاً من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً  
 رسول الله قال: حرق الله الكاذب، فوقعت النار في بيته فاحترق هو وأهله، واستدل بعضهم بهذه الآية على  
 ثبوت الأذان من القرآن (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين (هل تنقمون  
 منا) هل تعيبون علينا وتنكرون منا إلا إيماننا بالله، ويجمع كتبه ورسله، وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب،  
 ونظير هذا في الاستثناء العجيب قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم \* بهن فلول من قراع الكتاب

ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلى  
 الله عليه وآله وسلم عن الرسل الذي يؤمن بهم قتلاً: آمنا بالله وما أنزل إلينا إلى آخر الآية، فلما ذكر عيسى  
 قالوا لا تؤمن بعيسى ولا بمن آمن به (وأن أكثركم فاسقون) قيل إنه معطوف على آمنا، وقيل على ما أنزل،  
 وقيل هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره هل تنقمون منا إلا لقلة إناصافكم ولأن أكثركم فاسقون  
 ويحتمل أن يكون وأن أكثركم مبتدأ وخبره محذوف تقديره فسقم معلوم، أو ثابت (قل هل أنبئكم بشر من

عند الله من لعنه الله و غضب عليه وجعل منهم القردة و الخنازير و عبد الطاغوت أولئك شر مكانا  
 و أضل عن سوا السبيل \* وإذا جاءكم قائلوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم  
 بما كانوا يكتمون \* و ترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم و العدوان و أكلمهم السحت لبئس ما كانوا  
 يعملون \* لولا ينههم الربيبون و الأحبار عن قولهم الإثم و أكلمهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون \*  
 و قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم و لعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء و ليزيدن  
 كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا و كفرا و ألقينا بينهم العداوة و البغضاء إلى يوم القيمة  
 كلبا أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله و يسعون في الأرض فسادا و الله لا يحب المفسدين \* ولو أن أهل

ذلك) لما ذكر أن أهل الكتاب يعيبون المسلمين بالإيمان بالله ورسله ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة  
 ذلك ردا عليهم ، فالخطاب في أنبيكم لليهود ، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من حال المؤمنين (مثوبة عند الله)  
 هي من الثواب و وضع الثواب موضع العقاب تهكما بهم نحو قوله : فبشرهم بعذاب أليم (من لعنه الله) يعنى اليهود  
 و من في موضع رفع بخبر مبتدأ مضمرة تقديره هو من لعنه الله ، أو في موضع خفض على البدل من بشر ، ولا  
 بد في الكلام من حذف مضاف تقديره بشر من أهل ذلك و تقديره دين من لعنه الله (وجعل منهم القردة  
 و الخنازير) مسخ قوم من اليهود قرودا حين اعتدوا في السبت ، و مسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا بعبسى  
 ابن مريم (وعبد الطاغوت) القراءة بفتح الباء فعل معطوف على لعنه الله ، و قرئ بضم الباء و خفض الطاغوت  
 على أن يكون عبدا سما على وجه المبالغة كيقظ أضيف إلى الطاغوت ، و قرئ و عابدو عباد ، وهو في هذه الوجوه  
 عطف على القردة و الخنازير (شر مكانا) أى منزلة و نسب الشر للكان وهو في الحقيقة لأهله ، و ذلك ، بالغة في الذم  
 (وإذا جاءكم قائلوا آمنا) نزلت في منافقين من اليهود (وقد دخلوا بالكفر) تقديره ملتبسين بالكفر ، و المعنى  
 دخلوا كفارا و خرجوا كفارا ، و دخلت قد على دخلوا و خرجوا : تقريبا للماضى من الحال أى ذلك حالهم  
 في دخولهم و خروجهم على الدوام (بالإثم) الكذب و سائر المعاصى (و العدوان) الظلم (السحت) الحرام  
 (لولا ينههم) عرض و تخصيص و تبريع (ليس) اللام في الموضعين للقسم (وقالت اليهود يد الله مغلولة) غل  
 اليد كناية عن البخل و بسطها كناية عن الجود و منه : و لا تجعل يدك مغلولة : أى لا تبخل كل البخل ، و لا  
 تبسطها كل البسط : أى لا تجرد كل الجود ، و روى أن اليهود أصابتهم سنة جهنم فقالوا هذه المقالة الشنيعة ،  
 و كان الذى قالها فنحاص ، و نسبت إلى جملة اليهود ، لأنهم رضوا بقوله (غلت أيديهم) يحتمل أن يكون دعاه  
 أو خبرا ، و يحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة ، فإن كان في الدنيا ، فيحتمل أن يراد به البخل أو غل  
 أيديهم في الأسر ، و إن كان في الآخرة ، فهو جعل الأغلال في جهنم (بل يدها مبسوطتان) عبارة عن إنعامه  
 و جوده ، و إنما نيت اليدان هنا و أفردت في قول اليهود : يد الله مغلولة ، ليكون ردا عليهم و مبالغة في وصفه  
 تعالى بالجود : كقول العرب فلان يعطى بكتلتا يديه إذا كان عظيم السخاء (كلبا أوقدوا نارا للحرب أطفاها

الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقُوا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّةَ النَّعِيمِ ؕ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ  
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَا كَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ  
سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ \* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ  
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ؕ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا  
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيُزِيدَنَّا كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا  
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ \* إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَرِيُّونَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ؕ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا

الله) إيقاد النار عبارة عن محاولة الحرب ، وإطفائها عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم ، ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم ، أو يراد من كان معاصرا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم ، ومن يأت بعدهم ، فيكون على هذا إخبار بغيث ، وبشارة للمسلمين (ولو أن أهل الكتاب آمنوا) الآية : يحتمل أن يراد أسلافهم والمعاصرون للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، فيكون على هذا ترغيبا لهم في الإيمان والتقوى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) إقامتها بالعلم والعمل ؛ وذكر الإنجيل دليل على دخول النصارى في لفظ أهل الكتاب (لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) قيل من فوقهم عبارة عن المطر ، ومن تحت أرجلهم : عبارة عن النبات والزرع ، وقيل ذلك استعارة في توسعة الرزق من كل وجه (أمة مقتصدة) أى معتدلة ، ويراد به من أسلم منهم : كعبدالله بن سلام ، وقيل من لم يعاد الأنبياء المتقدمين (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) أمر بتبليغ جميع ما أوحى إليه على الاستيفاء والكمال ، لأنه كان قد بلغ وإنما أمر هنا ألا يتوقف عن شيء مخافة أحد (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان : أحدهما أن المعنى إن تركت منه شيئا ، فكأنك لم تبلغ شيئا ، وصار ما بلغت لا يعتد به ، فعنى إن لم تفعل : إن لم تستوف التبليغ على الكمال ، والآخر أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتبها ، ووضع السبب موضع المسبب (والله يعصمك من الناس) وعد وضمان للعصمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف أعداءه ويحترس منهم في غزواته وغيرها ، فلما نزلت هذه الآية ، قال يا أيها الناس انصرفوا فإن الله قد عصمني وترك الاحتراس (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) الآية : أى لستم على دين يعتد به يسمى شيئا (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) ومن إقامتها الإيمان بحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقوله (وما أنزل إليكم) قال ابن عباس : يعنى القرآن ، ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة وسلام بن بشكم ورافع بن خزيمه وغيرهم من اليهود جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها ، ولا تؤمن بك ولا نتبعك (إن الذين آمنوا والذين هادوا) تقدم الكلام على نظيرتها في البقرة (والصابئون) قراءة السبعة بالواو وهى مشكلة حتى قالت عائشة : هى من لحن كتاب المصحف ، وإعرابها عند أهل البصرة مبتدأ وخبره محذوف

إِلَيْهِمْ رَسُولًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ \* وَحَسِبُوا أَنْ تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمَّوْا وَصَمَّوْا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ \* لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ مِنْ آلِهِ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ \* قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ \* لَعْنُ الَّذِينَ

تقديره والصابئون كذلك وهو مقدم في نية التأخير ، وأجاز بعض الكوفيين أن يكون معطوفا على موضع اسم إن ، وقيل إن هنا بمعنى نعم وما بعدها مرفوع بالابتداء وهو ضعيف (وحسبوا أن لا تكون فتنة) أى بلاء واختبار ، وقرئ تكون بالرفع على أن تكون أن مخففة من الثقيلة ، وبالنصب على أنها مصدرية (فعموا وصموا) عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان (ثم تاب الله عليهم) قيل إن هذه التوبة رد ملكهم ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه ، ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجر حالهم أبدا ، وقيل التوبة بعث عيسى عليه السلام ، وقيل بعث محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كثير منهم) بدل من الضمير أفعال على لغة أكلوني البراغيث والبدل أرجح وأصح (وقال المسيح) الآية : رد على النصارى ، وتكذيب لهم (وما للظالمين من أنصار) يحتتمل أن يكون من كلام المسيح ، أو من كلام الله (ما المسيح ابن مريم لإرسول) الآية : رد على من جعله إلهاً (وأمة صديقة) أى بليغة الصدق في نفسها ، أو من التصديق ، ووصفها بهذه الصفة دون النبوة يدفع قول من قال إنها نبية (كانا يأكلان الطعام) استدلال على أنهما ليسا يلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذى لا يحتاج إليه إلا محدث مفتر ، ومن كان كذلك فليس ياله ، لأن الإله منزه عن صفة الحدوث ، وعن كل ما يلحق البشر ، وقيل إن قوله يا كلان الطعام : عبارة عن الاحتياج إلى الغائط ، ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره ، لأن الحجة قائمة بالوجهين (ثم انظر) دخلت ثم لتفاوت الأمرين ولقصد التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات (قل أتعبدون من دون الله) الآية : إقامة حجة على من عبد عيسى وأمه وهما لا يملكان ضرا ولا نفعاً (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) خطاب للنصارى والغلو الإفراط وسبب ذلك كفر النصارى (ولا تتبعوا أهواء قوم) قيل هم أمتهم في دين النصارى كانوا على ضلال في عيسى وأضلوا كثيراً من الناس ، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل هم اليهود ، والأول أرجح

كَفَرُوا مِنْ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِبَيْسٍ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ \* تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنفُسَهُمْ أَن سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ \* وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ \* وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسَقُونَ \* لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا \* وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ إِذْ كُنَّا بَيْنَ يَدَيْهِمْ قَائِلِينَ بَلْ نَحْنُ قَائِلِينَ بَلَاءٍ وَأَنْتُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ \* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ بِمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ \* فَأَنْتَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ \* يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَكُلُوا بِمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا

لوجهين : أحدهما أن الضلال وصف لازم للنصارى ألا ترى قوله تعالى ولا الضالين ، والآخر أنه يبعد نهى النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق (على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى فى الزبور والإنجيل (لا يتناهون) أى لا ينهى بعضهم بعضا (عن منكر) فإن قيل : لم وصف المنكر بقوله فعلوه والنهى لا يكون بعد الفعل ؟ فالجواب : أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه ، أو عن منكر إن أرادوا فعله (ترى كثيرا منهم) إن أراد أسلافهم ، فالروية بالقلب ، وإن أراد المعاصرين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الأظهر ، فهى روية عين (والنبي وما أنزل إليه) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (ما اتخذوهم أولياء) يعنى ما اتخذوا الكفار أولياء (لتجدن أشد الناس عداوة) الآية : إخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة الأوثان للمسلمين (ولتجدن أقربهم مودة) الآية : إخبار أن النصارى أقرب إلى ودة المسلمين ، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر فكل يهودى شديد العداوة للإسلام والكيد لاهله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) تعليل لقرب مودتهم ، والقسيس العالم والراهب العابد (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) الآية : هى فى النجاشى ، وفى الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سبعون رجلا ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا كما بكى النجاشى حين قرأ عليه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه سورة مريم ، وقال السهيلي : نزلت فى وفد نجران ، وكانوا نصارى عشرين رجلا ، فلما سمعوا القرآن بكوا (بما عرفوا من الحق) من الأولى سببية والثانية بيان للجنس (آمنا) أى بالقرآن من عند الله (مع الشاهدين) أى مع المسلمين ، وكذلك مع القوم الصالحين (وما لنا لا تؤمن بالله) توقيف لأنفسهم ، أو حجة لغيرهم (ونطمع) قال الزمخشري الواو للحال ، وقال ابن عطية لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) سببها أن قوما من

اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ \* لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْسِنِكُمْ وَلَا يَأْتِيكُمْ بِهِ مَعَقَدًا \* إِنَّكُمْ لَأَبْدَانٌ مُجْتَمِعُونَ \* فَكَفَّرْتُمُوهَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* لَوْلَا أَنَّكُمْ كُنْتُمْ رِجَالًا مَشْجُورِينَ \* لَأَخَذْتُمُوهَا كَمَا أَخَذْتُمُوهَا \* وَأَنْتُمْ فِيهَا كَاذِبُونَ \* فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ \* وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

الصحابة غاب عليهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء ، وبعضهم النوم بالليل ، وبعضهم أكل اللحم ، وهم بعضهم أن يختصوا ، أو يسيحوا في الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أما أنا فأقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وآتى النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني (ولا تعتدوا) أي لا تفرطوا في التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم (وكلوا) أي تمتعوا بالمأكل الحلال ، وبالنساء وغير ذلك ، وإنما خص الأكل بالذكر ، لأنه أعظم حاجات الإنسان (باللغو) تقدم في البقرة (بما عقدتم الأيمان) أي بما قصدتم عقده بالنية ، وقرئ عقدتم بالتخفيف ، وعقدتم بالألف (إطعام عشرة مساكين) اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يجزى في الكفارة إطعام غني ، فإن أطمع جهلاً لم يجزيه على المشهور من المذهب ، واشتراط مالك أيضاً أن يكونوا أحراراً مسلمين ، وليس في الآية ما يدل على ذلك (من أوسط ما تطعمون أهليكم) اختلف في هذا التوسط هل هو في القدر أو في الصنف ، واللفظ يحتمل الوجهين ، فأما القدر فقال مالك يطعم بالمدينة مائة من التمر أو ما يعادلها ، وقال الشافعي وابن القاسم : يجزى المذ في كل مكان وقال أبو حنيفة إن غدهم وعشاهم أجزاء ، وأما الصنف فاختلف هل يطعم من عيش نفسه ، أو من عيش أهل بلده ؟ فعنى الآية على التأويل الثاني من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم على الجملة ، وعلى الأول يختص الخطاب بالكفر (أو كسوتهم) قال كثير من العلماء يجزى ثوب واحد لمسكين ، لأنه يقال فيه كسوة ، وقال مالك إنما يجزى ما تصح به الصلاة ، فللرجل ثوب واحد ، وللرأة قميص وخمار (أو تحرير رقبة) اشتراط مالك فيها أن تكون مؤمنة لتقيدها بذلك في كفارة القتل ، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد ، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافرة ، لإطلاق اللفظ هنا ، واشتراط مالك أيضاً أن تكون سليمة من العيوب وليس في اللفظ ما يدل على ذلك (فمن لم يجد) أي من لم يملك ما يعتق ولا ما يطعم ولا ما يكسو فعليه صيام ثلاثة أيام ، فالخصال الثلاث على التخيير ، والصيام مرتب بعدها لمن عدها ، وهو عند مالك من لم يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه زيادة (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) معناه إذا حلفتم وخشيتهم أو أردتم الخنث ، واختلف هل يجوز تقديم الكفارة على الخنث أم لا (واحفظوا أيمانكم) أي احفظوها فبروا فيها ، ولا تخشوا ، وقيل : احفظوها بأن تكفروها إذا حنثتم ، وقيل احفظوها أي لا تنسوها وانها (الخر والميسر) ذكر في البقرة (والأنصاب والأزلام) مذكوران في أول هذه السورة (رجس) هو في اللغة كل مكروه مذموم وقد يطلق بمعنى النجس وبمعنى الحرام وقال ابن عباس معنى رجس سخط (فاجتنبوه) نص في التحريم والضمير يعود على الرجس الذي هو خبر عن جميع الأشياء

وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ \* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ \* لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا تَقَوَّأَ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَمِلُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَلْوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ

المذكورة (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) تقييح للخمر والميسر، وذكر لبعض عيوبها، وتعليل لتحريمها، وقد وقعت في زمان الصحابة عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال إن ذلك كان سبب نزول الآية (فهل أتم منتهون) توقيف يتضمن الزجر والوعيد ولذلك قال عمر لما نزلت: انتهينا انتهينا (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح (فيما طعموا) فيها تأويلان: أحدهما أنه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة كيف بمن مات منا وهو يشربها، فنزلت الآية معلية أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم، لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ، والآخر أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه حين قال لقدامة: إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة قد شربها واحتج بهذه الآية على رفع الجناح عنه، فقال عمر: أخطأت التأويل (إذا ما تقوا وآمنوا) الآية قيل كسر التقوى مبالغة، وقيل الرتبة الأولى: اتقاء الشرك، والثانية اتقاء المعاصي، والثالثة: اتقاء ما لا بأس به حذرا بما به البأس، وقيل الأولى للزمان الماضي والثانية للحال، والثالثة للمستقبل (وأحسنوا) يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس، أو الإحسان في طاعة الله وهو المراقبة، وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة: مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان (ليلوكنم الله بشيء من الصيد) أي يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام وفي الحرم وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم، فاخترتوا وابتكرت كما اختبر بنو إسرائيل بالحوت في السبت وإنما قلله في قوله: بشيء من الصيد إشعارا بأنه ليس من الفتن العظيمة، وإنما هو من الأمور التي يمكن الصبر عنها (تتاله أيديكم ورماحكم) قال مجاهد: الذي تناله أيدي الفرار والبيض وما لا يستطيع أن يفر والذي تناله الرماح كبار الصيد، والظاهر عموم هذا التخصيص (ليعلم الله) أي يعلمه علما تقوم به الحججة، وذلك إذا ظهر في الوجود (فمن اعتدى) أي بقتل الصيد وهو حرم، والعذاب الأليم هنا في الآخرة (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) معنى حرم داخلين في الأحرام وفي الحرم، والصيد هنا عام خصص منه الحديث: الغراب والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور. وأدخل مالك في الكلب العقور كل ما يؤذي الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعي على هذه الخمسة: كل ما لا يؤكل لحمه، ولفظ الصيد يدخل فيه ما صيد وما لم يصد مما شأنه أن يصاد وورد النهي هنا عن القتل قبل أن يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله «وحرمت عليكم صيد البر ما دمتم حرما» (ومن قتله منكم متعمدا) مفهوم الآية يقتضي أن جزاء

مَثَلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامٌ مَّسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ \* أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ

الصيد على المتعمد لا على الناسي ، وبذلك قال أهل الظاهر ، وقال جمهور الفقهاء المتعمد والناسي سواء في وجوب الجزاء ، ثم اختلفوا في قوله متعمدا على ثلاثة أقوال : أحدها أن المتعمد إنما ذكر ليناط به الوعيد في قوله : ومن عاد فينتقم الله منه ، إذ لا وعيد على الناسي ، والثاني أن الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد ، والثالث أن الجزاء على المتعمد ثبت بالقرآن وأن الجزاء على الناسي ثبت بالسنة (بجزء مثل ما قتل من النعم) المعنى فعليه جزاء ، وقرئ بإضافة جزاء إلى مثل ، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به ، وقيل مثل زائدة ، كقولك أنا أكرم مثلك أي أكرمك ، وقرئ بجزاء بالتوین ، ومثل بالرفع على البدل أو الصفة ، والنعم الإبل والبقر والغنم خاصة ، ومعنى الآية عندما لك والشافعي : أن من قتل صيدا وهو محرم أن عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر ، ففي النعامة بدنة ، وفي حمار الوحش بقرة ، وفي الغزالة شاة ، فالمثلثة على هذا هي في الصورة والمقدار ، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام ، ومذهب أبي حنيفة أن المثل القيمة يقوّم الصيد المقتول ويخير القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشتري بالقيمة من النعم ما يهديه (يحكم به ذوا عدل) هذه الآية تقتضي أن التحكيم شرط في إخراج الجزاء ، ولا خلاف في ذلك ، فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه ، فعليه إعادته بالحكم لإحرام مكة ، فإنه لا يحتاج إلى حكمين ، قاله مالك ، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت فيه الصحابة ، وفيما لم يحكموا فيه ، لعموم الآية ، وقال الشافعي : يكتفي في ذلك بما حكمت به الصحابة (هديا) يقتضى ظاهره أن ما يخرج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدى ، وهو الجذع من الضأن والثني مما سواه ، وقال الشافعي يخرج المثل في اللحم ولا يشترط السن (بالغ الكعبة) لم يرد الكعبة بعينها ، وإنما أراد الحرم ، ويقتضى أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدى من سوقه من الحل إلى الحرم ، وقال الشافعي وأبو حنيفة إن اشتراه في الحرم أجزاء (أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما) عدد تعالي ما يجب في قتل المحرم للصيد ، فذكر أو لا الجزاء من النعم ، ثم الطعام ثم الصيام ، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير ، وهو الذي يقتضيه العطف بأو ، ومذهب ابن عباس أنها على الترتيب ، ولم يبين الله هنا مقدار الطعام ، فرأى العلماء أن يقدر الجزاء من النعم . لأنهم اختلفوا في كيفية التقدير ، فقال مالك : يقدر الصيد المقتول نفسه بالطعام أو الدراهم ، ثم تقوّم الدراهم بالطعام ، فينظر كم يساوي من طعام أو من دراهم وهو حتى ، وقال بعض أصحاب مالك يقدر الصيد بالطعام أي يقال : كم كان يشبع الصيد من نفس ثم يخرج قدر شبعهم طعاما ، وقال الشافعي لا يقدر الصيد نفسه ، وإنما يقدر مثله ، وهو الجزاء الواجب على القاتل له (أو عدل ذلك صياما) تحتل الإشارة بذلك أن تكون إلى الطعام وهو أحسن لأنه أقرب أو إلى الصيد ، واختلف في تعديل الصيام بالطعام فقال مالك يكون مكان كل مذبوما ، وقال أبو حنيفة مكان كل مذبين يوم ، وقيل مكان كل صاع يوما ، ولا يجب الجزاء ولا الإطعام ولا الصيام ، إلا بقتل الصيد لا بأخذه دون قتل لقوله من قتله ، وفي كل وجه يشترط حكم الحكمين ، وإنما لم يذكر الله في الصيام والطعام استغناء بذكره في الجزاء (ليذوق وبال أمره) الذوق هنا مستعار لأن حقيقته بحاسة اللسان ، والوبال سوء العاقبة ، وهو هنا مالزمه من

الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ \*  
 جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي  
 السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \*  
 مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ \* قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ  
 كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ  
 تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُمُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْءَانُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ \* قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ

التكفير (عفا الله عما سلف) أى عما فعلتم فى الجاهلية من قتل الصيد فى الحرم (ومن عاد فينتقم الله منه) أى من عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد النهى عن ذلك فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه أو بعدابه الآخرة (أحل لكم صيد البحر) أحل الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم، والصيد هنا المصيد، والبحر هو الماء الكثير: سواء كان ملحاً أو عذبا، كالبرك ونحوها، وطعامه هو ما يطفو على الماء وما قذف به البحر لأن ذلك طعام وليس بصيد، قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وقال ابن عباس: طعامه مالمح منه وبقي (متاعا لكم وللسيارة) الخطاب بكم للحاضرين فى البحر، والسيارة المسافرون أى هو متاع ما تدمون به (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا) الصيد هنا يمتثل أن يراد به المصدر أو الشيء المصيد أو كلاهما، فنشأ من هذا أن ماصاده المحرم فلا يحل له أكله بوجه، ونشأ الخلاف فيما صاد غيره، فإذا اصطاد حلال، فليل يجوز للمحرم أكله، وقيل لا يجوز إن اصطاده لمحرم، والأقوال الثلاثة مروية عن مالك، وإن اصطاد حرام لمن يجوز لغيره أكله عند مالك خلافا للشافعى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أى أمرا يقوم للناس بالأمن والمنافع، وقيل موضع قيام بالمناسك ولفظ الناس هنا عام، وقيل أراد العرب خاصة، لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة (والشهر الحرام) يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة، لأنهم كانوا يكفون فيها عن القتال (والهدى) يريد أنه أمان لمن يسوقه لأنه يعلم أنه فى عبادة لم يأت للحرب (والقلائد) كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئا من السمر، وإذا رجع تقلد شيئا من أشجار الحرم، ليعلم أنه كان فى عبادة، فلا يتعرض له أحد بشيء، فالقلائد هنا هو ما تقلده المحرم من الشجر، وقيل أراد قلائد الهدى، قال سعيد ابن جبير: جعل الله هذه الأمور للناس فى الجاهلية وشدد فى الإسلام (ذلك لتعلموا) الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياما للناس، والمعنى جعل الله ذلك لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل الأمور (لا يستوى الخبيث والطيب) لفظ عام فى جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك (لا تسألوا عن أشياء إن تبدلتم تسؤمكم) قيل سببها سؤال عبد الله بن حذافة من أبى، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أبوك حذافة، وقال آخر: أين أبى، قال فى النار، وقيل سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا يارسول الله أفى كل عام؟ فسكت، فأعادوا، قال لا، ولو قلت نعم لوجبت، فعلى الأول تسؤمكم بالإخبار بما لا يعجبكم، وعلى الثانى تسؤمكم بتكليف ما يشق عليكم، ويقوى هذا قوله عفا الله عنها: أى سكت عن ذكرها

مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ۗ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوهُمْ لَآ يَلْعَلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۗ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يُضِرُّكُمْ مِّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّن

ولم يطالبكم بها كقوله صلى الله عليه وسلم عفا الله عن الزكاة في الخيل ، وقيل إن معنى عفا الله عنها : عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم فلا تعودوا إليه (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلکم) فيه معنى الوعيد على السؤال : كأنه قال : لا تسألوا ، وإن سألتم أبدى لكم ما يسوؤكم ، والمراد بحين ينزل القرآن : زمان الوحي (قد سألتها قوم من قبلكم) الضمير في سألتها راجع إلى المسئلة التي دل عليها لا تسألوا ، وهي مصدر ، ولذلك لم يتعدى بعن كما تعدى قوله إن تسألوا عنها ، وذلك أن بنى إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء ، فإذا أمروا بها تركوها فهاكوا ، فالكفر هنا عبارة عن ترك ما أمروا به (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) لما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية هل تعظم لتعظيم الكعبة والهدى أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئا من ذلك لعباده : أى لم يشرعه لهم ، وإنما الكفار جعلوا ذلك ، فأما البحيرة : فهي فعيلة بمعنى مفعولة من بحر إذا شق ، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا آذانها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها وأما السائبة فكان الرجل يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضى فناقتى سائبة ، وجعلها كالبحيرة في عدم الانتفاع بها ، وأما الوصيلة فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرا وأنثى في بطن واحد قالوا وصلت الناقة أخاها فلم يذبجوها ، وأما الحامى فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) أى يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرم الله (وأكثرهم لا يعقلون) الذين يفترون على الله الكذب هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء ، والذين لا يعقلون هم أتباعهم المقلدون لهم (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) أى يكفينا دين آباءنا (أولو كان آباؤهم) قال الزمخشري الواو واو الحال ، دخلت عليها همزة الإنكار ، كأنه قيل أحسبهم هذا وآباؤهم لا يعقلون ، قال ابن عطية ألف التوقيف دخلت على واو العطف ، وقول الزمخشري أحسن في المعنى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قيل إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقيل إنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرموا البحيرة وأخواتها ، كأنه يقول : لا يضركم ضلال أسلافكم إذا اهتديتم ، والقول الصحيح فيها ماورد عن أبي ثعلبة الخشني أنه قال : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مروا بالمعروف وانها عن المنكر ، فإذا رأيتم شحما مطاعا وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بخويصة نفسك وذرعواهم ، ومثل ذلك قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ليس هذا بزمان هذه الآية قولوا الحق ما قبل منكم ، فإذا رد عليكم أنفسكم (شهادة بينكم

عَيْرِكُمْ إِنْ أَتَمَّ ضَرْبَتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ  
أُرْتَبِتُمْ لَأَنْشُرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَنْتَهُنَّ اللَّهُ إِنْآ إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ۚ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ آثِمًا

إذا حضر أحدكم الموت (حين الوصية اثنان) قال مكي هذه الآية أشكل آية في القرآن إعرابا ، ومعنى ، وحكا ،  
ونحن نبين معناها على الجملة ، ثم نبين أحكامها وإعرابها على التفصيل ، وسببها أن رجلين خرجا إلى الشام ،  
وخرج معهما رجل آخر بتجارة ، فرض في الطريق فكاتب كتابا قيد فيه كل مامعه ، وجعله في متاعه وأوصى  
الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته فمات فقدم الرجلان المدينة ، ودفعوا رحله إلى ورثته ، فوجدوا فيه كتابه  
وقعدوا منه أشياء قد كتبها ، فسألوها فقالا لا ندرى هذا الذي قبضناه ، فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فاستحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبقي الأمر مدة ، ثم عثر على إياه عظيم من فضة ، فقيل لمن  
وجد عنده من أين لك هذا ، فقال اشتريته من فلان وفلان ، يعنى الرجلين ، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أولياء الميت أن يحلفا خلفا واستحقا ،  
فمعنى الآية : إذا حضر الموت أحد في السفر ، فليشهد عدلين بما معه ، فإن وقعت ريبة في شهادتهما حلفا فهما  
ما كذبا ولا بدلا ، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الميت ، وغرم الشاهدان مظهر  
عليهما ، وشهادة بينكم مرفوع بالابتداء وخبره اثنان التقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو مقيم شهادة بينكم اثنان  
إذا حضر أى قارب الحضور ، والعامل في إذا المصدر الذى هو شهادة ، وهذا على أن يكون إذا بمنزلة حين لا تحتاج  
جوابا ، ويجوز أن تكون شرطية ، وجوابها محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها ، فإن المعنى : إذا حضر أحدكم  
الموت ، فينبغى أن يشهد حين الوصية ظرف العامل فيه حضر ، ويكون بدلا من إذا (ذوا عدل) صفة للشاهدين  
منكم (أو آخران من غيركم) قيل معنى منكم من عشيرتكم وأقاربكم ، ومن غيركم من غير العشيرة والقرابة وقال الجمهور منكم  
أى من المسلمين ، ومن غيركم من الكفار ، إذالم يوجد مسلم ، ثم اختلف على هذا هل هي منسوخة بقوله وأشهدوا ذوى  
عدل منكم فلا تجوز شهادة الكفار أصلا ، وهو قول مالك والشافعى والجمهور وأهى محكمة وأن شهادة الكفار جائزة على  
الوجه في السفر ، وهو قول ابن عباس (إن أتم ضربتكم في الأرض) أى سافرتكم ، وجواب إن محذوف يدل عليه  
ما تقدم قبلها ، والمعنى إن ضربتكم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ، فشهادة بينكم شهادة اثنين (تحبسونهما) قال  
أبو على الفارسى . هو صفة لآخران ، واعتراض بين الصفة والموصوف بقوله : إن أتم إلى قوله الموت ليفيد  
أن العدول إلى آخرين من غير الملة ، إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض ، وحلول الموت في السفر ،  
وقال الزنجشرى تحبسونهما استئناف كلام (من بعد الصلاة) قال الجمهور هى صلاة العصر ، فاللام للعهد ،  
لأنها وقت اجتماع الناس ، وبعدها أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان ، وقال من حلف على سلعة بعد  
صلاة العصر ، وكان التحليف بعدها معروف عندهم ، وقال ابن عباس هى صلاة الكافرين في دينهما لأنهما  
لا يعظمان صلاة العصر ( فيقسمان بالله) أى يحلفان ؛ ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين منسوخ ، وقد  
استحلفهما على بن أبى طالب وأبو موسى الأشعري (إن ارتبتم) أى شككتم في صدقهما أو أمانتهما ، وهذه  
الكلمة اعتراض بين القسم والمقسوم عليه ، وجواب إن محذوف يدل عليه يقسمان (لأنشترى به ثمنا) هذا  
هو المقسوم عليه ، والضمير في به للقسم ، وفي كان للمقسم له : أى لاستبدل بصحة القسم بالله عرضا من

أَسْتَحَقَّ إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتِنَا أَحَقُّ  
 مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ \* ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِنَا أَوْ يَخَافُوا  
 أَنْ تَرُدَّ آيْمَانُ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ \* يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرَّسُلَ فَيَقُولُ  
 مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ ۖ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ  
 وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

الدنيا: أى لانحاف بالله كاذبين لأجل المال ، ولو كان من نقسم له قريبالنا ، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى  
 أقرارهم ( ولا نكتم شهادة الله ) أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وأدائها ، وإضافتها إلى الله تعظيما لها ( فإن  
 عثر على أنهما استحقا إثمًا ) أى إن اطلع بعد ذلك على أنهما فعلا ماوجب إثمًا ، والإثم الكذب والخيانة  
 واستحقاقه الأهلية النوصف به ( فأخران يقومان مقامهما ) أى اثنان من أولياء الميت ، يقومان مقام الشاهدين  
 فى اليمين ( من الذين استحق عليهم ) أى من الذين استحق عليهم الإثم أو المال ، ومعناه من الذين جنا عليهم وهم  
 أولياء الميت ( الأوليان ) تثنية أولى بمعنى أحق : أى الأحقان بالشهادة لمعرفتهما ، والأحقان بالمال : لقرابتهما ،  
 وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره هما الأوليان ، أو مبتدأ مؤخر تقديره الأوليان آخران يقومان ، أو  
 بدل من الضمير فى يقومان ، ومنع الفارسى أن يسند استحق إلى الأوليان ، وأجازه ابن عطية ، وأما على قراءة  
 استحق بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل ، فالأوليان فاعل باستحق ، ومعنى استحق على هذا أخذ المال  
 وجعل يده عليه والأوليان على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيانتهم : أى الأوليان بالتحليف والتعنيف  
 والفضيحة ، وقرئ الأولين جمع أول ، وهو مخفوض على الصفة للذين استحق عليهم ، أو منصوبا بإضمار  
 فعل ، ووصفهم بالأولية لتقدمهم على الأجانب فى استحقاق المال وفى صدق الشهادة ( فيقسمان بالله لشهادتنا  
 أحق من شهادتهما ) أى يحلف هذان الآخران أن شهادتهما أحق : أى أصح من شهادة الشاهدين الذين ظهرت  
 خيانتهم ( إننا إذما ن الظالمين ) أى إن اعتدنا ، فإنما من الظالمين وذلك على وجه التبرئة ومثل قول الأولين إننا إذما ن الآئمين  
 ( ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ) الإشارة بذلك إلى الحكم الذى وقع فى هذه القضية وهى أدنى : أقرب ، وعلى  
 وجهها أى كوقعت من غير تغيير ولا تبديل أو يخافوا ( أن ترد آيما بعد آيماهم ) أى يخافوا أن يحلف غيرهم بعدهم  
 فيفتضحوا ( يوم يجمع الله الرسل ) هو يوم القيامة ، وانتصب الظرف بفعل مضمرة أى ماذا أجا بكم به الأثم  
 من إيمان وكفر وطاعة ومعصية ، والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأثم ، وإقامة الحجة عليهم  
 وانتصب ماذا أجبتهم انتصاب مصدره ، ولو أريدا الجواب ، لقل بماذا أجبتهم ( قالوا لا علم لنا ) إنما قالوا ذلك  
 تأدبا مع الله فوكلوا العلم إليه قال ابن عباس : المعنى لا علم لنا إلا ما علمتنا ، وقيل معناه علمنا سائط فى جنب علمك  
 ويقوى ذلك قوله إنك أنت علام الغيوب ، لأن من علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر ، وقيل ذهلوا عن  
 الجواب لهول ذلك اليوم ، وهذا بعيد ، لأن الأنبياء فى ذلك اليوم آمنون ، وقيل أرادوا بذلك توبيخ الكفار  
 ( إذ قال الله ) يحتمل أن يكون إذ بدل من يوم يجمع ، ويكون هذا القول يوم القيامة أو يكون العامل

وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ يَأْذُنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذُنِي وَتَبْرِئِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ  
يَأْذُنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى يَأْذُنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ  
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ \* وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ \*  
إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يُعَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ \*

في إذ ضمرا ويحتمل على هذا أن يكون القول في الدنيا أو يوم القيامة وإذ جعلناه يوم القيامة فقوله قال بمعنى  
يقول ، وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية في آل عمران (فتنفخ فيها) الضمير المؤنث عائد على الكاف ، لأنها  
صفة للهية ، وكذلك الضمير في تكون ، وكذلك الضمير المذكور في قوله في آل عمران فينفخ فيه عائد على  
الكاف أيضا ، لأنها بمعنى مثل وإن شئت قلت هو في الموضعين عائد على الموصوف المحذوف الذي وصف بقوله  
كهية فتقديره في التأنيث صورة ، وفي التذكير شخصا أو خلقا وشبه ذلك ، وقيل المؤنث يعود على الهية  
والمذكر يعود على الطير ، والطين ، وهو بعيد في المعنى ( يَأْذُنِي ) كرره مع كل معجزة ردا على من نسب  
الربوبية إلى عيسى (وإذ كففت بني إسرائيل عنك) يعني اليهود حين هموا بقتله ، فرفعه الله إليه (وإذ أوحيت)  
معطوف على ما قبله ، فهو من جملة نعم الله على عيسى والوحي هنا يحتمل أن يكون وحي إلهام أو وحي كلام  
(واشهد) يحتمل أن يكون خطابا لله تعالى أو لعيسى عليه السلام (إذ قال الخواريون يا عيسى ابن مريم)  
نداؤهم له باسمه : دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه كتعظيم المسلمين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنهم  
كانوا لا ينادونه باسمه ، وإنما يقولون يا رسول الله يا نبي الله ، وقولهم ابن مريم : دليل على أنهم كانوا يعتقدون  
فيه الاعتقاد الصحيح من نسبه إلى أم دون والد ، بخلاف ما اعتقده النصارى (هل يستطيع ربك) ظاهر هذا  
اللفظ أنهم شكوا في قدرة الله تعالى على إنزال المائدة وعلى هذا أخذه الزمخشري ، وقال ما وصفهم الله  
بالإيمان ، ولكن حكى دعواهم في قولهم آمنا وقال ابن عطية وغيره : ليس كذلك لأنهم شكوا في قدرة الله  
لكنه بمعنى هل يفعل ربك هذا ، وهل يقع منه إجابة إليه ، وهذا أرجح ، لأن الله أتى على الخواريين في  
مواضع من كتابه ، مع أن في اللفظ بشاعة تنكر ، وقرئ يستطيع بناه الخطاب ربك بالنصب أي هل تستطيع  
سؤال ربك ، وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكوا ، وبها قرأت عائشة رضي الله عنها ، وقالت كان الخواريون  
أعرف بربهم من أن يقولوا : هل يستطيع ربك (أن ينزل علينا مائدة من السماء) موضع أن مفعول بقوله  
يستطيع على القراءة بالياء ، ومفعول بالمصدر ، وهو السؤال المقدر على القراءة بالتاء ، والمائدة هي التي  
عليها طعام ، فإن لم يكن عليها طعام فهي خوان (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) فقوله لهم اتقوا الله : يحتمل  
أن يكون زجرا عن طلب المائدة ، واقتراح الآيات ، ويحتمل أن يكون زجرا عن الشك الذي يقتضيه  
قولهم هل يستطيع ربك على مذهب الزمخشري ، أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شك ، وقوله  
إن كنتم مؤمنين : هو على ظاهره على مذهب الزمخشري ، وأما على مذهب ابن عطية وغيره ، فهو تقرير لهم

قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ  
وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا عَلَيْكُمْ مِنْ كَفَرٍ بَعْدَ مَنِّكُمْ فَأَيُّ آعِذِبُهُ عَذَابًا لِأَعِذِبُهُ  
أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ  
سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ  
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا  
مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ \* إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكَ  
وَإِنْ تُرَحِّمَهُمْ بِرَحْمَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْكَرِيمُ

كما تقول افعل كذا إن كنت رجلا ، ومعلوم أنه رجل ، وقيل إن هذه المقالة صدرت منهم في أول الأمر  
قبل أن يروا معجزات عيسى (قالوا نريد أن نأكل منها) أي أكلنا نتشرف به بين الناس ، وليس مرادهم شهوة  
البطن (وتطمئن قلوبنا) أي نعين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة ، فلا تعرض لنا الشكوك التي  
تعرض في الاستدلال (ونعلم أن قد صدقتنا) ظاهره يقوى قول من قال إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن  
إيمانهم ، ويحتمل أن يكون المعنى نعلم علما ضروريا لا يحتمل الشك (ونكون عليهما من الشاهدين) أي نشهد  
بها عند من لم يحضرها من الناس (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) أجابهم عيسى  
إلى سؤال المائدة من الله ، وروى أنه لبس جبة شعر ورداء شعر ، وقام يصلي ويدعو ويبكي (تكون لنا  
عيدا لأولنا وآخرنا) قيل تتخذ يوم نزولها عيدا يدور كل عام لأول الأمة ، ثم لمن بعدهم ، وقال ابن عباس .  
المعنى تكون مجتمعنا جميعنا أولنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة لا عيدا يدور (وآية منك) أي علامة على صدقي  
(قال الله إنى منزلها عليكم) أجابهم الله إلى ما طلبوا ، ونزلت المائدة عليهما سمك وخبز ، وقيل زيتون وتمر ورمان  
وقال ابن عباس : كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا وفي قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة  
(فن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا) عادة الله عز وجل عقاب من كفر بعد اقتراح آية فأعطيته ، ولما  
كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير ، قال عبدالله بن عمر أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب  
المائدة وآل فرعون والمنافقون (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من  
دون الله) قال ابن عباس والجمهور : هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤس الخلائق ، ليرى الكفار  
تبرته عيسى مما نسبوه إليه ، ويعلمون أنهم كانوا على باطل ، وقال السدي لما رفع الله عيسى إليه قالت النصراني  
ما قالوا ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، وسأل الله حينئذ عن ذلك ، فقال سبحانه الآية ، فعلى هذا يكون  
إذ قال ماضيا في معناه كما هو في لفظه ، وعلى قول ابن عباس يكون بمعنى المستقبل (ما يكون لي أن أقول ما ليس  
لي بحق) نفي بعضه دليل العقل لأن المحدث لا يكون لها (إن كنت قلته فقد علمته) اعتذار وبراءة من ذلك  
القول و وكل العلم إلى الله لتظهر براءته ، لأن الله علم أنه لم يقل ذلك (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)  
أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة ، فقال في نفسك مقابلة لقوله في نفسي  
وبقية قوله تعظيما لله ، وإخبار بما قال الناس في الدنيا (أن اعبدوا) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية بدل من الضمير في

وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صَدَقْتُمْ لَهُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ

به (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فيها سؤالان الأول كيف قال وإن تغفر لهم وهم كفار والكفار لا يغفر لهم والجواب أن المعنى تسليم الأمر إلى الله وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه لأن الخلق عباده ، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء ، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار ، وإنما يقتضى جوازها في حكمة الله تعالى وعزته ، وفرق بين الجواز والوقوع ، وأما على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء ، فلا إشكال ، لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة ، وكانوا حينئذ أحياء ، وكل حتى معرض للتوبة ، السؤال الثانى : ما مناسبة قوله : فإنك أنت العزيز الحكيم ، لقوله وإن تغفر لهم والأليق مع ذكر المغفرة أن لوقيل ، فإنك أنت الغفور الرحيم ؟ والجواب من ثلاثة أوجه . الأول يظهر لى أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له ، كان قوله فإنك أنت العزيز الحكيم أليق ، فإن الحكمة تقتضى التسليم له والعزة تقتضى التعظيم له ، فإن العزيز هو الذى يفعل ما يريد ؛ ولا يغلبه غيره ، ولا يتمتع عليه شيء أراده ، فاقضى الكلام تفويض الأمر إلى الله فى المغفرة لهم أو عدم المغفرة لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته وأيمهما فعل فهو جميل لحكمته . الجواب الثانى قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير إنما لم يقل الغفور الرحيم لثلاث يكون فى ذلك تعريض فى طلب المغفرة لهم فاقصر على التسليم والتفويض دون الطلب ، إذ لا تطلب المغفرة للكفار ، وهذا قريب من قولنا . الثالث حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء فى وقته حازم بن حازم أنه كان يقف على قوله وإن تغفر لهم ويجعل فإنك أنت العزيز استئنافا ، وجواب إن فى قوله فإنهم عبادك ، كأنه قال إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال (هذا يوم ينفع الصادقين صدقتهم) عموم فى جميع الصادقين وخصوصا فى عيسى ابن مريم فإن فى ذلك إشارة إلى صدقه فى الكلام الذى حكاه الله عنه ، وقرأ غير نافع هذا يوم بالرفع على الابتداء أو الخبر ، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان : أحدهما أن يكون يوم ظرف لقال ، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول ، وإنما معموله هذا خاصة والمعنى قال الله هذا القصص أو الخبر فى يوم ، وهذا بعيد من زيل لرواق الكلام ، والآخر أن يكون هذا مبتدأ ، ويوم فى موضع خبره والعامل فيه محذوف تقديره هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقتهم ، ولا يجوز أن يكون يوم مبنيا على قراءة نافع ، لأنه أضيف إلى معرب ، قاله الفارسي والزمخشري

(تم الجزء الأول)

(ويليه الجزء الثانى : وأوله سورة الأنعام)

# فهرس

الجزء الأول من كتاب التسهيل

	صفحة
خطبة الكتاب	٢
المقدمة الأولى	٤
المقدمة الثانية	١٥
الكلام على الاستعاذة	٣٠
« على البسمة	٣٠
سورة أم القرآن	٣٢
سورة البقرة	٣٥
سورة آل عمران	٩٩
سورة النساء	١٢٨
سورة المائدة	١٦٦

(تم الفهرس)